المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة



آراء محمد إقبال الاعتقادية

- عرض وتقويم في ضوء عقيدة السلف -

" رسالة ماجستير "

إعداد الطالب

علي بن عبد الله بن علي السالم

إشراف

أ د. عبد العزيز بن إبراهيم العسكر

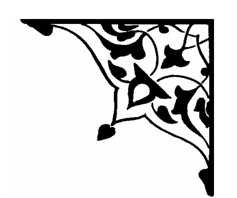
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين

المشرف المساعد

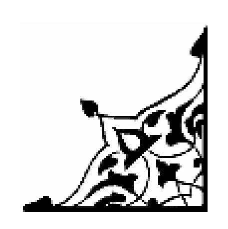
د. عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي

العام الجامعي

١٤٣٠هـ /١٤٣١هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

وتشمل علـى:

- أهمية الموضوع، وأسباب اخياره.
- هدف البحث.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.
- منهج البحث.

المُقَدِّمةُ

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشـــهد أن لا إله إلا الله وحـــده لا شـــريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1

3 4 5 6 7 8 : ; < = > ﴾ [النساء : ١] ﴿ u v w x

y z { | } ~ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ © فَقَدْ

فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠-٧١].

أمَّا بعدُ: فإن أحسن الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة (١).

---

(١) هذه الخطبة تسمى عند العلماء بخطبة الحاجة، وهي تشرع بين يدي كل خطبة، سواء أكانت خطبة جمعة، أم عيد، أم نكاح، أم درس علم ونحوه كتأليف كتاب، وقد كان رسول الله r يعلمها أصحابه. وأخرج هذه الخطبة جمع من أئمة الحديث منهم: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي في سننه، كتاب: النكاح، باب: خطبة النكاح، (٦٤٤/١)، رقم الحديث: (٢١١٨)، الناشر: دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، تعليق: كمال يوسف الحوت، وأبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي، في الجامع الصحيح – سنن الترمذي –، في كتاب: النكاح، باب: ما جاء في خطبة النكاح، (٤١٣/٣)، رقم الحديث: (١١٠٥)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق أحمد شاكر وآخرين؛ وأبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، في المجتبى من السنن، في كتاب: النكاح، باب: ما يستحب من الكلام عند النكاح، (٨٩/٦)، رقم الحديث: (٣٢٧٧)، تحقيق عبد الفتاح أبوغدة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـــ/١٩٨٦م؛ وأبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجه، في كتاب: النكاح، باب: في خطبة النكاح، (٨٩/٣)، رقم الحديث: (١٨٩٢)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، من حديث عبد الله بن مسعود، وصحح الحديث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، فقد جمع طرقه وأفاض في تخريجه وحكم عليه بالصحة. انظر: خطبة الحاجة التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـــ.

وبعد: فيُعد الشاعر محمد إقبال من المفكرين والأدباء الذين لهم مكانة بارزة في شبه القارة الهندية، وخاصة في جانب الفكر والأدب، ولا يخفى أن بعض الأدب في العصر الإسلامي الأول يمثل مظهراً من مظاهر العقيدة الإسلامية، فلم ينكر الرسول صلى الله عليه وسلم على الصحابي حسان بن ثابت رضي الله عنه ما ردده من أبيات شعر صارت منهجاً لإظهار الحب والانتماء للإسلام.

انبرى محمد إقبال بكلمته ورأيه في سبيل الدعوة والإصلاح وجمع وحدة المسلمين في شبه القارة الهندية، وتميز إقبال بأنه شاعر، وأديب، ومفكر، ومحامي، وخبير في التربية، والسياسة، وله جهود إصلاحية في شبه القارة الهندية، والشاعر محمد إقبال أول من قدَّم فكرة إنشاء باكستان الإسلامية التي أنشئت عملياً إثر تحرير الهند من الاستعمار البريطاني في ١٤ أغسطس عام ١٩٤٧م، تحت قيادة محمد علي جناح، وقد تغنى إقبال بهذه الدولة في شعره وكتاباته، وحمَّس مشاعر المسلمين على ذلك، وعدَّ جملة من الباحثين أنَّ دولة باكستان قامت في شعر محمد إقبال قبل أن تصبح حقيقة واقعة.

تناول كثير من الباحثين والمثقفين شعر محمد إقبال وفكره من وقت حياته إلى يومنا هذا، وقاموا بدراسات متنوعة حول شعره وفكره بلغات عديدة، ولم يقتصر ذلك الاهتمام على الباحثين من شبه القارة الهندية بل تعدى هذا إلى العالم الإسلامي والعربي، كما تناول الباحثون في العالم الغربي فكر إقبال بالدارسة والتحليل مثل آنا ماري شميل التي رفعته إلى مرتبة فيلسوف نبوي، وميروفيتش التي اعتبرته من أكبر فلاسفة وشعراء الشرق على الإطلاق، فالمجتمع الغربي إبَّان ظهور إقبال ونبوغه اهتم به كثيراً، وقام الباحثون بترجمة معظم أعماله، وأنشئت جمعيات لنشر أفكاره وآرائه والتعريف بشعره، وهذا الاهتمام المحلي والعربي والإسلامي والغربي يستوجب دراسة نقدية تحليلية لشخصية محمد إقبال؛ لوضعها في موضعها المناسب والصحيح، بعد تقويمها وعرضها على أدلة الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح.

ونظراً إلى تنوُّع شخصية إقبال ومشاركته في كثير من الأفكار والآراء في مجال إثراء الأدب، والطرح الإسلامي، والسياسة، والتربية والتعليم والدعوة، ونقد الحضارة الغربية، وكونه من كبار شعراء وأدباء عصره، وممن أثر في حياة المسلمين السياسية والاجتماعية والعلمية والثقافية في شبه القارة الهندية، أحببتُ أن ألقي الضوء على جملة من آرائه العقدية؛ لأن معظم الدراسات التي تناولت الشاعر محمد إقبال كانت في سرد حياته ومؤلفاته وأدبه وشاعريته وتوجهه الإسلامي إجمالاً، و لم تقدم – فيما وقفت عليه في المراجع العربية – صورة شاملة وعميقة عن آرائه العقدية.

ولما كانت لمحمد إقبال بعض الآراء المخالفة لمنهج السلف في أصول الاعتقاد، والموافقة والمتأثرة بالصوفية والمعتزلة والأشاعرة والفلاسفة، وله موقف من الأديان والفرق والاتجاهات الفكرية المعاصرة، والتجديد الـديني؛ كان التنبيه على ذلك ونقده وتقويمه من مهام البحث العلمي، مما جعلني أختار دراسة آرائه الاعتقادية مشروعاً لنيل درجة الماجستير في تخصص العقيدة والمذاهب المعاصرة بعنوان: آراء محمد إقبال الاعتقادية – عرض وتقويم في ضوء عقيدة السلف –.

❖أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تظهر أهمية الموضوع وأسباب الاختيار من خلال ما يلي:

- أهمية دراسة آراء وأفكار العلماء والمفكرين والباحثين المعاصرين وعرضها على الكتاب والسنة، وتقويمها في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، لما لهم ولمؤلفاتهم من مكانة عند المسلمين وبالتالي القدرة على التأثير فيهم سلباً وإيجاباً.
- أن معظم الأعمال التي قُدمت عن الشاعر محمد إقبال لم تتناول الجوانب العقدية والفكرية على منهج السلف الصالح، فرأيت أن أبحث في فكره وعقيدته من خلال دواوينه وكتبه المترجمة.
- لقد تعرف العالم الإسلامي – في المنطقة العربية – على الشاعر محمد إقبال من خلال شعره قبل فكره، وكانت الصياغة المترجمة لأشعاره متأثرة بالأسلوب

الأدبي، وتحمل من المشاعر الإسلامية الرائعة أكثر مما تهتم في تحديد الآراء والأفكار، وإبراز المبادئ، ومن هذا المطلق رأيت أن أوضح جملة من آرائه وأفكاره وفق منهج أهل السنة والجماعة.

- أهمية دراسة آراء الشاعر محمد إقبال الاعتقادية على وجه الخصوص وتجلى ذلك في عدة أمور منها:

أ – شهرة وعالمية محمد إقبال، فهو بلا شك شاعراً مُفْلِقاً، ومفكراً بلغ صيته الآفاق، وسياسياً مرموقاً، وزعيماً مصلحاً.

ب– كثرة دواوين إقبال وكتاباته، وأطروحاته الفكرية، فقد خاض فيها بمسائل كلامية، وفلسفية، وصوفية، وعقلية، وأصبح منظراً لكثير من المسائل العقدية.

ج– قام كثيرٌ من الباحثين بدراسات متنوعة حول شعر محمد إقبال وفكره بلغات عديدة، وهذه الدراسات تستلزم الوقوف عندها وعرضها على منهج السلف الصالح.

د– كان للشاعر محمد إقبال بعض الآراء المخالفة لمنهج السلف في أصول الاعتقاد، وله موقف من الاتجاهات الفكرية المعاصرة، والتجديد الديني، والفلسفة، ولعل هذا البحث جاء للدفاع عن عقيدة السلف، والتحذير مما في آراء محمد إقبال من انحراف.

❖هدف البحث: عرض آراء محمد إقبال الاعتقادية، وبيان مدى موافقتها ومخالفتها لعقيدة السلف، ومناقشتها في ضوء ذلك.

❖الدراسات السابقة: لقد حظي الشاعر محمد إقبال بدراسات عِدَّة، وفي جوانب كثيرة، فلسفية وتجديدية، وفكرية، وأدبية، فقد كتب عنه جملة من الباحثين مثل عباس محمود العقاد، وطه حسين، وعبد الوهاب عزام وغيرهم، ولم يتناول أحد بالبحث – فيما وقفت عليه – آراء محمد إقبال الإعتقادية على وجه التفصيل وفي ضوء عقيدة السلف الصالح. ويمكن تقسيم الدارسات السابقة قسمين: الأول الدراسات السابقة التي قدمت في أطروحات علمية للدكتوراه والماجستير، والثاني الدراسات السابقة التي

قدمت تحت عناوين ثقافية وفكرية للعالم الإسلامي والعربي والغربي من الكتب والبحوث المحكمة والمقالات ونحوها، ونفصل هذه الدراسات على النحو التالي:

القسم الأول: الرسائل العلمية. بعد التتبع والاستقراء وسؤال المتخصصين، والرجوع إلى مراكز البحث العلمي، توصلت إلى الرسائل العلمية التي قدمت عن محمد إقبال فكانت النتيجة كالتالي:

❖**رسالة دكتوراه بعنوان:** التربية الروحية في فكر محمد إقبال.

– **اسم الباحث:** أسامة محمود الدعاس.

– **بحثت الرسالة:** في كلية الإمام الأوزاعي في بيروت عام٢٠٠٢م .

– **أبرز ما جاء في الرسالة:**

- تأتي أهمية هذا البحث في محاولة جمعه بين عنصرين يشكل أحدهما السبيل الذي يسير عليه الآخر، فالسبيل هو التربية والسائر عليه هو القيم الروحية.
- يرسم البحث حدود هذا المنهج حفاظاً على التوجهات الروحية من الوقوع في الشطط والزلل.
- يكشف البحث الاختلاط في الفهم بين التربية الروحية كمنهجية لها دورها الفاعل في حياة المجتمع المسلم، وتزكية النفس التي تتناول جوانب سلوكية، لتطهير النفس وتخليصها من عيوبها.

❖**رسالة دكتوراه بعنوان:** الاتجاه الإسلامي في شعر محمد إقبال.

– **اسم الباحث:** صلاح الدين بن محمد شمس الدين.

– **بحثت الرسالة:** في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد عام ١٩٩٠م.

– **أبرز ما جاء في الرسالة:**

- رسم الباحث الجانب الفني في شعر محمد إقبال، وركز على أنواع شعره وبنائه وأوزانه، واهتم بجانب التعبير والتصوير في الشعر المسرحي والقصصي.

- انتقد الباحث الغرب في أمورهم التعليمة والتربوية، مبدأ ومنهجاً وهدفاً،كما تكلم عن المرأة ومكانتها عند إقبال.

❖**رسالة دكتوراه بعنوان:** فلسفة إقبال ودورها في تجديد الفكر الإسلامي.

– **اسم الباحث**: عبد المقصود عبد الغني عبد المقصود.

– **بحثت الرسالة**: في جامعة القاهرة١٩٨١م.

– **أبرز ما جاء في الرسالة:**

- ذكر الباحث الظروف التي نشأت فيها حركة التجديد في الفكر الإسلامي منذ اتصال الشرق بالغرب.
- أبرز الباحث معالم الفكر الذي سار عليه إقبال في حركة التجديد الأدبي والفكري.

❖**رسالة دكتوراه بعنوان:** محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية.

– **اسم الباحث**: خليل الرحمن عبدالرحمن.

– **بحثت الرسالة**: في جامعة أم القرى عام ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

– **أبرز ما جاء في الرسالة:**

- بين الباحث قصة دخول الإسلام في الهند، والأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في شبه القارة الهندية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.
- يبن الباحث موقف إقبال من الحضارة الغربية، والأسس التي قامت عليها تلك الحضارة، والفكر الغربي ومنهجه في السياسة والاقتصاد والاجتماع.

وهذه الرسالة استفدتُ منها كثيراً في نقل النصوص والشواهد الشعرية، خاصة إذا تعذر الوصول إليها من دواوين وكتب إقبال، أو كان هناك اختلاف في النصوص المترجمة، وللحق فإنني أشيد بمدى الاستفادة التي أفدهّا من هذه الرسالة ومن مؤلفها الدكتور خليل الرحمن عبد الرحمن عند اتصالي به ومناقشتي له بعض المواضيع التي تخدم هذه الأطروحة.

❖**رسالة دكتوراه بعنوان:** الاتجاهات السياسية في شعر إقبال الأردي.

– **اسم الباحثة:** هاجر رمضان أحمد.

– **بحثت الرسالة:** في جامعة القاهرة عام١٩٩١م.

– **أبرز ما جاء في الرسالة:** المقارنة بين شعر محمد إقبال وبين ألطاف حسين حالي وأكبر إله آبادي في الشعر السياسي، وخصائص الشعر والأدب، وأثر اللغة العربية في الشعر الأردي.

❖**رسالة ماجستير بعنوان:** مشكلة الوجود والمعرفة في الفكر الإسلامي الحديث عند محمد عبده ومحمد إقبال دراسة ومقارنة.

– **اسم الباحث:** عطية سلمان أبو عاذره.

– **بحثت الرسالة:** في جامعة بيروت العربية عام١٤٠٥هـ /١٩٨٥م.

– **أبرز ما جاء في الرسالة:** تضمنت هذه الأطروحة مقارنة مشكلة الوجود والمعرفة في فكر الشيخ محمد عبده والشاعر محمد إقبال.

❖**رسالة ماجستير بعنوان:** محمد إقبال ومنهجه في الدعوة إلى الله.

– **اسم الباحث:** السيد مصطفى السيد أبو الجود.

– **بحثت الرسالة:** في جامعة الأزهر عام ١٤٠١هـ.

– **أبرز ما جاء في الرسالة:**

- أبرز الباحث منهج محمد إقبال في الدعوة إلى الله تعالى في القارة الهندية، وحرصه على إقامة دولة إسلامية بعيداً عن الديانات المنحرفة.
- أوضح الباحث صفات الداعية المسلم، وتطبيق الشريعة الإسلامية في الهند وباكستان.

❖**رسالة ماجستير بعنوان:** منهج تغيير الإنسان عند محمد إقبال.

– **اسم الباحث:** الطاوس إلغام.

– **بحثت الرسالة:** في المعهد العالي الوطني لأصول الدين في الجزائر عام١٩٩٥م.

- أبرز ما جاء في الرسالة:

- ذكر الباحث رأي إقبال في بداية وجود الإنسان ومصيره، وأن الإنسان لقي اهتماماً كبيراً من قبل المنظمات الأيديولوجية المعاصرة، وحاول إزالة المفاهيم الخاطئة – على فهمه – في خلق ومصير الإنسان.
- أوضح الباحث السلوك الإنساني ومنهج التغيير عند الإنسان.

وآخيراً هناك رسائل علمية ترجمت ودرست شعر ومنظومات الشاعر محمد إقبال الأردية ومنها:

❖**رسالة دكتوراه بعنوان:** منظومة جاويدانامه – رسالة الخلود – للشاعر محمد إقبال، ترجمها إلى اللغة العربية محمد السعيد جمال الدين، ودرسها دراسة نقدية تحليلية، وتقدم بها الباحث من جامعة الأزهر١٩٧٤م.

❖**رسالة ماجستير بعنوان:** منظومة أرمغان حجاز – هدية الحجاز - للشاعر محمد إقبال ترجمها ودرسها الباحث الدكتور سمير عبد الحميد، وتقدم بها من قسم اللغات الشرقية فرع الأمم الإسلامية عام ١٩٧١م.

❖**<u>القسم الثاني</u>:** الكتب المؤلفة، والبحوث المحكمة، والمقالات، التي تناولت شعر وفكر وآراء الشاعر محمد إقبال، وهي كثيرةٌ، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- **محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره،** للدكتور عبد الوهاب عزام، ويُعدُّ عزام هو الذي له عصا السبق في تعريف العالم العربي بالشاعر محمد إقبـــال. يقول الدكتور عزام: دعت جمعية الشبان المسلمين إلى الاحتفال بالرجل العظيم – إقبال –، واقترح أستاذنا الشيخ عبد الوهاب النجار أن أقدم محمد إقبال إلى الحضور، إذ كنت - على ضآلة معرفتي -، أعرف الحاضرين به، وكان هذا شرفاً لي وسروراً، وفاتحة من عالم الغيب لصحبة طويلة، صحبة المريد للمرشد، والتلميذ للأستاذ، ومقدمة لجهد مديد في الكتابة عن الشاعر والحديث عنه، وترجمة دواوينه إلى العربية، تحدثت ما وسعت معرفتي، وأنشدت أبياتاً من ديوان

رسالة الشرق علقت بذهني [1]. واهتم عزام بشاعرية إقبال وفكره أشد الاهتمام، فقد ترجم جُملة من دواوينه كالأسرار والرموز ورسالة الشرق وغيرهما، ويعتبر كتابه هذا من المصادر المهمة التي تناولت سيرة وفلسفة وشعر محمد إقبال.

- **العلامة محمد إقبال حياته وآثاره،** للدكتور أحمد معوض، يعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر لمن أراد البحث عن الشاعر محمد إقبال، لشموليته وتعدد مصادره ومراجعه، فقد رجع الباحث إلى لغة الضاد، والأُردية، والفارسية، والتركية، والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والايطالية. وجل من كتب عن حياة محمد إقبال وآثاره عيال على هذا الكتاب.
- **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي،** للدكتور محمد البهي، فقد خصص جزءاً من كتابه لعرض بعض آراء إقبال الفكرية وتناولها بالدراسة والتحليل.
- **روائع إقبال،** لأبي الحسن علي الحسني الندوي، وأصل هذا الكتاب نداء إلى الشيخ أبي الحسن الندوي من الأديب الشيخ علي الطنطاوي، فقد وجَّه في مجلة المسلمون كلمة رقيقة يحثه على ترجمة بعض قصائد الشاعر محمد إقبال؛ ليعرِّف بهذا الرجل وقوة شاعريته وسمو رسالته، يقول في كتاب مفتوح موجَّه إلى الندوي :" هل لك أن تختار من شعر إقبال ما يجعلنا نتذوق طعم أدبه ونلم بطريقته، وتتجلى أسباب عظمته، فإن كل ما قرأنا من كلامه مترجماً إلى اللغة العربية لم يعرفنا به، ولم يدلنا عليه ... فهل تضيف يا أخي أبا الحسن ! إلى مآثرك هذه المأثرة، فتفتح للعرب كوة على هذه الروضة المحجبة، أو تحمل إليهم زهرات منه، فتحسن بذلك إلى العرب وباكستان، وإلى الأدب

(١) انظر: مقدمة كتاب د.عبد الوهاب عزام: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، الناشر: مطبوعات باكستان، بدون تاريخ طبعة. ص (٣-١٤).

والإسلام ..."[1]. فشمر الندوي عن ساعد الجد ليتناول ترجمة شعر إقبال، واقتصر في ذلك على الدواوين التي لم يتناولها الدكتور عبدالوهاب عزام بالتعريب، وكان لديوان جناح جبريل أكبر نصيب مما ترجمه الندوي في كتابه " روائع إقبال " فهكذا كان كتاب أبي الحسن - رغم صغر حجمه - إضافة جديدة للمكتبة العربية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، فقد استطاع الندوي في براعة وبصيرة أن يختار من دواوين محمد إقبال مقتطفات في نثر سهل ميسور على تمكنه من اللغتين العربية والفارسية، وكانت أكبر شهادة بأن كتاب الندوي كان التوفيق حليفه في فهم شعر إقبال والإنصاف له في شهادة الدكتور جاويد نجل إقبال، حيث قال بعد إطلاعه على كتاب " روائع إقبال " ولقد عرض مؤلف هذا الكتاب جوانب مختلفة من فكر محمد إقبال في أسلوب أكبر ظني أنه يوافق رأي محمد إقبال نفسه، أو كان يؤثره لشرح أفكاره.

- **إقبال الشاعر الثائر،** للدكتور نجيب الكيلاني.
- **محمد إقبال مفكراً إسلامياً،** محمد الكتاني.
- **فلسفة إقبال،** للدكتور علي حسون.
- **محمد إقبال فكره الديني والفلسفي،** للدكتور محمد العربي بوعزيزي .
- **فلسفة الذات في فكر محمد إقبال،** للدكتور رائد جبار كاظم.
- **بحث بعنوان:** الفلسفة وأثرها في أصول الدين، بقلم الدكتور: محمد رشاد خليل، مجلة كلية أصول الدين، العدد الخامس،١٤٠٣هـ / ١٤٠٤هـ[2].

(١) انظر: روائع إقبال، لأبي الحسن علي الحسني الندوي، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م. ص (٢٢-٣٢)؛ مقدمة ديوان محمد إقبال الأعمال الكاملة إعداد: سيد عبد الماجد الغوري، الناشر: دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م. (١/١٠-١١).

(٢) استفاد الباحث مما كتبه الدكتور محمد رشاد خليل – في هذا الموضوع – الفلسفة وأثرها في أصول الدين من تعليقات على كتاب تجديد التفكير الديني للشاعر محمد إقبال، فقد تناول جزءًا يسيراً من الانحرافات العقدية عند إقبال مثل انحرافه في باب النبوة، والبعث، وتجديد الدين، وغيرها بالنقد التحليل على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة.

- **بحث بعنوان:** إقبال والعرب، بقلم الدكتور: سمير عبد الحميد إبراهيم، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مجلة علمية محكمة، العدد الخامس، محرم ١٤١٢هـ / يوليو ١٩٩١م.
- **مجلة فكر وفن،** تصدر من ألمانيا بإشراف الباحثة آنا ماري شميل، وألبرت تايلا، فقد خصصت العدد الثاني والثلاثين لبحوث ومقالات عن محمد إقبال.

مما يجدر التنبيه إليه أن الدراسات السابقة – حسب علمي – لم تتطرق للجوانب العقدية عند الشاعر محمد إقبال بالدراسة والتحليل والنقد من منظور سلفي، فالدارسات السابقة لم تدرس بالتفصيل المسائل التالية:

- آراء محمد إقبال في مسائل التوحيد.
- آراء محمد إقبال في إثبات النبوات.
- آراء محمد إقبال في مسائل الإيمان باليوم الآخر.
- آراء محمد إقبال في إثبات القدر.
- موقف محمد إقبال من الديانات والفرق الإسلامية مثل اليهودية، والنصرانية، والصوفية، والشيعة، والمعتزلة، والأشاعرة.
- موقف محمد إقبال من الاتجاهات الفكرية المعاصرة مثل القاديانية، والبابية، والاستشراق، والشيوعية، والقومية، والديمقراطية، والرأسمالية، والاتجاه الفلسفي.

❖الصعوبات التي واجهة الباحث:

أولاً: صعوبة الحصول على مؤلفات محمد إقبال النثرية، مثل كتاب تجديد التفكير الديني في الإسلام، وتطور الفكر الفلسفي في إيران لقدم طباعتها، إلا عن طريق المراسلة أو الاستعارة أو التصوير من المكتبات العامة.

ثانياً: صعوبة فهم المصطلحات الأُردية والفارسية التي مرت كثيراً أثناء الإعداد لهذه الأطروحة، وقد ساعدني في تخطي هذه الصعوبة فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن ابن عبد الجبار الفريوائي.

ثالثاً: إن عملية فهم الشعر تعتبر من المراحل الهامة في الوصول إلى تحليل عميق لأراء وأفكار الشاعر محمد إقبال، وعليه فإن الباحث واجهه صعوبة في فك مضامين ومعاني النصوص الشعرية، وذلك بسبب موسوعية الشاعر، وكثافة شعره، واستخدامه للرموز الإسلامية والعربية والغربية.

❖**خطة البحث:** تكونت الخطة من مقدمة، وتمهيد، وبابين، ثم الخاتمة، والفهارس.

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وهدف البحث، والدراسات السابقة، والخطة، ومنهج البحث.

منهج البحث: سلكت – بعون الله – المنهج الاستقرائي، ثم التحليلي النقدي، وفق ما يلي:

أولاً: جمعت المادة العلمية من الدواوين الشعرية، والكتب التي ألفها محمد إقبال مثل: كتاب تجديد التفكير الديني في الإسلام، وتطور الفكر الفلسفي في إيران، والندوات التي ألقاها، والأطروحات الأدبية والشعرية، والخطابات التي أرسلها، أو ما كتب عنه معاصروه مثل كتابات أبي الأعلى المودودي، أو من جاء بعده مثل أبي الحسن الندوي، والدكتور عبد الوهاب عزام، والدكتور سمير عبد الحميد، والدكتور أحمد معوض والدكتور خليل الرحمن عبد الرحمن، وغيرهم.

ثانياً: عرضت آراء محمد إقبال في كل مسألة، ثم أتبعتها بتقويم على ضوء عقيدة السلف الصالح، داعماً النقد والتقويم بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة وكلام أئمة أهل السنة والجماعة.

ثالثاً: اعتمدت في كتب إقبال ودواوينه على الترجمة المعتمدة لدى المتخصصين في ترجمة تراثه، ويمكن تقسيمها قسمين:

❖ **القسم الأول: الكتب :-**

١- كتاب تجديد التفكير الديني في الإسلام: فإنني اعتمدت على ترجمة السيد عباس محمود.

٢- كتاب تطور الفكر الفلسفي في إيران: فإنني اعتمدت على ترجمة الأستاذ الدكتور حسن محمود الشافعي، والأستاذ الدكتور محمد السعيد جمال الدين.

❖**القسم الثاني الدواوين :** اعتمدت على ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام، والدكتورحسين مجيب المصري، والشيخ صاوي شعلان، والأستاذ زهير ظاظا، وهذه الدواوين جمعها الأستاذ سيد عبد الماجد الغوري في مجلدين تحت عنوان: ديوان محمد إقبال الأعمال الكاملة، والمنهج الذي سرت عليه عند الإحالة إلى هذا الكتاب كالتالي: أشير في الحاشية إلى اسم الديوان ورقم الجزء والصفحة، مثلاً: ديوان ضرب الكليم (١٢٣/٢)، بخلاف ترجمة الدكتور حازم محفوظ لبعض دواوين إقبال فإنني أشير إلى اسم الديوان، ومن ثم اسم الكتاب كاملاً مع رقم الصفحة، مثلاً: ديوان رنين الجرس من الأعمال الكاملة لشاعر الإسلام محمد إقبال ص (١٣٥).

رابعاً: عزوت الآيات القرآنية، بذكر اسم السورة ورقم الآية.

خامساً: خرجت الأحاديث النبوية الواردة في البحث من مصادرها الأصلية من كتب السنة، ونقلت أقوال العلماء في الحكم عليها، صحة وضعفاً، إلا إذا كان في الصحيحين، أو أحدهما، فأكتفي بعزوه إليهما.

سادساً: ترجمت للأعلام الذين وقفت على تراجمهم ترجمة موجزة، ووثقت النصوص والأقوال من مصادرها، وعرفت بالمصطلحات، وشرحت الغريب منها.

سابعاً: ذكرت معلومات وبيانات المصادر والمراجع كاملة عند أول ذكر لها.

❖**خطة البحث:** التمهيد وفيه:

- عصر محمد إقبال.
- حياة محمد إقبال.

الباب الأول: آراء محمد إقبال الاعتقادية وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: مصادر التلقي عند محمد إقبال.

الفصل الثاني: آراء محمد إقبال في مسائل التوحيد وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: آراء محمد إقبال في إثبات وجود الله وتقويمها وفيه مطلبان:

المطلب الأول: رأي محمد إقبال في إثبات وجود الله.

المطلب الثاني: تقويم رأي محمد إقبال في إثبات وجود الله.

المبحث الثاني: آراء محمد إقبال في أسماء الله وصفاته نفياً وإثباتاً وفيه مطلبان:

المطلب الأول: رأي محمد إقبال في أسماء الله وصفاته نفياً وإثباتاً.

المطلب الثاني: تقويم رأي محمد إقبال في أسماء الله وصفاته نفياً وإثباتاً.

المبحث الثالث: آراء محمد إقبال في توحيد العبادة وتقويمه وفيه مطلبان:

المطلب الأول: رأي محمد إقبال في توحيد العبادة.

المطلب الثاني: تقويم رأي محمد إقبال في توحيد العبادة.

الفصل الثالث: آراء محمد إقبال في النبوات وفيه مبحثان:

المبحث الأول:آراء محمد إقبال في إثبات النبوة وحقيقتها وتقويمه وفيه مطلبان:

المطلب الأول: رأي محمد إقبال في إثبات النبوة وحقيقتها.

المطلب الثاني: تقويم رأي محمد إقبال في إثبات النبوة وحقيقتها.

المبحث الثاني:رأي محمد إقبال في بعض الأنبياء والرسل وتقويمه وفيه مطلبان:

المطلب الأول: رأي محمد إقبال في بعض الأنبياء والرسل.

المطلب الثاني: تقويم رأي محمد إقبال في بعض الأنبياء والرسل.

الفصل الرابع: آراء محمد إقبال في مسائل الإيمان باليوم الآخر وفيه مبحثان:

المبحث الأول:رأي محمد إقبال في إثبات الجنة والنار وحقيقتهما وتقويمه وفيه مطلبان.

المطلب الأول: رأي محمد إقبال في إثبات الجنة والنار وحقيقتهما.

المطلب الثاني: تقويم رأي محمد إقبال في إثبات الجنة والنار وحقيقتهما.

المبحث الثاني: آراء محمد إقبال في البعث وتقويمه وفيه مطلبان:

المطلب الأول: رأي محمد إقبال في البعث.

المطلب الثاني: تقويم رأي محمد إقبال في البعث.

الفصل الخامس: آراء محمد إقبال في إثبات القدر وفيه مبحثان:

المبحث الأول: آراء محمد إقبال في إثبات القدر وتقويمه وفيه مطلبان:

المطلب الأول: رأي محمد إقبال في إثبات القدر.

المطلب الثاني: تقويم رأي محمد إقبال في إثبات القدر.

المبحث الثاني:آراء محمد إقبال في أفعال العباد وتقويمه وفيه مطلبان:

المطلب الأول: رأي محمد إقبال في أفعال العباد.

المطلب الثاني: تقويم رأي محمد إقبال في أفعال العباد.

الباب الثاني: موقف محمد إقبال من الأديان والفرق والاتجاهات الفكرية المعاصرة والفلسفة والتجديد الديني: وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: موقف محمد إقبال من الديانات والفرق وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف محمد إقبال من اليهودية وتقويمه وفيه مطلبان.

المطلب الأول: رأي محمد إقبال في اليهودية.

المطلب الثاني: تقويم رأي محمد إقبال في اليهودية.

المبحث الثاني: موقف محمد إقبال من النصرانية وتقويمه وفيه مطلبان:

المطلب الأول: رأي محمد إقبال في النصرانية.

المطلب الثاني: تقويم رأي محمد إقبال في النصرانية.

المبحث الثالث: موقف محمد إقبال من الفرق وتقويمه وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: آراء محمد إقبال في الصوفية ومدى التأثر بهم وتقويمه.

المطلب الثاني: رأي محمد إقبال في الشيعة وتقويمه.

المطلب الثالث: رأي محمد إقبال في المعتزلة وتقويمه.

المطلب الرابع: رأي محمد إقبال في الأشاعرة وتقويمه.

الفصل الثاني: موقف محمد إقبال من الاتجاهات الفكريةالمعاصرة وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: رأي محمد إقبال في القاديانية وتقويمه.

المبحث الثاني: رأي محمد إقبال في البابية وتقويمه.

المبحث الثالث: رأي محمد إقبال في الاستشراق وتقويمه.

المبحث الرابع: رأي محمد إقبال في الشيوعية وتقويمه.

المبحث الخامس: رأي محمد إقبال في القومية وتقويمه.

المبحث السادس: رأي محمد إقبال في الديمقراطية وتقويمه.

المبحث السابع: رأي محمد إقبال في الرأسمالية وتقويمه.

المبحث الثامن:رأي محمد إقبال في الحضارة الغربية وتقويمه.

الفصل الثالث: موقف محمد إقبال من الفلسفة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مدى تأثر محمد إقبال بالفلسفة والفلاسفة.

المبحث الثاني: آراء محمد إقبال الفلسفية ومراحل تطورها.

المبحث الثالث: تقويم آراء محمد إقبال الفلسفية.

الفصل الرابع: موقف محمد إقبال من التجديد الديني، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم التجديد الديني عند محمد إقبال.

المبحث الثاني: رأي محمد إقبال في التجديد الديني وتقويمه.

المبحث الثالث: تأثير محمد إقبال فيمن جاء بعده في مسألة التجديد.

المبحث الرابع: موقف محمد إقبال من الدعوة السلفية.

المبحث الخامس: أثر محمد إقبال على الكُتاب والمفكرين الإسلاميين.

❖ **الخاتمة:** وفيها أهم النتائج والتوصيات.

❖ **الفهارس:** ١-فهرس الآيات.٢-فهرس الأحاديث. - فهرس الأعلام. -٤ فهرس الشعر. ٥- فهرس الملل والنحل والفرق. ٦- فهرس المصطلحات والألفاظ الغريبة. ٧- فهرس المصادر والمراجع. ٨- فهرس الموضوعات.

وأخيراً فإنني أحمد الله وأشكره أولاً وآخراً على أن يسر لي إتمام هذا البحث، ولا أدعي أنني قد وفيت الموضوع حقه واستكملت جميع آراء إقبال العقدية، بل هناك جوانب لابد فيها من زيادة البحث والبسط، وحسبي أنني أعطيت فكرة ولو موجزة عن آراء الشاعر الدكتور محمد إقبال العقدية، وفتحت الباب لمن أراد بحثاً شمولياً عن فكره وآرائه.

وامتثالاً لقول خير الخلق محمَّد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم:« **مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ** »[(١)]، وعملاً بهذا الحديث فإنِّي أتقدَّم بعد شكر لله سبحانه وتعالى إلى من قرن شكرهم بشكره، وهما والدايَّ الكريمان اللذان سهَّلا لي كل الطرق والسبل في التربية والتعليم، فاللهم أجزهما عني خيـــر ما جزيت والداً عن ولده، وبارك في عمرهما وعملهما واجعلمها في الفردوس الأعلى من الجنة. وأثني بالشكر والتقدير لزوجتي التي كانت لي عوناً وسنداً في إتمام هذا البحث، فأسأل الله أن يجعلها مباركةً أينما كانت.

كما أتوجه بأسمى آيات الشكر والعرفان لهذا الصرح الشامخ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ممثلة في كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، التي أتاحت لي فرصة هذا البحث، وسهَّلت الطريق لطالبي العلم الشرعيّ ومُريديه.

كما أتقدَّمُ بجزيل شكري لفضيلة شيخي الأستـــاذ الدكتـــور **عبد العزيز بن**

---

(١) الحديث أخرجه جمع من المحدثين، ومنهم أبو عيسى الترمذي في سننه، كتاب: البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، رقم الحديث: (١٩٥٤)، (٣٣٩/٤)، من حديث أبي هريرة. والحديث جاء من طريق هناد، قال حدثنا أبو معاوية، عن ابن أبي ليلى، وحدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرواسي، عن ابن أبي ليلى، عن عطية، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:" من لم يشكر الناس لم يشكر الله" قال أبو عيسى الترمذي: حديث حسن صحيح، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـــ/٢٠٠٠م، ص (٣٦١/٢-٣٦٢)؛ مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة١٤٠٥هـــ/ ١٩٨٥م ص (١٨٥/٢).

إبراهيم العسكر الذي قبل برحابة صدر الإشراف على هذا البحث، موجهاً لي كل النصح، ومسدداً ومصوباً لكثير من الزلات والأخطاء طوال المشوار، فقد بذل – شكر الله سعيه – قصارى جهده في السمو بهذا البحث، فجزاه الله عنّي خير الجزاء، وجعل ما قدمه لي في موازين حسناته يوم الدين.

وكذلك الشكر موصول للمشرف المساعد فضيلة الشيخ الدكتور **عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي**، الذي قدم لي كل العون والمشورة والنصح والإرشاد ، فقد أفادني – حفظه الله – بتوجهاته السديدة، وملاحظاته الدقيقة، وآرئه القيمة، حتى رأيت منه شدة الحرص على إظهار هذا البحث بمظهر لائق، والسمو به إلى ذروة الكمال، أسأل الله أن يوفقه ويسدّد على طريق الخير خطاه.

كما أتقدم بجزيل الشكر، وعظيم الامتنان، إلى أصحاب الفضيلة أعضاء لجنة المناقشة: فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور سليمان بن صالح الغصن، وفضيلة الشيخ الأستاذ المشارك عبد الراضي محمد عبد المحسن، والأستاذ الدكتور عبد الرحمن بن عثمان الهليل الأستاذ بكلية اللغة العربية، الذين تفضلوا مشكورين بقبول مناقشة هذه الرسالة، وتحملوا عناء قراءتها، رغم ما لديهم من أعمال وواجبات. أسأل الله أن يجزيهم عني خيراً، ويجزل أجرهم، ويعظم مثوبتهم، وأن ينفعني بما يبدونه من نقد وملاحظات.

وأخيراً أشكر كل من مدّ لي يداً برأي أو اقتراح أو مشورة تتعلق بهذا البحث سائلاً المولى جلت قدرته أن يجزيهم عنّي خير الجزاء، وأن يجعل ذلك في موازين حسناتهم، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسلماً كثيراً.

التمهيد

ويشمل على:

/ عصر محمد إقبال

/ حياة محمد إقبال

عصر
محمد إقبال

- ❖الحالة السياسية.
- ❖ الحالة الاجتماعية.
- ❖ الحالة الثقافية والفكرية.

عصر محمد إقبال:

إنَّ البحث في أي شخصية كانت من العلماء والدعاة والمفكرين والأدباء يجدر أن تسبقه كلمة موجزة عن العصر الذي عاش فيه، والبيئة التي ترعرع فيها؛ لما لهما من أهمية كبيرة في تكوين شخصيته، وتنوع فكره ومعارفه، ولإلقاء الضوء على الحالة السياسية والاجتماعية والثقافية التي كانت سائدة في ذلك العصر، والوقوف على مدى تأثره بها وتأثيره فيها.

❖**الحالة السياسية:** في سنة ١٨٥٧م حدثت ثورة الهند الكبرى المعروفة بثورة (سباهي) أي العصيان، وكادت تفتك بالإنجليز لولا التفوق العسكري الذي كانت تمتاز به قوات الاستعمار البريطانية، وبعد فشل أهل الهند في هذه الثورة بدأ الانجليز بالقضاء على المسلمين، ومصادرة أملاكهم، ومنعهم من وظائفهم، ومعاملتهم معاملة وحشية وقاسية (١).

وقد حمَّل الاستعمار البريطاني المسلمين مسؤولية تأجيج الشعب ضدهم وإضرام نار الثورة، غافلين عما كانوا يفعلونه بين الهندوس والمسلمين من نشر الشقاق والتفرقة بينهم، وعد الاستعمار البريطاني المسلمين العدو الأول لهم، ولهذا عملوا على إجهاض حركاتهم وتشتيت قوتهم، حتى أنه اعترف أحد قادتهم قائلاً: ليس في وسعي أن أغفل ما أوقن به أن هذا العنصر الإسلامي عدو أصيل العداوة لنا. وينبغي أن تتجه سياستنا إلى تقريب الهندوس (٢).

---

(١) انظر: فلسفة الذات في فكر محمد إقبال، د. رائد جبار كاظم، الناشر: دار نينوى، دمشق، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩م. ص (٢٣).

(٢) انظر: الإسلام في القرن العشرين حاضره ومستقبله، عباس محمود العقاد، الناشر: نهضة مصر، بدون تاريخ طبعة. ص (٤٤).

وقد اضطهد الإنجليز مسلمي الهند أشد الاضطهاد، ومارسوا عليهم جميع ألوان العذاب، وهذا ما أكده رئيس وزراء الهند آنذاك جواهر لال نهرو، إذ قال:«بعد سنة ١٨٥٧م، كانت اليد القوية للبريطان أشد وطأة على المسلمين من الهندوس» [(١)].

ونتيجة تلك السياسة التي مارسها الاستعمار البريطاني ضد المسلمين في الهند، أُبعد المسلمون عن وظائفهم، وسدت في وجوههم السبل، فتخلفوا في ميدان الثقافة والتعليم كما تأخروا في ميادين الاقتصاد والسياسة، بعد أن كانوا أصحاب السلطة والقيادة الفكرية والشأن العظيم في المجالات السياسية والاجتماعية والإدارية كافة [(٢)]، وأدرك المفكرون المسلمون الخطر المحدق بالإسلام والمسلمين من سياسة العزلة التي لمسوها في حياتهم، ورأوا أن طابع العزلة قد أضرّ بهم وأبعدهم عن الحياة وعزلهم عن المجتمع الهندي، وقالوا بأن الحل الوحيد هو الاندماج في الحياة، وممارسة العلاقات الحسنة مع الهندوس، والاستفادة من مؤسسات التعليم الغربية، وكان من أبرز الدعاة لهذه الأفكار السيد أحمد خان [(٣)] فقد أخذ يبثُ بين مواطنيه مبادئ الحرية السياسية والاجتماعية والدينية [(٤)]، وأدخل أساليب جديدة في التربية والتعليم، قائمة على أساس الأخذ بالحضارة والعلوم الغربية، فكانت غايته أن يوفق بين معطيات الحضارة الغربية والقيم

(١) انظر: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره، د. أحمد معوض، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٨٠م. ص (١١٩-١٢٠).

(٢) انظر: فلسفة الذات في فكر محمد إقبال ص (٢٤).

(٣) السيد أحمد خان: أحمد بن المتقى بن الهادي بن عماد بن برهان الحسيني الدهلوي المعروف بـــ:"سيد أحمد خان"، بدأ حياته العلمية بدراسة القرآن الكريم، ثم تعلم العربية والفارسية، ثم درس العلوم الدينية، وعندما توفي والده التحق بالعمل بشركة الهند الشرقية (اليست انديا كمبنيا) وكان عمره آنذاك ٢١عاماً، توفي أحمد خان في مارس ١٨٩٧م، ودفن بجوار المسجد الذي بناه وسط جامعة عليكره. انظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، عبد الحي الحسيني، الناشر: دار المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى، عام١٣٩٠هـــ ١٩٧٠م. ص (٨/٣٠-٣١-٣٣)؛ الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، الناشر: دار الفكر، الطبعة السابعة ١٩٩١م. ص (٤٠- ٤٥).

(٤) انظر: مجلة فكر وفن، العدد: (٣٢)، السنة ١٦، ١٩٧٩م، مقالاً بعنوان: إقبال وحركة التجديد الإسلامية الهندية، بقلم: يوهان فوك. ص (٣٣).

الإسلامية [١]، فسعى أحمد خان إلى تنفيذ فكرته، والعمل على تحقيق كل ما يرفع من مستوى ثقافة ووعي المسلم الهندي، فأسس في عام ١٨٧٥م الكلية المحمدية الأنجلو شرقية في مدينة عليكرة، وكانت هذه الكلية تقدم للدارسين تربية حديثة على النسق البريطاني [٢] وسميت فيما بعد بجامعة عليكرة الإسلامية.

واستقدم لهذه الكلية الأساتذة الإنجليز، ومنهم السير توماس آرنولد [٣]، وكان هدف السيد أحمد خان هو جعل المسلمين على مستوى عال من الوعي والثقافة ومواكبة عجلة التقدم التي امتاز بها الغربيون، وبدافع الإشفاق على المسلمين الذين كانوا ضعفاء في الثقافة والوعي السياسي، ومتخلفين في الحياة والاقتصاد والتعليم [٤]، إلا أن المسلمين شعروا بغياب دورهم القيادي في الثقافة والسياسة والنواحي الأخرى التي كانوا يتمتعون بها سابقا، فأخذوا يجمعون قواهم ويوحدون صفوفهم فأسسوا الرابطة الإسلامية أو ما يسمى (برابطة المسلمين لعموم الهند) في مدينة دكا عام ١٩٠٦م، وقد كان لهذه الرابطة الدور الكبير في الدفاع عن المسلمين وحقوقهم والدعوة إلى قيام دولة إسلامية مستقلة منفصلة عن الهندوس. وكان إقبال في لندن عند تأسيس رابطة المسلمين في الهند، وجرى تأسيس فرع للرابطة في لندن واختير إقبال عضوا في مجلس هذا الفرع، فكان هذا أول عمل سياسي يقوم به إقبال[٥]، وتصاعد الوعي الفكري والغضب الجماهيري بضرورة رحيل الاستعمار البريطاني عن الهند.

(١) انظر: محمد إقبال مفكراً إسلامياً، محمد الكتاني، الناشر: دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى١٩٧٨م. ص (١١).

(٢) انظر: مجلة فكر وفن، العدد: (٣٢)، مقالاً بعنوان: إقبال وحركة التجديد الإسلامية الهندية، بقلم: يوهان فوك. ص (٣٢).

(٣) آرنولد: توماس وولكر آرنولد، مستشرق انجليزي، أظهر حبه للغات فتعلم العربية وكان واسع الاطلاع بالثقافة الإسلامية. بدأ تعليمة في جامعة كامبردج، وعمل باحثاً في جامعة عليكرة في الهند بدعوة من أحمد خان مدة عشر سنوات، ثم عمل أستاذاً للفلسفة في جامعة لاهور. من مؤلفاته: الدعوة إلى الإسلام توفي١٩٣٠م. انظر: الأعلام، لخير الدين الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م (٢/٩٤).

(٤) انظر: فلسفة الذات في فكر محمد إقبال ص (٢٥) .

(٥) انظر: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره ص (١٢٣-١٢٤).

ولما انتهت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م كان الحلفاء قد قرروا إنهاء الخلافة الإسلامية في تركيا، فسخط المسلمون على هذا القرار، وقامت عندئذ "حركة الخلافة"، تأييداً للسلطان العثماني ودولة الخلافة الإسلامية (١)، وجاء انفجار الثورة الهندية مرة أخرى ضد الاستعمار البريطاني عقب الحرب العالمية الأولى، بعدما تبين لقادة الهند مسلمين وغيرهم إن وعود الاستعمار البريطاني كانت كاذبة فيما يتعلق بمنح الهند حق تقرير المصير بعد الخروج من الحرب العالمية الأولى، وفي هذه المرحلة برز الزعيم الهندوسي غاندي بخطته المشهورة في المقاومة السلمية. وقد اندلعت الثورة الهندية عام ١٩١٩م فانتشرت عوامل الثورة والحقد في نفوس المسلمين ضد الإنجليز، والمستعمرين عامة من دول أوروبا، وفي هذه المدة العصيبة وحدَّتْ خيبةُ الآمال وظروف العمل السياسي المسلمين والهندوس على رأي واحد وهو مقاومة الإنجليز (٢). عندئذ شعر الإنجليز بخطورة الأمر فسعوا إلى إنقاذ أنفسهم قبل أن يفتك بهم الشعب الهندي، فدعوا إلى ضرورة الإحياء الهندوسي، وتنظيم شعبهم على أساس ديني قومي، بدعوى أن القضايا التي تثير الجماهير في الهند هي قضايا تتصل بالخلافة الإسلامية، فنجح المستعمرون الإنجليز في خطتهم هذه، وأحدثوا صراعات دامية بين المسلمين والهندوس، واستمر مسلسل المستعمرين في تفكيك الوحدة الهندية، مما اضطر المسلمين إلى الدعوة للانفصال عن الهندوس، وهذا ما نادى به إقبال مراراً وتكرارا في خطبه، داعياً إلى إقامة دولة إسلامية في الهند مستقلة عن الهندوس. وكانت غاية الشاعر محمد إقبال من إنشاء هذه الدولة غاية عظيمة، إذ يقول في خطبته التي ألقاها في الرابطة الإسلامية في مدينة "الله أباد" بالهند سنة ١٩٣٠م:«وإني لا أطالب بهذه الدولة الإسلامية إلا ويغمرني اعتقاد راسخ بأن هذا في مصلحة الإسلام والهند». ثم أخذت القناعة بالانفصال تسري بفعل الظروف والأحداث إلى بقية زعماء الرابطة الإسلامية. بعد أن أيقنوا أن المسلمين

(١) انظر: المصدر السابق ص (١٢٧).

(٢) انظر: محمد إقبال مفكرا إسلاميا ص (١٢).

والهندوس لا يمكن أن يسيروا في قافلة واحدة، ومع أن إقبال نادى بالانفصال سنة١٩٣٠م إلا أن الرابطة لم توافق على الفكرة إلا سنة١٩٤٠م، وكانت قبل ذلك تحاول أن تنتزع من حزب المؤتمر الاعتراف بحقوق المسلمين، والتعهد بالمحافظة عليها تحت راية حكم موحد يضم الجميع، ولكنها يئست من كل هذه المحاولات الفاشلة، واتجهت إلى احتضان فكرة إقبال وعملت على تحقيقها بوسائل شتى، وأصدرت قرار تقسيم الهند إلى دولتين مستقلتين في عام ١٩٤٧م، وبذلك تحققت رؤية إقبال على يد القائد محمد علي جناح [(١)].

❖**<u>الحالة الاجتماعية</u>:** المجتمع الهندي مجتمع شعوب وطبقات، تكثر فيه الأديان وتتعدد فيه اللغات والألوان [(٢)]، فقد بلغت اللغات فيه نحو (٢٤) لغة، و ٣٠٠ لهجة[(٣)]، وله نظامه المتميز، وعاداته وتقاليده وأساليبه في طرائق العيش والحياة، وأبرز ما فيه من نظام هو النظام الطبقي، وهو نظام قديم جدا، ابتدأ مع بداية الفكر الهندي القديم، الذي كان يقسم الناس إلى أربع طبقات هي: البراهمة [(٤)]، والجند، والتجار والصناع، والخدم والعبيد، وإن ثمة فئة وهم المنبوذون لا يدخلون ضمن هذا التقسيم[(٥)]. ولكن بعد دخول الإسلام إلى الهند هذب أخلاقهم وأستبدل نظام العدل والأخوة والمساواة بنظام

---

(١) انظر: فلسفة الذات في فكر محمد إقبال ص (٢٦-٢٧).

(٢) انظر: أديان الهند الكبرى، د. أحمد شلبي، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة التاسعة ١٩٨٧م. ص (٢٣).

(٣) انظر: فلسفة الذات في فكر محمد إقبال ص (٢٧).

(٤) البراهمة: أطلق في القرن الثامن قبل الميلاد على الديانة الهندوسية اسم " البرهمية " نسبة إلى " برهما " وهو في اللغة السنسكريتية معناه " الله "، ورجال دين الهندوس يعتقدون أنه الإله الموجود بذاته، الذي لا تدركه الحواس، وإنما يدرك بالعقل، وهو الأصل الأزلي المستقل، الذي أوجد الكائنات كلها، ومنه يستمد العالم وجوده، ويعتقد الهندوس أن رجال هذا الدين يتّصلون في طبائعهم بعنصر البرهما؛ ولذلك أُطلق اسم البراهمة. انظر: الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أمير علي مهنا، وعلي حسن فاعور، الناشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثامنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م. (١/١٩ ؛ ٢/٦٠١-٦٠٣).

(٥) المنبوذون: هم سكان الهند الأصليون الذي لا يجري في عروقهم الدم التوراني أو الدم الآري، ويسمون (زنوج الهند) وقد حرمهم المجتمع الهندوسي من حقوق الإنسان، ولم يسمح لهم باعتناق الهندوسية، وكانوا في رأي الهندوس أدنى من الحيوان. انظر: أديان الهند الكبرى ص (٥٧-٥٨).

الطبقات، فلا منبوذ، ولا جاهل يحرم من التعليم، فكان للإسلام – كما قال نهرو – أهمية عظيمة في تاريخ الهند الاجتماعي، فقد فضح الفساد الذي كان قد انتشر في المجتمع الهندوسي، وأظهروا فروق الطبقات واحتقار المنبوذين، ويستمر نهرو قائلا:«إن نظرية الأخوة الإسلامية والمساواة، التي كان يؤمن بها المسلمون، أثرت في أذهان الهندوس تأثيراً عميقاً، وكان أكثر خضوعاً لهذا التأثير البؤساء الذين حرَّم عليهم المجتمع الهندي المساواة والتمتع بالحقوق الإنسانية»(١).

وعلى الرغم من أن المجتمع الهندي تأثر بقيم وتقاليد الدين الإسلامي، إلا أن الفرقة كانت تدب بين صفوفهم فتنخر كيانهم، والجهل والفقر والمرض كانت أبرز تلك المظاهر الاجتماعية، التي كادت أن تؤدي بكيان الهيئة الاجتماعية إلى الاضمحلال، وبذلك نجحت السياسة الإنجليزية بأن تنشر التفرقة والتعصب الديني بين الناس، واتبعت سياسة عدوانية وهى سياسة فرق تسد، وهذا ما أكده أحد الساسة الإنجليز إذ قال:«فرق تسد هو الشعار الذي ينبغي أن نلتزمه في إدارتنا الهندية ». وأدت هذه السياسة إلى إحداث مشكلات كبيرة في البنية الاجتماعية الهندية، وشيوع كل أنواع وألوان الجور والتعسف وتضييق سبل الحياة على الشعب الهندي، مما أدى إلى سخط الجماهير وانفجار ثورة الهند الكبرى — ثورة سباهي — سنة ١٨٥٧م.

ولم يكن حال المسلمين بأحسن من حال سائر الهندوس، بل كانوا أشد تعرضاً إلى الويلات، وإلى حملات الاضطهاد والقتل والتشريد، وأقفلت أبواب الحياة بوجوههم من قبل المستعمرين، وعمل الإنجليز على تحميل المسلمين مسؤولية انفجار ثورة ١٨٥٧م وسخط وغضب الجماهير الهندية، فحرموا المسلمين من وظائفهم وطردوهم من أراضيهم وصادروا أملاكهم، وقربوا إليهم الهندوس بحجة أن المسلمين يفسدون على الهندوس ممارسة طقوسهم وشعائرهم، ويحدثون الفرقة والشقاق بينهم(٢).

---

(١) انظر: فلسفة الذات في فكر محمد إقبال ص (٢٨).

(٢) انظر: المصدر السابق ص (٢٨-٢٩).

لقد تركت الأوضاع السياسية السيئة أثرها في الأوضاع الاجتماعية في الهند، إذ أن سوء الحكم والإدارة وسياسة القمع الاستعمارية في الهند أدت إلى انتشار المشكلات والأمراض الاجتماعية، وإن معظم أفراد القارة الهندية كانوا يعيشون في بؤس وشقاء وظلم وحرمان. وكانت مهنة الفلاحة هي المورد الوحيد لرزق الشعب وقوته، فكان الفلاح الهندي مثقلا بأعباء دفع الضرائب والرسوم التي كانت تقع عليه وحده دون غيره من طبقات المجتمع. فالإقطاعيون في الهند كانوا يتبعون أنظمة إقطاعية قاسية جدا مع الفلاح، ولم يكن هذا سوى أداة لجمع المال لهؤلاء الإقطاعيين المترفين الذين كانوا ينفقون الأموال الطائلة على ملذاتهم وملاهيهم، غافلين فقر وحرمان وجوع ومرض وشقاء الشعب الهندي المثقل بهموم الحياة وأعبائها.

وإذا كان حال أهل الهند هكذا، فكيف إذن يتسنى لهم أن يحسنوا أحوالهم الاجتماعية والثقافية، ماداموا يواصلون الليل بالنهار من أجل الحصول على لقمة العيش لهم ولأطفالهم المساكين، فكان لابد من أن يشيع التخلف والفقر والأمراض الاجتماعية بين الناس فساءت حالة الشعب سياسياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وثقافياً، وفكرياً، ولم يجدوا قاعدة قوية يستندون عليها، وفقدوا كل مقومات الحياة، فما كان من الشاعر محمد إقبال ليقف موقف الصامت المتفرج، بل راح ينشر بين صفوف الشعب الهندي من خلال قصائده الحماسية وخطبه ورسائله الدورية روح الثورة وصوت الحرية، ورشح نفسه لانتخابات الجمعية التشريعية في البنجاب سنة ١٩٢٦م وفاز فيها بالعضوية بوساطة التأييد الذي حصل عليه من الجماهير، التي أحبت فيه روح الجهاد والمجاهدين المسلمين الأوائل، فبيَّن في خطبه الحالة السيئة التي يعيشها الشعب الهندي عامة والمسلمون خاصة مطالباً المسؤولين بالإصلاح السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادى من أجل بناء الفرد والمجتمع [١].

---

(١) انظر: المصدر السابق ص (٢٩-٣٠).

و لم يكن إقبال عنصرياً أو قومياً أو طائفياً في دعوته الإصلاحية هذه، بل لم يكن يطالب بحق أهل الهند فحسب، بل تراه يسعى إلى إيجاد حق وحل للإنسان أينما كان في الشرق أو في الغرب، فكانت قضيته الأولى والأخيرة هي إيجاد الحلول للإنسان بوصفه كائناً اجتماعياً، وكان يريد إنشاء مجتمع إسلامي تختفي فيه الطبقات ويتساوى فيه الناس فوق أرض الله وتحت سمائه (1).

❖**الحالة الثقافية والفكرية:** يمكن أن تقسم الحالة الثقافية والفكرية في العصر الذي عاش فيه الشاعر محمد إقبال إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول: الحركة العلمية التي كان من أبرز قادتها أحمد السرهندي(2)، وأورنك زيب (3)، وولي الله الدهلوي (4). وقد أثنى إقبال على رجال هذه الحركة وقادتها في شعره، فيقول:«أنني أقول دائما: لولا وجودهم وجهادهم لابتلعت الهند وحضارتها وفلسفتها الإسلام»(5)، وقد ظل التصوف وعلم الكلام غالبين على كل

---

(1) انظر: فلسفة الذات في فكر محمد إقبال ص (٣٠).

(2) السرهندي: أحمد بن عبد الأحد بن زين العابدين الفاروقي السر هندي، المعروف بمجدد الألف الثاني، كان في بداية حياته قد بايع على الطريقة النقشبندية وغيرها من الطرق الصوفية، ومارس فنون الرياضة، والأشغال الشاقة التي يمارسها الصوفية للتزكية بزعمهم؛ ولما وضع يده في الإصلاح والتجديد رد على الصوفية ومعتقداتهم الباطلة، توفي ١٠٣٤هـ. انظر: الأعلام (١٤٢/١)؛ التصوف والاتجاه السلفي في العصر الحديث د. مصطفى حلمي، الناشر: دار الدعوة، الإسكندرية، بدون تاريخ طبعة، ص (٢١٤-٢١٥)؛ فرق الهند المنتسبة للإسلام في القرن العاشر الهجري وآثارها في العقيدة دراسة ونقداً، د.محمد كبير أحمد شودري، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ. ص (٦٢٢-٦٤٣).

(3) أورنك زيب: محمد أورنك زيب، من سلالة تيمورلنك المشهور، من علماء الملوك المسلمين، حفظ القرآن من صغره، كان مرجعا للعلماء، وأمر الأحناف منهم بأن يجمعوا باسمه فتاوى لما يحتاج إليه من الأحكام الشرعية، توفي ١١١٨هـ / ١٧٠٧م. انظر: الأعلام (٤٦/٦)

(4) الدهلوي: أبو عبد العزيز أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي، الملقب شاه ولي الله، فقيه حنفي من المحدثين، له مؤلفات منها: الفوز الكبير في أصول التفسير، إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء، وغيرهما، توفي ١١٧٦هـ / ١٧٦٢م. انظر: الأعلام (١٤٩/١).

(5) انظر: روائع إقبال ص (١٧-١٨).

نزعة ثقافية لدى علماء المسلمين في الهند، بحيث كان الدعاة والمصلحون يركزون دعواتهم على خدمة العقيدة الإسلامية وتنقيتها من كل ما يصيبها من انحراف أو جمود[1]، وإن كانت هذه الحركة لاتخلو من نزعة صوفية هي محل نظر عند بعض الباحثين، ولكن في الجملة هي العودة إلى الكتاب والسنة.

الاتجاه الثاني: الحركة الثقافية التي قادها السيد أحمد خان، فقد أنشأ جامعة عليكرة الإسلامية، ومن بعدها أخذت الحياة تدب من جديد في الشعب والثقافة الهندية، وأعلن السيد أحمد خان أن الحل الوحيد للنهضة وكسر أصنام التخلف والأمية هـو التوفيـق بين الدين الإسلامي والحضارة الغربية، وذلك بإعادة النظر في تعاليم الإسلام وتأويلها تأويلاً جديداً، وكان لهذه الحركة أثـرٌ كبير في نشـر الفكر العصراني[2] في شبه القارة الهندية [3].

(١) انظر: فلسفة الذات في فكر محمد إقبال ص (٣٠-٣١).

(٢) العصرانية: هي الحركة التي سعت إلى تطويع مبادئ الدين لقيم الحضارة الغربية ومفاهيمها، واخضاعه لتصوراتها ووجهة نظرها في شئون الحياة. انظر: مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد، الناشر: دار الدعوة، الكويت، الطبعة الأولى١٤٠٥هـ /١٩٨٤م. ص (٩٦-٩٧)؛ المدرسة العصرانية في نزعتها المادية، محمد حامد الناصر، الناشر: مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م. ص (١٥-١٩)؛ التجديد في الفكر الإسلامي، د. عدنان محمد أمامة، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى١٤٢٤هـ. ص (٣٧٣).

(٣) تحتل شبه القارة الهندية موقعاً جغرافياً ممتازاً، فهي تتوسط نصف العالم الشرقي، حيث تمتد في جنوب آسيا من هضبة إيران وأفغانستان في الغرب إلى شبه جزيرة الهند الصينية في الشرق، ومن جبال همالايا في الشمال إلى المحيط الهندي في الجنوب، ويتكون القسم الجنوبي من هذه البلاد العظيمة من شبه جزيرة مثلثة الشكل لها سواحل في الغرب على بحر العرب، وسواحل في الشرق على خليج بنغال، وتطل على المحيط الهندي في الجنوب برأس بارز هو كوماري الذي هو أبعد أجزاء الهند نحو الجنوب. وهي تغطي بذلك مساحة قدرها ٤,٤٨٠,٠٠٠ كيلو متر مربع، أي ما يعادل نسبة ١٠**%** من مساحة القارة الآسيوية، ومساحتها تعادل مساحة أوروبا مجتمعة باستثناء روسيا، وسميت بـ: شبه القارة الهندية لضخامتها وكثرة السكان واختلاف اللغات. انظر: تاريخ الإسلام في الهند، عبد المنعم النمر، الناشر: دار العهد الجديد، الطبعة الأولى ١٣٧٨ هـ/١٩٥٩م، ص (٦٠)؛ البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها، د. عبد الله نومسوك، الناشر: أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص (٥١-٥٢) وما بعدها؛ مؤتمر اتجاهات التجديد والإصلاح في الفكر الإسلامي الحديث المنعقد ما بين ١٩-٢١ يناير ٢٠٠٩م، إعداد: محمد حلمي عبد الوهاب، ص (٦).

الحاصل أن الشاعر محمد إقبال ينهل أفكاره وآراءه من كلا الاتجاهين السابقين، وكانت نتيجة ذلك ظهور فكرة التجديد والإصلاح والدعوة عند إقبال وغيره من رجالات الأدب والعلم والفكر والدعوة في القارة الهندية على اختلاف فيما بينهم، وبجهود هذين الاتجاهين تحرر المسلمون من عقدة النقص، وبدأت بوادر نهضة علمية وثقافية جديدة بين المسلمين في الهند، فظهر - فضلا عن جامعة عليكرة الإسلامية - العديد من المدارس والمعاهد والجامعات الحديثة، كما برزت مؤسسات ثقافية، والعديد من دور النشر والترجمة، والصحف والمجلات، ومن أشهر المدارس الإسلامية الحديثة في الهند مدرسة ديوبند، ودار العلوم التابعتين لجمعية ندوة العلماء(١)، ومن المؤسسات الثقافية والعلمية في الهند دائرة المعارف بمدينة حيدر آباد التي اهتمت بإحياء كتب التراث، ودار المصنفين التي كان يترأسها الأستاذ سليمان الندوي، التي اهتمت بنشر كتب الدين والأدب والتاريخ وغيرها.

ومن رحم تلك الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية في شبه القارة الهندية وُلِد الشاعر محمد إقبال، الذي تأثر وأثَّر في بيئته التي صنعت شخصيته وفكره وآراءه الإصلاحية والاجتماعية والثقافية، كما يؤكد علماء الاجتماع أن الإنسان ابن بيئته ونتاج عصره، فالشعراء والقاصون والمفكرون والمصلحون يتقمصون روح زمنهم فيتألمون ويترنمون بآلام أبناء قومهم وأمانيهم، ويترجمون عواطف أممهم وفكر عصرهم ومشاعرهم، ومحمد إقبال هو أحد هؤلاء(٢).

---

(١) انظر: فلسفة الذات في فكر محمد إقبال ص (٣٢).

(٢) انظر: المصدر السابق – بتصرف – ص (٣٢).

حياة
محمد إقبال

- اسمه.
- مولده.
- نسبه.
- بئته الأسرية.
- حياة إقبال الدراسية والعلمية.
- نشاط إقبال الفكري والسياسي.
- مؤلفات إقبال الشعرية والنثرية.
- مرضه ووفاته.

حياة محمد إقبال:

❖**اسمه:** محمد إقبال بن الشيخ نور محمد بن محمد رفيق بن جمال الدين بن لولو حج بابا صالح.

❖**مولده:** ولد إقبال في سيالكوت، إحدى مدن البنجاب الغربية، في الثالث من ذي القعدة ١٢٩٤ هـ الموافق التاسع من نوفمبر ١٨٧٧م [١].

❖**نسبه:** يرجع نسب أسرة الشاعر محمد إقبال إلى براهمة كشمير، أسلم أحد أجداده قبل مائتي سنة في عهد الدولة المغولية في الهند، وهاجر محمد رفيق جد إقبال من قرية لوهر في كشمير إلى مدينة سيالكوت من ولاية البنجاب، وسعى محمد رفيق في طلب الرزق وكسب المعيشة، يعينه ابنه محمد نور والد إقبال في ذلك، وعرف ذلك البيت منذ ذلك اليوم بالصلاح والتصوف [٢]. يصف الشاعر محمد إقبال نسبه وأصله في ديوان ضرب الكليم تحت عنوان" إلى سيد مصاب بالفلسفة" فيقول[٣]:

وإنّي في الأصل سُوَمناتي إلى مَناةَ سَلَفي واللّاتِ
وأنت من أولاد هاشمي وطينتي من نسْل بَرْهَميَّ

فمراد الشاعر بسومناتي المعبد الوثني المعروف في الهند، وهو معبد كبير جداً هدمه السلطان محمود الغزنوي عندما فتح بلاد الهند.

ويقول أيضاً:«انظر إليَّ فما ترى في الهند غيري رجلاً من سلالة البراهمة عارفاً بأسرار الروم وتبريز» [٤].

---

(١) تعددت الآراء وتباينت في تحديد تاريخ ميلاد الشاعر محمد إقبال، فمنهم من يقول ولد في ٢٩ديسمبر عام ١٨٧٣م، ومنهم من يرى أنه ولد في التاسع من نوفمبر عام ١٨٧٧م، ولعل هذا التاريخ هو الأرجح كما قررت ذلك لجنة تاريخ ميلاد إقبال المركزية ورجحه نجل إقبال الدكتور جاويد إقبال. انظر تفصيل الاختلاف في مولد إقبال كتاب: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره، د. أحمد معرض ص (٩-١٤).

(٢) انظر: روائع إقبال ص (٢٨).

(٣) انظر: ديوان ضرب الكليم (٢/٢٥).

(٤) انظر: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره ص (١٦).

❖بيئة إقبال الأسرية:

<u>والده</u>: هو الشيخ نور محمد، ويكنى بـــ : "نتهو" أي الشيخ ذي حلقة بالأنف؛ ذلك لأنهم قـــد ثقبوا أنفه وهو لم يـــزل طفلاً حتى يعلقوا فيها حلقة جلبـــاً للحظ (وهذا بلا شك اعتقاد خاطئ)،كان نور محمد رجلاً زاهداً تقياً، يشتغل بتجارة الأقمشة والطواقي، وكان يخالط العلماء والزهاد والصوفية ويحضر مجالسهم في بلدته، وكان على معرفة من أحكام الشريعة ومطالبها بقدر الحاجة، وكان يواظب على تلاوة كتاب الله الكريم، وقد أمر أولاده بالمواظبة عليها كل يوم مؤكداً أنها مما يحصل به الفوز في الدنيا والآخرة، وعلى الرغم من عمل والد إقبال في التجارة لكسب عيشه، إلا أنه كان كثير المخالطة لرجال الصوفية وأهل العلم والمعرفة؛ مما جعله عارفا بدقائق الطريقة، متأدبا بآداب الإسلام كافة، وقد أحب الأب أن يرى في ابنه شخصا مرموقا وعلما من أعلام الفكر ورجلا تقيا من رجالات الدين، وقد تأثر إقبال بأبيه أيما تأثر، وقد ردَّدَ هذا الفضل في شعره ونثره، وذات يوم سأل السيد سليمان الندوي إقبالاً عن سر بلاغته فقال: يرجع الفضل في كل ما أنشأته من شعر ونثر إلى توجيهات أبي رحمه الله، فقد كنت تعودت أن أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح، وكان يراني والدي فيسألني: ماذا أصنع؟ فأجيبه: بأني أقرأ القرآن، وظل على ذلك ثلاث سنوات متتاليات، يسألني سؤاله فأجيبه جوابي، وفي ذات صباح قلت بعد إجابتي: ولكن لماذا تسألني عن شيء أنت بجوابه عليم؟ فقال: إنما أردت أن أقول لك، إقرأ القرآن كأنه نزل عليك، ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن وأقبل عليه، فكان من أنواره ما اقتبست، ومن بحره ما نظمت [1].

ويروي لنا محمد إقبال حادثة كان لأبيه فيها موقف حاسم، أثَّرت في نفسه أثراً باقياً صاغها شعرا في ديوانه أسرار الذات، وقع على بابنا سائل وقوع القضاء المبرم، ورفع صوته كأنه نعيب غراب، وأخذ يهز الباب، ولما آلمني تصايحه وإلحافه خرجت إليه، وأهويت على رأسه بضربة بعثرت ما بيده مما جمعه طوال يومه، فلما رأى والدي تلك

---

(١) انظر: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره ص (٢٢)؛ روائع إقبال ص (٤٩-٥٠).

الحادثة اصفر وجهه الأحمر وانحدرت الدموع نهرا على خديه وقال: تذكر يا بني جلال المحشر .. يوم تجتمع أمة خير البشر .. وارجع البصر كرة إلى لحيتي البيضاء .. ونحول جسمي المرتعش بين الخوف والرجاء .. كن يا بني من البراعم في غصن المصطفى .. وكن وردة من نسيم ربيعه .. واظفر من خلق محمد صلى الله عليه وسلم بنصيب [1].

وقد عمّر والد إقبال طويلا، وشهد نجم إقبال يرتفع، واسمه يلمع بين العظماء والمرموقين وقد شارف على المائة، وتوفي في سيالكوت في السابع عشر من أغسطس ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م، ودفن في ضريح الإمام صاحب، وقد أرَّخ إقبال وفاة والده ببعض الأبيات التي كتبت على ضريحه جاء فيها:«قد رحل والد إقبال ومرشده عن هذا العالم، وكلنا راحلون»[2].

ومما يجدر التنبيه إليه في هذا المقام أن الكتابة على القبر لا تجوز سواءً كتب عليها اسم الميت، أو كتب آيات قرآنية، أو غيرهما، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال:«**نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ**»[3]، وزاد أبو داود والنسائي والترمذي وغيرهم:«**أَوْ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهِ**»[4]. واتفق أهل العلم على أن

---

(١) انظر: فلسفة الذات في فكر محمد إقبال ص (٣٨-٣٩).

(٢) انظر: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره ص (٢٥).

(٣) الحديث أخرجه مسلم بن الحجاج النيسابوري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه، رقم الحديث: (٩٧٠)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. (٦٦٧/٢) من حديث جابر.

(٤) الحديث أخرجه الإمام أبو داود، باب: في البناء على القبور، رقم الحديث (٧٢٧٠)؛ (٢٣٥/٢) من حديث جابر؛ أخرجه الإمام النسائي، باب: الزيادة على القبر، رقم الحديث (٢١٥٤)؛ (٦٥٢/١)؛ أخرجه الترمذي، باب: كراهية تجصيص القبور والكتابة عليها، رقم الحديث(١٠٥٢)؛ (٣٦٨/٣). والحديث صححه الألباني في: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني بإشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م. (١٣١/٣) رقم الحديث: (٧٥٧) من حديث جابر.

الكتابة على القبور مما ورد النهي عنه والتحذير منه [١]، وعللوا – أي العلماء – بأن الكتابة قد تكون وسيلة من وسائل الشرك وذرائعه [٢]، فقد يأتي جيل من الناس فيما بعد ويقول: إنَّ هذا القبر ما كتب عليه إلا لأن صاحبه فيه خير ونفع للناس، وبهذا حدثت عبادة القبور.

يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن [٣] رحمه الله:«ثبت بالكتاب والسنة النهي عن ذلك أشد النهي، وقرر الفقهاء منع الكتابة على القبور والقباب وعلى جدران المساجد ونحوها، ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خلفائه الراشدين، ولا أهل القرون المفضلة يفعل ذلك لا في حياته، ولا بعد مماته...»[٤].

أما أُمُّه فهي: السيدة إمام بي، كانت تقية أمينة سخية، لم تعرف القراءة والكتابة لكنها كانت مواظبة على الصلاة والصوم، وكانت معروفة بين النساء بالتقوى والأمانة وتدبير الأمور، وكان نساء الحي يرجعن إليها في حل مشكلاتهن وتحكيم نزاعاتهن والحفاظ على أماناتهن، وقد توفيت قبل زوجها بست عشرة سنة في التاسع من نوفمبر عام١٩١٤م الموافق ١٣٣٣هـ عن عمر ناهز الثمانية والسبعين عاما، ولقد رثى إقبال

---

(١) انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، مسعود بن أحمد الكاساني، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية١٩٨٢م. (٣٢٠/١)؛ روضة الطالبين وعمدة المفتين، يحي بن شرف الدين النووي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ. (٦٥٢/١).

(٢)انظر: النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين، حمد بن ناصر بن معمر، تحقيق: عبد السلام آل عبد الكريم، الناشر: مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ . ص (١٢٥)؛ الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب، حمد بن ناصر بن معمر، تحقيق: عبد السلام آل عبد الكريم، الناشر: دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ . ص (٩١-٩٤).

(٣) عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، النجدي، الأزهري، من أعلام الدعوة السلفية الإصلاحية في نجد، من مؤلفاته: مصباح الظلام في الرد علة من كذب على الشيخ الإمام، ومنهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس، وعيون المسائل وغيرها، توفي سنة ١٢٩٣هـ . انظر: الأعلام (١٨٢/٤).

(٤) انظر: مصباح الظلام في الرد علة من كذب على الشيخ الإمام، عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، تحقيق: إسماعيل بن عتيق، الناشر: دار الهداية، الرياض. ص (٢٤٧).

أمه بقصيدة طويلة حملت في طياتها العديد من المعاني المعبرة، والعواطف الجيّاشة، والأحاسيس المرهفة، يقول إقبال في مقطوعة شعرية:«إنَّ قلبي عامر بآلام ذكراك مثلما تعمر الكعبة بدعاء المؤمنين» [(١)].

أخوة إقبال:كان لمحمد إقبال أخ واحد وأربع أخوات، فالأخ هو الشيخ عطاء محمد وكان أكبر من إقبال بثمانية عشر عاماً، والأخوات هن: السيدة فاطمة بي، والسيدة كريم بي، والسيدة زينب بي، والسيدة طالع بي، وكانت الأسرة متوسطة المعيشة قد سادها الهدوء والهناء والتدين والقناعة [(٢)].

زوجات إقبال وأولاده: تزوج إقبال ثلاث مرات، وقد أثمر زواجه الأول ابنه آفتاب إقبال المحامي، أمّا ابنته من هذا الزواج فهي لم تعمَّر طويلاً، إذ توفيت في العام الثاني عشر من عمرها، وأثمر زواج إقبال الثاني طفلة ماتت في صغرها كما توفيت أمها أثناء ولادتها، وأنجب إقبال من زوجته الثالثة ابنه جاويد "وهوالقاضي بمحكمة لاهور العليا"، وابنته منيرة بانو، وقد تزوجت في باكستان، وتعيش مع زوجها ميّان صلاح بن أمير الدين – صديق إقبال – حياة هانئة [(٣)(٤)].

---

(١) انظر: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره ص (٣٠).

(٢) انظر: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية، د. خليل الرحمن عبدالرحمن ص (٥٥)، الناشر: دار حراء للنشر، مكة المكرمة، الطبعة الأولى١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

(٣) انظر: المصدر السابق (٥٥).

(٤) مصادر ومراجع كتبت عن سيرة الشاعر محمد إقبال:

١. الموسوعة العربية العالمية ص (٢/٤١٠).
٢. العلامة محمد إقبال حياته وآثاره، د .أحمد معوض ص (٥-٩٢).
٣. محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، د. عبد الوهاب عزام ص (٣-٤٧).
٤. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي ص (٤٢٥حاشية رقم : ١).
٥. روائع إقبال، لأبي الحسن الندوي ص (٢٨-٣٧).
٦. فلسفة إقبال، د . علي حسون ص (٩-١٩).
٧. محمد إقبال مفكراً إسلامياً، محمد الكتاني ص (١٩-٢٣).
١٠.إقبال الشاعر الثائر، د . نجيب الكيلاني ص (٨) وما بعدها.

١١. المفكر الإسلامي الكبير العلامة محمد إقبال، د. عبدالله الطرازي ص (٤).
١٢. محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية، د. خليل الرحمن عبدالرحمن ص (٤٧-٥٥).
١٣. الاتجاه الإسلامي في شعر محمد إقبال، د. صلاح الدين الندوي.ص (٥١-٦١).
١٤. محمد إقبال فكره الديني والفلسفي، د. محمد العربي بوعزيزي ص (٥٩-٩٧).
١٥. مقدمة ديوان الأعمال الكاملة لشاعر الإسلام محمد إقبال، ترجمة د. حازم محفوظ ص (٧-٨).
١٦. النــزعة المادية في العالم الإسلامي، عادل التل ص (٢٧٩-٢٩٦).
١٧. رسالة ماجستير بعنوان: الاتجاهات الفكرية الإسلامية في العالم الإسلامي دراسة وتقويم (٢/٤٧٤-٤٩٧)، إعداد : عبدالله بن محمد الصرامي، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية،كلية الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية، العام الجامعي١٤١١هـ .
١٨. بحث بعنوان: دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب وأصداؤها في فكر محمد إقبال، بقلم د. محمد السعيد جمال الدين ص (٢).
١٩. محاضرة بعنوان: محمد إقبال ومكانته العالمية، ألقيت في النادي الأدبي بمكة المكرمة، ألقها الدكتور الحافظ عبد الرحيم محمد حنيف، الأستاذ المشارك بجامعة بهاء الدين زكريا ملقان في باكستان يوم الثلاثاء ٩/٢/ ١٤٢٨هـ الموافق ٢٧فبراير٢٠٠٧م، وكان الدكتور باستضافة معهد اللغة العربية لغير الناطقين بها التابع لجامعة أم القرى.
٢٠. سلسلة من عظماء الإسلام – حلقات تلفزيونية- يلقيها د. زغلول النجار، الحلقة التاسعة بعنوان: محمد إقبال، راجع رابط الحلقة عبر الشبكة العالمية: **http://www.elnaggarzr.com/index.php?med=a678a9ab189b7e1e6c4bad481ac532c2**
٢٢.محاضرة بعنوان: محمد إقبال شاعر الإيمان والحب والطموح، د. عائض القرني، تسجيلات الشبكة الإسلامية، راجع الرابط على الإنترنت: **http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=audioinfo&audioid=20548**

❖وهناك العديد من المجلات الدورية، والبحوث المحكمة، ترجمت للشاعر محمد إقبال وتحدثت عن شعره وفكره، انظر على سبيل المثال:

١. مجلة فكر وفن، العدد: (٣٢)، عام ١٩٧٩م، ص (٥- ٣٤).
٢. مجلة التراث العربي، العدد: (٢٣) شعبان ١٤٠٦هـ الموافق ابريل ١٩٨٦م. ص (٧-٨).
٣. مجلة القافلة، العدد: (٧)، رجب١٤١٧هـ. (٤٥/٣٨-٣٩).
٤. مجلة أحوال المعرفة، العدد: (٢٤)، المحرم ١٤٢٣هـ الموافق مارس ٢٠٠٢م. ص (٢٩).
٥. مجلة الأدب الإسلامي، العدد: (٢٣)،١٤٢٠هـ. ص(٦/٢٨-٢٩).
٦. مجلة المجلة العربية العدد: (٣٦٩)، شوال ١٤٢٨هـ الموافق نوفمبر٢٠٠٧م. ص (٤-٥).
٧. مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد: (٥)، شهر محرم ١٤١٢هـ الموافق يوليو١٩٩١م، ص (٣٦٠-٣٦١).

❖**حياة إقبال الدراسية والعلمية:** اهتم والد إقبال بتربية ولده تربية صالحة عامرة بالإيمان وبروح الإسلام، فكان معلمه الأول الذي يغذيه بالعلم والأخلاق، وكان شديد الحرص على أن يتعلم ولده القرآن الكريم، ويحفظ سوره وآياته، وأراد له أن يقرأه كأنه نزل عليه، وبعد ذلك أدخله أحد الكتاتيب المعدة لتحفيظ القرآن في سيالكوت، وأراد الوالد لابنه أن يتفرغ لدراسة الدين الحنيف، ولكن صديقه مير حسن – أستاذ اللغة العربية والفارسية في كلية سيالكوت – لم يوافقه الرأي، وقال له: هذا الصبي ليس لتعليم المساجد، وسيبقى في المدرسة، ودخل إقبال المدرسة الابتدائية في سيالكوت، وبعدها التحق بمدرسة البعثة الاسكتلندية للدراسة الثانوية، إذ تلقى أصول اللغة العربية والفارسية على يد مير حسن، وبدأ إقبال في مرحلة مبكرة من حياته بكتابة الشعر، وشجعه أستاذه مير حسن على ذلك، وحثه على أن يكتب بالأوردو بدل البنجابية، وأرسل إقبال بعضاً من أشعاره إلى شاعر الهند الكبير (ميرزا داغ دهلوي) ليقرأها وينقحها، فرأى أنها لا تحتاج إلى تنقيح وتصحيح، وفرغ إقبال من الدرس في الكلية الاسكوتية سنة ١٨٩٥م، وبعدها انتقل إلى لاهور، ودخل كلية الحكومة في هذه المدينة، وجدَّ في الدرس والتحصيل العلمي كعادته فكان موضع الإعجاب في علمه وذكائه وأدبه، وتخرج في هذه الكلية حاصلا على شهادة البكالوريوس في الأدب، وكان ذلك في سنة ١٨٩٧م، وفي سنة ١٨٩٩ حصل

❖ **وأيضاً هناك العديد من المواقع والمنديات على الشبكة العالمية " الإنترنت " كتبت عن حياة، وأشعار محمد إقبال منها:**

١. منتديات أسواق المربد، مقالاً بعنوان: محمد إقبال روعة وجمال، بقلم: طارق شفيق حقي.
٢. منتدى الإسلام اليوم، مقالاً بعنوان: محمد إقبال شاعر الهند والإسلام، بقلم: محمد أبومليح .
٣. موقع صيد الفوائد مقالاً بعنوان: كن مثل إقبال همّاً وشعراً، بقلم: د. عائض القرني.

راجع الروابط على الإنترنت:

منتديات أسواق المربد: **http://www.merbad.net/vb/showthread.php?t=149**

منتدى الإسلام اليوم: **http://muntada.islamtoday.net/t20941.html**

موقع صيد الفوائد: **http://www.saaid.net/Minute/mm74.htm**

على شهادة الماجستير [1]، ومن أبرز الذين تلقى إقبال على أيديهم العلم في جامعة لاهور المستشرق توماس آرنولد، الذي أعجب بفطنة إقبال وذكائه، وكذلك استفاد إقبال كثيراً منه في النصح والإرشاد.

وقد نال إقبال في دراسته الجامعية العديد من الميداليات الذهبية والفضية، وبعد حصوله على درجة الماجستير في الآداب عُين معيداً للغة العربية في الكلية الشرقية بجامعة البنجاب، وكان يلقي العديد من المحاضرات في مادة التاريخ والتربية الوطنية والاقتصاد، واستمر في هذه الجامعة مدة أربع سنوات [2]، وقد جذب حسن خلقه وسعة أدبه وعلمه التلاميذ والزملاء فأصبح بعدئذ أستاذاً مساعداً في الكلية الحكومية بلاهور وذاع صيته وملأ الآفاق بشعره وفكره فأعجب الناس به وراحوا يتناقلونه من ناد إلى ناد [3]، ولكن طموح إقبال وتطلعه إلى إثراء ثقافته، وإغناء معارفه، ومضاعفة معلوماته، وتوسيع آفاقه، كان يتطلب منه مواصلة مسيرته الدراسية، فعزم على الرحيل إلى أوروبا اتباعاً لمشورة أستاذه توماس آرنولد وعمره يومئذ اثنتان وثلاثون سنة، ولكن إلى أي بلد من بلاد أوروبا الواسعة سيذهب إقبال ؟ لقد وقع اختياره على انجلترا لتكون مكان دراسته بجامعتها الشهيرة كامبردج، فالتحق إقبال بها ليدرس الفلسفة، وتم له ذلك على يد الأستاذ ما كتجارب، والأستاذ جيمس ورد، وكان ذلك في سنة ١٩٠٥م، وحصل على درجة في فلسفة الأخلاق من جامعة كامبردج على يد ماكتجارت، وقد عقد إقبال الكثير من العلاقات الحسنة مع الشخصيات الفكرية والثقافية في انجلترا، فتعرف على براون، ونيكلسن، وهما من كبار المستشرقين في انجلترا، ولهذه الصداقة المتينة جوانب إيجابية بين الطرفين، إذ كان إقبال يحدث براون ونيكلسن عن الحضارة الإسلامية، مقارنة بالحضارة الأوروبية، كما أنها كانت سبباً قوياً في تعريف إقبال إلى

---

(١) انظر: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره ص (٣٣-٣٧)؛ محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره ص (١٩-٢١)؛ فلسفة الذات في فكر محمد إقبال ص (٤٠).

(٢) انظر: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره ص (٤١ — ٤٢).

(٣) انظر: روائع إقبال ص (٢٩).

العالم الغربي، فقد قام نيكلسن بترجمة ديوان إقبال أسرار خودي إلى الإنجليزية سنة ١٩٢٠م، وقدم نيكلسن لهذا الديوان مقدمة عرف بها إقبالاً وفلسفته إلى العالم أجمع، وقد شاع ذكر إقبال بفضل نيكلسن وترجمته لأسرار الذات، بعد ذلك سافر إقبال من انجلترا إلى ألمانيا للحصول على شهادة الدكتوراة فتعلم اللغة الألمانية والتحق بجامعة ميونخ وحصل منها على شهادة الدكتوراة بأطروحته الموسومة:" **تطور الفكر الفلسفي في إيران**" التي جرت تحت إشراف الأستاذ الدكتور فراتز هومل، وقد كتبها بالانجليزية، وقدمت لإقبال في هذه الجامعة الكثير من التسهيلات والمساعدات بتوجيه من أستاذه ماكتجارت في كامبردج، وفي مكتبات ألمانيا وجامعاتها توسع إقبال في قراءة الفكر الغربي عامة والألماني خاصة، فعرف الشاعر جوته، والفيلسوف نيتشه، وغيرهما.

وبعد حصوله على الدكتوراة سافر إقبال من ألمانيا إلى لندن؛ ليدرس القانون والسياسة، وهى أمنية إقبال التي جاء إلى لندن ليحققها، فحصل على إجازة الحقوق بامتياز من لندن، ولم يقتصر نشاط إقبال العلمي والثقافي في أوروبا على الدراسة فقط، وإنما استطاع أن يجعل من نفسه داعية للثقافة الشرقية والفكر الإسلامي وتعاليمه بين الأوربيين، فأثناء إقامته في لندن قبِل عرضا من جامعتها لتعيينه أستاذاً للغة العربية خلفاً لأستاذه توماس آرنولد، ولم يقتصر على ذلك، بل بدأ يلقي المحاضرات عن الإسلام في هذه الجامعة، فكانت موضع اهتمام الطلبة، وقامت الصحافة بنشرها والتعليق عليها، ثم انتقل بعد ذلك إلى أسبانيا لزيارة الأماكن التاريخية مثل قصر الحمراء، وجامع قرطبة.

والحاصل أن الشاعر محمد إقبال كانت له مكانة بارزة في المجال العلمي والتربوي والإصلاحي في القارة الهندية، وأحبه الصغير والكبير، الشرقي والغربي، وقد نجح في جذب الناس إليه بأفكاره وأشعاره، وحسن خلقه وأدبه (١).

(١) انظر: فلسفة الذات في فكر محمد إقبال ص (٤١-٤٣)؛ محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره ص (١٩ – ٣٠).

❖**نشاط إقبال الفكري والسياسي:** عاد الشاعر محمد إقبال إلى وطنه يوم الاثنين ٢٧ يوليو (حزيران) سنة ١٩٠٨م بعد أن قضى في بلاد الغرب ثلاث سنوات، واستقبله أهله وأحباؤه وأصدقاؤه كما يستقبل القادة والزعماء ودعاة الفكر والإصلاح النجباء، وأقيمت له الاحتفالات بعد طول غيبته، وأنشدت القصائد في حبه، جاء في واحدة منها بيت معناه: «طال حنيننا إلى شعرك يا من طبق الآفاق صيته في الشعر»[(١)]، وبعد استقراره في وطنه بدأ مرحلة جديدة في نشر أفكاره وآرائه بين الناس، يحذرهم من بريق الحضارة الغربية الزائف، ودسائس الأوربيين ومكائدهم، وحثهم على التمسك بالدين الحنيف، والجهاد في سبيل الله من أجل إعلاء كلمة التوحيد **لا إله إلا الله**، وبعدها عُين إقبال سنة ١٩٠٩م أستاذا للفلسفة في كلية لاهور الحكومية، وبجانب ممارسته للتدريس أخذ يمارس وظيفته الجديدة وهى المحاماة، وأخذ يدافع عن المظلومين، إلا أنه لم ينجح في التوفيق بين الوظيفتين فاستغنى عن التدريس واكتفى عنها بالمحاماة، لأن فيها حرية في التعبير عن الرأي وبعيدة عن أنظار الإنجليز، وكان إقبال في عون المظلوم، ولا يقبل أن يدافع عن قضية ما لم يجد فيها الصدق والأمانة والمظلومية، والجدير بالذكر أن إقبالاً لم يتخذ هذه الوظيفة تجارة لجمع المال، كما يفعل الكثير من المحامين في كل مكان وزمان، إلا أن ممارسة إقبال للمحاماة واستقالته من الجامعة الحكومية لم تفصله تماما عنها، إذ شارك في لجانها ومجالسها، واستمرت صلته بالكلية الإسلامية بلاهور والجامعة الوطنية بدلهي، وعمل عميداً لكلية الدراسات الشرقية ورئيسا لقسم الدراسات الفلسفية سنوات عدة[(٢)].

كانت حياة الشاعر محمد إقبال مليئة بالنشاط الفكري والثقافي والسياسي والاجتماعي والتربوي، إذ لم تقتصر حياته الثقافية والعلمية على التدريس والمحاماة، بل سعى إلى تقديم كل ما فيه صلاح للإنسان والإنسانية. وحضر العديد من الندوات والمؤتمرات السياسية، ففي عام ١٩٢٦م رشح نفسه لانتخابات الجمعية التشريعية في

(١) انظر: المصدر السابق ص (٣١).

(٢) انظر: المصدر السابق ص (٣٢)؛ فلسفة الذات في فكر محمد إقبال ص (٤٣).

البنجاب، وفاز في الانتخابات بتأييد جماهيري واسع [(١)]، وفي سنة ١٩٢٨م دعت (جمعية مسلمي مدراس) إقبالاً فلبى الدعوة في أواخر ديسمبر (كانون الأول) ١٩٢٨م، وألقى ثلاث محاضرات عن الإسلام، وهى جزء من محاضراته الست التي جمعت فيما بعد في كتاب: (تجديد التفكير الديني في الإسلام)، وكان هدف إقبال في هذا الكتاب هو بناء الفلسفة الدينية الإسلامية بناءً جديداً، آخذاً بعين الاعتبار المأثور من فلسفة الإسلام إلى جانب ما جرى على المعرفة الإنسانية من تطور في نواحيها المختلفة [(٢)]، وفي سنة ١٩٣٠م انتخب رئيسا للاجتماع السنوي التاريخي للرابطة الإسلامية المنعقد في مدينة (الله آباد) وألقى خطبة حماسية ووطنية تدل على نشاطه السياسي الواسع، وأخذ يدعو فيها المسلمين الهنود إلى التمسك بالوحدة الإسلامية، كما دعا فيها إلى إقامة دولة مستقلة للمسلمين وفصلهم عن الهندوس، ودعي إقبال لحضور مؤتمر المائدة المستديرة الثاني في لندن ليمثل المسلمين، فذهب سنة١٩٣١م ملبيا الدعوة وجاءته الدعوة في لندن من حكومة فرنسا وأسبانيا وإيطاليا [(٣)]، فالتقى بالزعيم موسوليني – الدكتاتور الإيطالي – في إيطاليا، وبالفيلسوف الفرنسي هنري برجسون في فرنسا [(٤)]. وفي سنة ١٩٣٢م حضر مؤتمر المائدة المستديرة الثالث في لندن، وقام إقبال بالعديد من الرحلات والزيارات خارج الهند، من بلاد العرب والغرب والدول الإسلامية، فقد ذهب إلى مصر وفلسطين وأفغانستان

(١) انظر: المصدر السابق ص (٤٤) .

(٢) انظر: كتاب تجديد التفكير الديني في الإسلام، تأليف محمد إقبال، ص (٢)، ترجمة عباس محمود، وراجع المقدمة والفصل الأول منه عبد العزيز المراغي بك، وراجع البقية د. مهدي علام، الناشر: مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهر، ١٩٥٥م.

(٣) انظر: فلسفة الذات في فكر محمد إقبال ص (٤٥).

(٤) برجسون: هنري برجسون فيلسوف فرنسي كبير ورائد من رواد الفلسفة الوجدانية، وضع فلسفة للتطور الخالق، وكان له أثر ملحوظ في الأدب والفلسفة في السنوات الأولى من القرن العشرين؛ له مؤلفات من أشهرها: التطور الخالق، ومنبع الأخلاق والدين، والطاقة الروحية، وغيرها. توفي سنة١٩٤١م. انظر: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، فؤاد كامل، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م. ص (١٢٧-١٣٧)؛ الموسوعة العربية العالمية، الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، الطبعة الثانية١٤١٩هـ / ١٩٩٩م. (٦٠٤/٢٥).

وايطاليا وأسبانيا وفرنسا، ورأس حزب مسلمي الهند وجمعية حماية الإسلام، وعلى الرغم من النشاط الفكري والسياسي الواسع الذي امتاز به إقبال وعقده للمؤتمرات وحضوره للدعوات وترأسه للجلسات، إلا أن ذلك لم يمنعه عن الكتابة والتأليف بل كان على الرغم من هذه المشاغل دائم العطاء فألف العديد من الدواوين الشعرية، ونشر المقالات في الصحف، وألف الكتب العلمية والمنهجية، وأعظم هدية أهداها إقبال إلى الأمة الإسلامية الهندية هو دعوته لإقامة دولة باكستان، التي تحققت بعد وفاته في عام ١٩٤٧م على يد القائد محمد على جناح، وكان إقبال موجهاً وقائداً وداعياً إلى الحرية والإصلاح ففي١٤ أبريل (نيسان) ١٩٣٨م قدمت إليه مجموعة من المناضلين، كانوا قد عزموا للسفر إلى كلكتا؛ لإجراء مباحثات سياسية، وقرروا أن يزوروا إقبالا قبل سفرهم، فزاروه في ذلك اليوم، وألقى عليهم إرشاداته ونصائحه، فقال لهم: عليكم أن تذهبوا وتناضلوا من أجل حقكم حتى النهاية، فلقد وقع بنا حيف شديد، وقال لهم أيضا: لا تمكنوا أحدا منكم، واستمر بنشاطه هذا حتى وفاته سنة ١٩٣٨م [1].

❖**مؤلفات إقبال الشعرية والنثرية:** ترك محمد إقبال تراثاً كثيراً ومتنوعاً بين النظم الشعري، والتأليف النثري، والمقالات والرسائل الخاصة والعامة، التي يكتبها في المناسبات، أو يرسلها إلى أصدقائه ومعاصريه من العلماء والشعراء والأدباء والزعماء وأرباب الفنون وغيرهم، والجدير بالذكر أن إقبالاً كتب بلغات عِدَّة منها الأردية والفارسية والإنجليزية، واللغة الأم عند إقبال هي الأردية، ولكنه أكثر من النظم في اللغة الفارسية لأمور منها:

١. أن اللغة الفارسية لها القدرة على إيصال الشاعر محمد إقبال إلى جمهور أوسع من اللغة الأردية، وهي اللغة السائدة والمعتبرة بعد اللغة العربية، ولسان الثقافة والدعوة الإسلامية، فإنها — أي الفارسية – لغة تتكلّم بها دولتان إسلاميتان

---

(١) انظر: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره ص (٢٠٠)؛ فلسفة الذات في فكر محمد إقبال ص (٤٥ -٤٦).

إيران وأفغانستان، وكانت تفهم في الهند، ويعرفها أهل تركستان وعدد من مناطق روسيا.

٢. أن أسلوب الشعر الأردي المعروف في عصر إقبال لم يكن يصلح لبيان الآراء الفلسفية الغامضة والأفكار المسلسلة المرتبطة بالدقة، بينما اللغة الفارسية كانت تمتلك تراثاً معروفاً في ذلك النوع من الشعر وقد ازداد إقبال معرفة به حين أعدَّ رسالته للدكتوراه " تطوّر الفكر الفلسفي في إيران " [(١)].

ولكنَّ إقبالاً لاحقاً وبتوجيه من أستاذه السيد مير حسن قرر أن يكتب بالأردية بعد أن اكتشف أن معظم شعبه الأصلي من الهنود لا يفهمون الفارسية. ونجمل القول في أن مؤلفات إقبال على قسمين:

❖**أولاً: المؤلفاته الشعرية:-** نظم الشاعر محمد إقبال شعره باللغة الأُردية، والفارسية، ونزراً باللغة العربية [(٢)]. ويمكن أن نقسم مؤلفاته الشعرية قسمين:

❖أ: مؤلفاته في الفارسية:

١. أسرار خوذي ورموز بيخوذي: أي الأسرار والرموز، أسرار إثبات الذات ورموز نفي الذات، وهذا الديوان ترجمه من الفارسية إلى العربية الدكتور عبدالوهاب عزام.

٢. بيام مشرق: أي رسالة المشرق، وهذا الديوان ترجمه من الفارسية إلى العربية الدكتور عبدالوهاب عزام.

---

(١) انظر: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره ص (٣٢٩)؛ مقدمة كتاب الأعمال الكاملة لشاعر الإسلام محمد إقبال، د. حازم محفوظ ص (١٠)، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م؛ محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٧٣)؛ فلسفة الذات في فكر محمد إقبال ص (٨٦).

(٢) مما وقف عليه الباحث شعراً لإقبال باللغة العربية ما قاله عندما حضرته الوفاة: أنا مسلم، لا أهاب الموت، سأُحيي الموت مبتسماً. انظر: روائع إقبال ص (٣٧)؛ مجلة فكر وفن، عدد : (٣٢)، مقالاً بعنوان: المقابلة الأخيرة مع إقبال ص (٥٧).

٣. زبور عجم: أي أناشيد فارسية، وهذا الديوان ترجمه من الفارسية إلى العربية الدكتور حسين مجيب المصري.

٤. جاويد نامة: أي رسالة الخلود، وهذا الديوان ترجمه من الفارسية إلى العربية شعراً الدكتور حسين مجيب المصري.

٥. مسافر: فقد سجل إقبال في هذا الديوان ذكريات رحلته إلى أفغانستان وانطباعاته عنها، وخاطب فيها الملك نادر شاه وقبائل الأفغان، ولم أقف على ترجمة لهذه المقطوعة.

٦. أرمغان حجاز: أي هدية الحجاز – هدية العائد من الحج –، وهذا الديوان ترجمه من الفارسية إلى العربية شعراً الدكتور حسين مجيب المصري.

❖ ب: المؤلفات في الأُردية:-

١. **بس جه بايدكرد**: أي والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق؟، وهذا الديوان ترجمه إلى اللغة العربية نثراً الأستاذ محمود أحمد غازي، وصاغه بالعربية شعراً الشيخ صاوي شعلان المصري.

٢. **بانكادرا**: أي صوت الجرس، أو جرس القافلة، أو جرس الرحيل، أو صلصلة الجرس، أو رنين الجرس، ترجمه إلى العربية نثراً ثم صاغه بالعربية شعراً الشيخ صاوي شعلان المصري.

٣. **بال جبريل**: أي جناح جبريل، وهذا الديوان ترجمه من الأُردية إلى الفرنسية نثراً السيد ميرزا سعيد ظفر شاغتي، والسيدة سوزان بوسك، ثم نقله من الفرنسية إلى العربية نثراً الأستاذ عبدالمعين الملُّوحي، ثم صاغه بالعربية شعراً الأستاذ زهير ظاظا.

٤. **ضرب كليم**: أي عصا موسى، أو إعلان الحرب ضد العصر الحاضر، وهذا الديوان ترجمه من الأُردية إلى العربية الدكتور عبدالوهاب عزام.

٥. **باقيات إقبال:** وهذا الديوان يضم معظم شعر إقبال الذي لم ينشر ضمن دواوينه المذكورة، وقد طبعت ونشرت أكثر من مرة، الطبعة الثالثة رتبها السيد عبد الواحد معيني والسيد محمد عبدالله قريشي، وتضم هذه المجموعة (٦٠٨صفحة).

ثانياً: المصنفات النثرية:-

١- **تجديد التفكير الديني في الإسلام**، وهذا الكتاب مجموعة من المحاضرات التي ألقاها بالإنجليزية في مدراس، وميسور، وحيدرآباد، وعليكرة في عامي ١٩٢٨م و ١٩٢٩م، وتُرجم هذا الكتاب إلى الفرنسية على يد السيدة الدكتورة إيفا مرو فبتش، والبنغالية على يد إبراهيم خان وسعيد الرحمن، والأُردية على يد السيد نذير نيازي، والفارسية على يد أحمد آرام، والتركية على يد صوفي حورى، والبشتو على يد البوفيسيور سيد الأبرار، وترجمها إلى اللغة العربية السيد عباس محمود العقاد، تحت عنوان: تجديد التفكير الديني في الإسلام؛ وهذا الكتاب عمدةٌ في هذه الأطروحة وعليه المدار بعد النظم والأشعار، تكلم فيه إقبال عن المعرفة والخبرة الدينية، والاختيار الفلسفي للخبرة الدينية، ومفهوم الألوهية ومعنى الصلاة، والذات الإنسانية حريتها وخلودها، وروح الثقافة الإسلامية ومبدأ الحركة (الاجتهاد) والتطور في الإسلام، وهل الدين ممكن ؟ [(١)].

٢- **تطور الفكر الفلسفي في إيران**، وهي الرسالة التي حصل بها إقبال على درجة الدكتوراة في الفلسفة من جامعة ميونخ الألمانية، وهذه الرسالة جاءت إسهاما في تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمها من الإنجليزية إلى العربية الأستاذ الدكتور حسن محمود الشافعي، والأستاذ الدكتور محمد السعيد جمال الدين، كما ترجمها الأديب الدكتور حسين مجيب المصري إلى لغة الضاد، واعتمدت الترجمة الأولى. وأهدى إقبال هذه الرسالة إلى أستاذه المستشرق آرنولد، يقول إقبال في مقدمة الأطروحة:«عزيزي مستر آرنولد: هذا الكتيب هو الثمرة الأولى من ثقافة أدبية فلسفية، وإني ألتمس إهداءه إلى

(١) انظر: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره ص (٢٥٨-٢٥٩) .

اسمكم آية عرفان بالجميل .. لقد كانت أحكامك عليّ تتسم دوماً بروح السماحة وإني لآمل أن يكون حكمك على هذه الصفحات نابعاً من الروح ذاتها ... تلميذكم الودود إقبال »[1]، وقسم إقبال هذه الرساله إلى قسمين :

- الأول : تناول فيه الفلسفة الإيرانية قبل الإسلام.
- الثاني : الفكر الفلسفي بعد الإسلام وضمَّنه خمسة فصول:
  - الفصل الأول: المشاؤون الفرس المتأثرون بالأفلاطونية المحدثة.
  - الفصل الثاني: ظهور المذهب العقلي في الإسلام وانهياره.
  - الفصل الثالث: النزاع بين المالية والواقعية.
  - الفصل الرابع: التصوف.
  - الفصل الخامس: الفكر الإيراني في العصر الحديث.
  - الخاتمة والفهارس.

٣. السياسة المدنية وهذا من أول مصنفاته بالأردية.
٤. علم الاقتصاد باللغة الأردية ونشر في لاهور عام ١٩٠٣م.
٥. الترجمة والتلخيص بالأردية لكتاب تاريخ بريطانيا القديمة "للمستر استوب".
٦. الترجمة والتلخيص بالأردية لكتاب الاقتصاد السياسي"للمستر ووكر".
٧. تاريخ الهند نشر هذا الكتاب في مدينة أمر تسر عام ١٩١٣م.
٨. أورد كورس (منهج دراسة الأردية) نشر ثلاثة أجزاء منه في لاهور عام ١٩٢٤م.
٩. آنية عجم (مرآة العجم) نشر الكتاب في لاهور عام ١٩٢٧م.
١٠.خواطر شاردة وهذه مذكرة لإقبال سجل فيها ١٢٥من خواطره المتنوعة ونشرت في عام ١٩٦١م.

---

(١) انظر: تطور الفكر الفلسفي في إيران، تأليف د.محمد إقبال ص (١١)، ترجمة أد. حسن محمود الشافعي، أد.محمد السعيد جمال الدين، الناشر: الدار الفنية، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

وآخيراً من أراد الاستزادة والإطلاع على آثار ومؤلفات ورسائل الشاعر محمد إقبال بالتفصيل فلينظر كتاب: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره، للدكتور أحمد معوض فقد أجاد وأفاد في هذا الباب.

❖**مرضه ووفاته:** يقول أحد أصدقاء إقبال – من الألمان – عند زيارته لإقبال ليلة وفاته:«بعد الظهر زرت الشاعر والفيلسوف الشهير السير [(١)] محمد إقبال، فاستقبلني في السرير، في عنبـــر مرضه، حيث كان منذ شهور مقيداً، وكان إقبال يعاني من ضيق التنفس (الربو)، والتهاب الحنجرة، كما أن إصابته بالماء الأبيض في العين قد أفقدته البصر تقريباً...» [(٢)]، أيضاً أصاب إقبال الوهن والضعف بسبب المرض الذي هجم عليه فأفقده قوته الجسدية لا الفكرية، وأصيب بالحصاة في إحدى كليتيه، وكان هناك طبيب في الهند يدعى حكيم نابينا الدهلوي يعالجه بالعقاقير النباتية، فيشفى من مرض ويهجم عليه آخر، ولم يستطع الطبيب بعدئذ علاجه؛ لسيطرة وهجوم الأمراض عليه، لكن المرض الذي أودى بحياته هو مرض عضال أصاب القلب فأفقده سيطرته واضطرب عمله، وانتشرت العلة والمرض في شهر نيسان، وبلغت مبلغ الخطر في التاسع عشر من الشهر نفسه، وكان إقبال على يقين بدنو أجله غير يائس ولا جازع، بل كان مرحباً بالموت مبتسما له وكان يردد قبل موته ببضعة أيام: أنا لا أخشى الموت، أنا مسلم، ومن شأن المسلم أن يستقبل الموت مبتسما [(٣)]، وقال قبل وفاته بعشر دقائق: ليت شعري ! هل تعود النغمة التي أرسلتها في الفضاء، وهل تعود النفحة الحجازية، قد أضلني موتي وحضرتني الوفاة، فليت شعري هل حكيم يخلفني؟ وقد ترجم الأديب عبد الوهاب عزام هذه الكلمات شعرا عن الفارسية بقوله[(٤)]:

---

(١) منحت الحكومة الإنجليزية بالهند إقبالاً لقب " السير " تقديراً لخدماته العلمية والأدبية.

(٢) انظر: مجلة فكـــر وفـــن، عدد: (٣٢)، مقـــالاً بعنـــوان: المقابلة الأخيـــرة مـــع إقبال، بقلم: هانس هاسو فون فلتهايم. ص (٥٧).

(٣) انظر: روائع إقبال ص (٣٧).

(٤) انظر: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره ص (٤٤).

نغمـــات مضيـــن لـــي هل تعــود؟ أنسيم مـــــن الحـــــجاز يعـــــــود؟
آذنت عيشـــــتي بـــوشك رحيـــلي هـــل لعلم الأســـرار قلب جـــديـــد ؟.

واشتد المرض والألم على إقبال في العشرين من نيسان، وأيقن أنه سيودع الحياة، فأمر بإحضار ابنه جاويد وعمره حينذاك ثلاث عشرة سنة، فأجلسه إلى جانبه وقال: من يدري لعلي ضيف لبضع ساعات أو أيام، وأوصى بعائلته وأموره الخاصة صديقه جود هري محمد حسين، وفي الساعة الخامسة والـــربع مـــن صباح يوم الاثنين ٢٠/ صفر / ١٣٥٧هـــ، الموافق ٢١/ نيسان /١٩٣٨م فاضت روح إقبال إلى بارئها وعلت شفتيه البسمة وكان كما قال:

آيـــة المؤمـــــن أن يلقـــى الـــرّدى بـــاسم الثَّغـــــر ســــروراً ورضـــــاء

شاع خبر وفاة إقبال بين الناس، وأذيع الخبر في الإذاعات، ونشر في الصحف والمجلات، فتألم الناس ألماً عظيماً، وأصعقهم نبأ رحيله، فكان يوماً ثقيلاً على الشعب الهندي بأجمعه هندوساً ومسلمين، وعلى الأمة الإسلامية، فعطلت المتاجر، وأغلقت المدارس والجامعات والمحاكم والأسواق في جميع الهند حداداً على وفاته [1].

❖نعى وفاة الشاعر محمد إقبال القريب والبعيد، والقادة والأدباء، الشرقي والغربي، ومن هؤلاء:

القائد محمد علي جناح إذ يقول عن وفاة إقبال محمد إقبال:«كان شاعراً منقطع النظير، طبق صيته الآفاق، وستبقى كلماته حية، وإن مساعيه لأمته وبلده لتضعه في صف أكبر كبراء الهند، وإن وفاته اليوم لخسارة كبيرة للهند عامة وللمسلمين خاصة»[2].

ويقول الشاعر الهندي الكبير طاغور:«تركت وفاة إقبال في أدبنا خللا يشبه جرحاً مهلكاً، ولن يشفى هذا الجرح إلا بعد زمن طويل غير محدد ... فموت شاعر عالمي كإقبال مصيبة لا تحتملها البلاد»[3].

(١) انظر: فلسفة الذات في فكر محمد إقبال ص (٤٩-٥١).
(٢) انظر: المصدر السابق ص (٥٠).
(٣) انظر: المصدر السابق ص (٥٠).

ويقول الزعيم الهندي جواهر لآل نهرو:«لقد دهتني وفاة إقبال بصدمة هائلة، شرفت بلقاء إقبال ومحادثته منذ قليل، وكان مستلقياً على فراش المرض، ولكن كان لفكره العالي ونزعته الحرة في قلبي أثر بليغ، لقد فقدت الهند بفقد إقبال كوكباً لألاء مضيئاً، ولكن شعره سيخلد في قلوب الأجيال الآتية وذكراه العظيمة لن تموت»[١].

ويقول أبو الكلام آزاد:«نشعر بالصدمة على وفاة العلامة إقبال. لم تخلق الهند شاعراً أكبر منه، وفاته ليست خسارة الهند فحسب، بل هي خسارة الشرق بأكمله وحزني شديد، لأننا كنا مربوطين برباط الصداقة»[٢].

ويقول الدكتور عبد الوهاب عزام الذي كان محبا إقبالاً ومترجماً شعره وكاتباً سيرته وفلسفته:«مات محمد إقبال الفيلسوف الشاعر الذي وهب عقله وقلبه للمسلمين وللبشر أجمعين، الرجل الذي يخيل إليَّ وأنا في نشوة شعره أنه أعظم من أن يموت وأكبر من أن يناله حتى هذا الفناء الجثماني»[٣].

وهناك العديد من الأدباء والعلماء والمفكرين بينوا مكانة شعر إقبال وفكره وإصلاحاته على القارة الهندية والأمة الإسلامية .

---

(١) انظر: فلسفة إقبال ص (١٧).

(٢) انظر: فلسفة الذات في فكر محمد إقبال ص (٥١).

(٣) انظر: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره ص (٩).

الباب الأول

المسائل الاعتقادية عند محمد إقبال

وفيه خمسة فصول:

- الفصل الأول: مصادر التلقي عند محمد إقبال.
- الفصل الثاني:آراء محمد إقبال في مسائل التوحيد.
- الفصل الثالث: آراء محمد إقبال في النبوات.
- الفصل الرابع: آراء محمد إقبال في مسائل الإيمان باليوم الآخر.
- الفصل الخامس:آراء محمد إقبال في إثبات القدر.

الفصل الأول

مصادر التلقي عند محمد إقبال:

- القرآن الكريم.
- السنة النبوية.
- الفكر الصوفي.
- الفكر الاعتزالي.
- الفلسفة.
- الثقافة الغربية.

الفصل الأول:

مصادر التلقي عند محمد إقبال.

الشاعر محمد إقبال من المفكرين الذين لهم ثقافات مُتعددة وشمولية، وهو ذو اطلاع واسع على الثقافات العالمية بتعدد مشاربها واختلاف في ماهيتها، فقد درس إقبال التراث الإسلامي، ونشأ في بيئة صوفية، وله نـزعة عقلية فلسفية، وألـمَّ بالثقافة والحضارة الغربية، وحاول من خلال شعره وكتاباته أن يوفق بينها وبين فكره الإسلامي[1].

تناول إقبال الحديث عن مصادر التلقي في الفقه الإسلامي عندما تحدث عن تطوير الدين وتجديده، فيقول:«عندما ندرس أصول الفقه الإسلامي الأربعة المتفق عليها، وما ثار حولها من خلاف فإن ذلك الجمود المزعوم عن مذاهبنا المعترف بها يتبخر، ويبدو للعيان إمكان حدوث تطور جديد»[2].

(١) لفظ الفكر الديني أو المفكر الإسلامي ليس لفظاً شرعيّاً صرفاً وإنما من المصطلحات الدارجة في المشهد الثقافي، فالدين الإسلامي الحنيف ليس أفكاراً وآراءً وإنما هي عقيدة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل؛ يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – عن مصطلح فكر إسلامي:((كلمة فكر إسلامي من الألفاظ التي يحذر منها، إذ مقتضاها أننا جعلنا الإسلام عبارة عن أفكار قابلة للأخذ والرد، وهذا خطر عظيم أدخله علينا أعداء الإسلام من حيث لا نشعر. أما مفكر إسلامي فلا أعلم فيه بأساً لأنه وصف للرجل المسلم، والرجل المسلم يكون مفكراً)). انظر: المجموع الثمين، للشيخ محمد بن عثيمين، الناشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى١٤١٠هـ. (٢/٢١٦)؛ والدين الإسلامي الحنيف ليس مجموعة أفكار وآراء، لكنه وحي مُنـزل من رب العالمين في القرآن العظيم، وفي سنة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى﴿ 0 1 2 3 4 ﴾ [سورة النجم آية:٤]، أما الفكر فهو قابل للطرح والمناقشة، وقد يصح وقد لا يصح، فلا يجوز أن يطلق عليه: فكر لأن التفكير من خصائص المخلوقين، والفكر يقبل الصواب والخطأ، والشريعة معصومة من الخطأ، ولا يقال كذلك: المفكر الإسلامي لأن العالم الذي له رتبة الاجتهاد، والنظر مقيد بحدود الشرع المطهر، فليس له أن يفكر، فَيُشَرِّع، وإنما عليه البحث وسلوك طريق الاجتهاد الشرعي لاستنباط الحكم، نعم يطلقون: المفكر الإسلامي في عصرنا مريدين قدرته على الاستنباط، ونشر محاسن الإسلام، فمن هنا يأتي التسامح بإطلاقها والأولى اجتنابها. انظر: معجم المناهي اللفظية، د. بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار العاصمة، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م. ص (٤٣٠-٤٣١).

(٢) انظر: تجديد التفكير الديني ص (١٩٠).

يقول إقبال في كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام متحدثاً عن مصادر التلقي:«إن القرآن هو المصدر الأصل للشريعة الإسلامية ... وإن أحاديث الرسول المصطفى هي الأصل الثاني العظيم للشريعة المحمدية ... والأصل الثالث من أصول التشريع الإسلامي هو الإجماع ... والأصل الرابع من أصول الفقه هو القياس...»(١).

في ظاهر الأمر يرى إقبال أن القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، والقياس، مصادر للشريعة الإسلامية، لكن ناقض قوله هذا اعتماده وتأثره وميله إلى مصادر أخرى، وتلقيه من غير الوحيين مثل النـــزعة الصوفية، والفكر الاعتزالي، والاتجاه الفلسفي، والثقافة الغربية. ويجدر بنا أن نسلط الضوء على بعض ما قاله إقبال عن هذه المصادر؛ لنرى مدى مخالفته منهج أهل السنة والجماعة.

❖**أولاً القرآن الكريم:** يمثل القرآن جزءاً كبيراً من حياة الشاعر محمد إقبال، فقد جعل له ورداً يوميّاً من بعد الفجر إلى طلوع الشمس، ولا يختم المصحف حتى يبله بالدموع، وقد حكى إقبال قصته مع القرآن بقوله:«قد كُنت تعودت أن أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح كل يوم، وكان أبي يراني، فيسألني: ماذا أصنع ؟ فأجيبه: أقرأ القرآن. وظل على ذلك ثلاث سنوات مُتتاليات يسألني سؤاله، فأجيبه جوابي، وذات يوم قلت له: ما بالك يا أبي ! تسألني نفس السؤال، وأجيبك جواباً واحداً، ثم لا يمنعك ذلك عن إعادة السؤال من غد؟ فقال: إنما أردت أن أقول لك يا ولدي ! أقرأ القرآن كأنما نزل عليك، ومنذُ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن، وأقبل عليه، فكان من أنواره ما اقتبست، ومن درره ما نظمت» (٢). يهدف إقبال الشاعر من خـــلال رسالته الإصلاحية والفكرية إلى بناء مجتمع إسلامي مُتقدم في شتى صوره، ويتطلب ذلك أن يكون له دستور وهو القرآن، وأقام مدرسته الفكرية على الحقائق القرآنية، وظهر ذلك واضحاً في أشعاره وكتاباته ورسائله، ولم يقتصر تأثر إقبال بالقرآن على النواحي الفكرية فقط؛

(١) انظر: تجديد التفكير الديني ص (١٩٠-١٩٦- ١٩٩).

(٢) انظر: روائع إقبال ص (٤٩-٥٠)؛ مقدمة ديوان محمد إقبال الأعمال الكاملة (١/٣٤).

بل استلهم في شعره وأدبه تراكيب من المصطلحات القرآنية، مما يدل على أنه على صلة وثيقة بالقرآن الكريم، فكثيراً ما يقتبس في أشعاره الكلمات القرآنية ويوظفها كعناوين لقصائده ودواوينه مثل ضرب الكليم، وجناح جبريل الذي قال فيه تحت عنوان "الأرض لله"[(١)]:

الحَبُّ ذو العَصْف والـرَّيحان يُنْبتُـه — مـن ظلمـة الطِّيـن ربُّ الحبِّ والـطِّين

والغَيْـمُ من لُجَـج الأمواج يَرْفَعُه — إلـى السَّمـوات سلـطانُ السَّلاطين

فقد اقتبس الشاعر عنوان القصيدة من قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ © لِلْمُتَّقِينَ﴾[(٢)]، والأبيات اقتبسها من قوله سبحانه وتعالى:﴿ u v w x ﴾[(٣)].

الشاعر محمد إقبال يعد من المفكرين الذين اتخذوا من القرآن الكريم منبعاً لأفكاره وآرائه تحت دائرة الاستنباط والاستدلال والحجة والبرهان، ولكنه كان يلوي بعض أعناق النصوص القرآنية إلى معانٍ تؤيد نـزعته الصوفية العقلية، واتجاهاته الفلسفية، وثقافته الغربية، مثل تأويله قوله تعالى: ﴿ y z { | ﴾[(٤)] حيث فسرها بقوله:«وإني أعتقد أن وصف الله بالنور كما جاء على لسان اليهودية والمسيحية والإسلام ينبغي أن يفسر الآن على وجه آخر. فتعاليم الطبيعيات الحديثة تقرر أن سرعة انتشار الضوء لا يمكن أن يفوقها شيء وأنها واحدة بالنسبة لجميع الذين يشاهدونها مهما اختلفت طريقة حركتهم. وعلى هذا ففي عالم التغيير يكون الضوء أقرب الأشياء إلى المطلق، وإطلاق النور مجاز على الذات الإلهية، يجب – قياساً على العلم الحديث –

(١) انظر: ديوان جناح جبريل (٥٠٦/١).

(٢) سورة الأعراف آية: (١٢٨).

(٣) سورة الرحمن آية: (١٢).

(٤) سورة النور آية: (٣٥).

أن يؤخذ على أنه إشارة إلى أن الذات الإلهية مطلقة، لا على أن يوحى بحلولها في كل شيء، فإن هذا القول يؤدي إلى تفسير يشوبه القول بوحدة الوجود» (١).

والحاصل أن إقبالاً – في الجملة – لم يوافق منهج أهل السنة والجماعة في استنباطاته واستدلالاته من القرآن الكريم ولا من السنة النبوية المطهرة.

❖**ثانياً السنة النبوية:** ظهر في شعر وكتابات محمد إقبال تأثره بالسنة النبوية وتمسكه بها على فهمه، فقد اقتبس العديد من الأحاديث الشريفة في دواوينه وأشعاره. وقد أُعجب إقبال بشخصية الرسول عليه الصلاة والسلام، حيث عدَّه القائد الحقيقي للمجتمع، ونموذج السلوك الإنساني، ووصفه بالإنسان الكامل موافقاً بذلك رأي الصوفي المشهور عبد الكريم الجيلي (٢).

والأمثلة والشواهد الشعرية والنثرية التي تدل على اقتباس إقبال من الأحاديث النبوية وتأثره بها متعددة منها: ما جاءِ في ديوان رسالة الخلود تحت عنوان " ظهورُ رأسِ أهل الفراقِ إبليس" (٣):

قلتُ: فاطْرَحْ للْفراق مَذْهَبَا فى الطلاق ليس لى أنْ أرغبا

الفراقُ للحياة مثْلَ شَطْر نشوةٌ فى يَوْمه لَيْسَتْ لخَمْر

فالشاعر محمد إقبال يلمح هنا إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم:«**أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الطَّلَاقُ**» (٤).

---

(١) انظر: تجديد التفكير الديني ص(٧٧).

(٢) الجيلي: عبدالكريم بن إبراهيم بن عبدالكريم الجيلي ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني من علماء الصوفية الكبار، له مؤلفات كثيرة منها: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، والمناظر الإلهية، ومراتب الجود، وغيرها، توفي٨٢٦هـ. انظر الأعلام (٤/٥٠).

(٣) انظر: ديوان رسالة الخلود (٢/٢٦٩).

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في سننه، باب: في كراهية الطلاق، رقم الحديث : (٢١٧٨)، من حديث ابن عمر، (٦٦١/١)؛ والحديث ضعفه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (١٠٦/٧).

ويقول إقبال في ديوان الأسرار والرموز تحت عنوان:" في بيان أنَّ الذَّات تستحكم بالمحبَّة والعِشْق" [1]:

وبيـــومِ الفَتْـــح هـــــذا الغــــــافر قـــال: «لا تثريب» وهـــو القـــادر

يشير الشاعر في هذا البيت إلى عفو الرسول صلى الله عليه وسلم عن قريش يوم فتح مكة بقوله عليه الصلاة والسلام:" **لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم**".

إنَّ القارئ لأشعار محمد إقبال يجدها مليئة بالحديث عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بل إنه يرجع الفضل في تكون شخصيته وتماسكه أمام المادة ومغرياتها وتيار الحضارة الغربية الجارف إلى الاتصال بالنبي صلى الله عليه وسلم، وحبه العميق له، فيقول:«إن قلب المسلم عامر بحب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهو أصل شرفنا، ومصدر فخرنا في هذا العالم، إن هذا السيد الذي داست أمته تاج كسرى، كان يرقد على الحصير، إن هذا السيد الذي نام عبيده على أسرة الملوك كان يبيت ليالي لا يكتحل بنوم، لقد لبث في غار حراء ليالي ذوات العدد، فكان أن وجدت أمةٌ، ووجد دستورٌ، ووجدت دولةٌ، إذا كان في الصلاة فعيناه تهملان دمعاً، وإذا كان في الحرب فسيفه يقطرُ دماً، لقد فتح باب الدنيا بمفتاح الدين، بأبي هو وأمي، لم تلد مثله أم و لم تنجب مثله الإنسانية، افتتح في العالم دوراً جديداً، وأطلع فجراً جديداً، كان يساوي في نظرته الرفيع والوضيع، ويأكل مع مولاه على خوانٍ واحد[2]...»[3].

نادى الشاعر محمد إقبال بتجديد الدين على المفهوم الغربي، وإعادة قراءة الشريعة الإسلامية بما يتوافق مع مستجدات العصر، وعليه فقد قسم السنة النبوية إلى قسمين

---

(١) انظر: الأسرار والرموز (١/١٣٩).

(٢) الخوان: هو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل. انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى. (٤/٤٣٧)؛ النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام محي الدين أبي السعادات ابن الأثير، أشرف على هذه الطبعة وقدم لها علي بن حسن بن علي عبد الحميد الحلبي الأثري، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ . ص (٢٩٠).

(٣) انظر: روائع إقبال ص (٤٣).

هما: ما كان للتشريع مثل الأمور التعبدية المحضة، وما ليس للتشريع مثل الأكل والشرب والنوم.

يقول إقبال في كتابه تجديد التفكير الديني:« إن البحث الذي يعنينا هنا يقتضي أن نفرق بين الأحاديث التي تتضمن أحكاماً تشريعية والأحاديث التي ليس لها طابع التشريع»(١).

والجدير بالذكر أنَّ هذا الرأي كان سائداً في شبه القارة الهندية، فقد أخذ به عدد من المفكرين والإصلاحيين (٢)، مثل شاه ولي الله الدهلوي، والسيد أحمد خان الذي قسم الأحاديث المقبولة إلى قسمين: أحاديث خاصة بالأمور الدينية، كالعقيدة والعبادة وأحاديث خاصة بالأمور الدنيوية، كقضايا السياسة والاجتماع. فالأولى ملزمة في نظره، أما الثانية فغير ملزمة لأنها من أمور الدنيا المتغيرة (٣).

والحاصل أن هذا التقسيم الذي ذهب إليه إقبال وغيره من أرباب الفكر الإصلاحي والعصراني أنكره العلماء، بل نظروا إليه نظرة استياء وكراهية لعدة أمور منها (٤):

أولاً: إن الصحابة كانوا يقتدون بالنبي صلى الله عليه وسلم في كل شيء، ولم تنقل لنا كتب الحديث والسير مخالفة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم فيما يعده القوم سنة غير تشريعه، وهناك قصص وأحداث تبين ذلك مثل قصة خلع النعل.

ثانياً: إن تقسيم السنة إلى تشريعية وغير تشريعيه يوحي ولو من طرف خفي إقرار المنهج العلماني، فيحين يخرج من التشريع ما يتعلق بالأكل والشرب واللباس

(١) انظر: تجديد التفكير الديني ص (١٩٧).

(٢) أخذ بهذا الرأي – تقسيم السنة إلى تشريعية وغير تشريعيه – عدد من العلماء والمفكرين، مثل الشيخ رشيد رضا، وشيخ الأزهر محمد شلتوت، والشيخ الطاهر بن عاشور، وغيرهم.

(٣) انظر: مفهوم تجديد الدين ص (١٢٦)؛ العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، بقلم: محمد حامد الناصر، الناشر: مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. ص (٨٠).

(٤) انظر رسالة ماجستير بعنوان: السنة بين التشريع ومنهجية التشريع، إعداد منتصر نافذ محمد حميدان، قدمت في كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين،٢٠٠٦م. ص (٤٥وما بعدها)؛ العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب. ص (٢٢١ وما بعدها).

والأمور الاجتماعية والاقتصادية، وتبقى السنة التشريعية في الأمور التعبدية المحضة، وإذا كانت العلمانية هي فصل الدين عن الحياة فالمحصلة واحدة.

ثالثاً: أن القول بهذا الرأي سنة تشريعية وغير تشريعية مؤامرة خارجية للتقليل من السنة النبوية وصاحبها عليه أفضل الصلاة والسلام.

رابعاً: أن الأخذ بهذا الرأي يعتبر دعوة صريحة لتعطيل ورد جزءًا كبيرًا من أحاديث وأحكام السنة النبوية، وترك العمل بها.

ومن المآخذ على الشاعر محمد إقبال عندما تكلم عن السنة النبوية أمرين أحدهما أنه عرض رأي المستشرق جولد زهير (1) القائل بأن السنة النبوية تحتاج إلى الفحص الدقيق على ضوء القوانين المستحدثة في النقد التاريخي، وخلص المستشرق إلى أن الأحاديث في جملتها لا يوثق بصحتها. والمأخذ على الشاعر في هذه المسألة أنه عرض هذه الرأي و لم يعقب عليه، أو ينقده، أو يفنده، بل أمرَّه كما جاء. والثاني من المآخذ أن إقبالاً يرى أن الأحاديث النبوية التي وردت فيها الأحكام الشرعية التـــي طبقت في عصر النبي صلى الله وسلم مثل الحدود – عقوبات الجرائم – هي خاصة في عصره ولا تفرض على الأجيال المقبلة.

وآخيرًا نقول إنَّ الناظر والمتأمل في العصر الحاضر يجد دعوات في غاية الخطورة منها: الذين ينادون بالتجديد في المسلمات والثوابت، بل وإلى اعتماد التشريعات على مناهج وأدلة تأخذ باعتبارها العقل والواقع، ومتى كانت النصوص الشرعية عائقة لدعواهم فإنهم يلجئون إلى طرق متعددة في التعدي على أهم أصلين تستند إليهما الأحكام الشرعية، وهما الكتاب والسنة. فدعوا إلى تعطيل الكتاب، أو تفسيره بحسب

---

(1) جولد زهير: مستشرق مجري، تعلم في بودابست وبرلين وليبسيك، ورحل إلى سورية سنة ١٨٧٣م، فتعرف على الشيخ طاهر الجزائري وصحبه مدة، ثم انتقل إلى فلسطين، فمصر، حيث لازم بعض علماء الأزهر. عين أستاذا في جامعة بودابست عاصمة المجر. من مؤلفاته: العقيدة والشريعة في الإسلام؛ مذاهب التفسير الإسلامي، وله تصانيف باللغات الألمانية، والانكليزية، والفرنسية، وفي الإسلام، والفقه الإسلامي، والأدب العربي. توفي١٣٤٠ هـــ / ١٩٢١م. انظر: الأعلام (٨٤/١).

الأهواء، والطعن بالسنة بوجوه مختلفة، بغية استبعادها عن مجال الحياة، تارة بادعاء عدم استقلالها بالتشريع، و تارة بترك ما لم يكن معناه في القرآن الكريم أو مؤكداً له، وتارة بتقسيمها إلى تشريعية وغير تشريعية، وأن لا حجة لغير التشريعية، وأنه ينبغي أن ينظر إلى العرف والواقع عند تفسير القرآن الكريم أو السنة النبوية، كما يرى ذلك جملة من المفكرين والباحثين، أو ترك الأخذ بالأحاديث في تقنين الأحكام المعاصرة كما يرى ذلك الشاعر محمد إقبال، أو أن تردَّ الأحاديث المخالفة للعقل والواقع، بحسب ما يراه آخرون. وقد يتطرف بعضهم كمحمد إقبال ويقول إن السنة غير التشريعية يجب تركها وعدم جعلها أساساً للقوانين، وأنها خاصة بعصر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك من الآراء الشاذة والمخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة.

❖ **ثالثاً الفكر الصوفي:** من أهم المصادر التي استقى منها إقبال ثقافته وتكوينه الفكري هو الفكر الصوفي، فقد نشأ في بيئة تملؤها الطرق الصوفية والمذاهب الفلسفية، مما جعله يتأثر هو ووالده برجالات الصوفية وكبارهم. فإقبال محب للتصوف بلا شك، ومتأثرٌ ببعض أفكارهم وآرائهم، ومتعلق ببعض طرقهم مثل النقشبندية (١)، وأقطابهم مثل الجنيد البغدادي في بعض أفكاره وآرائه (٢). وإذا كان إقبال نفسه يقول في رسالة بعث بها إلى حسن نظامي حول موقفه من التصوف وتجربته فيه:« إني بفطرتي وتربيتي أنزع إلى التصوف، وقد زادتني فلسفة أوروبا نزوعاً إليه، فإن هذه الفلسفة في جملتها تنزع إلى وحدة الوجود، ولكنَّ تدبر القرآن المجيد، ومطالعة تاريخ الإسلام بإمعان عرّفني

(١) الطريقة النقشبندية: طريقة صوفية تُنسب إلى رجل اسمه محمّد بهاء الدين البُخَاريّ المولود عام ٧١٧ من الهجرة، والمتوفى سنة ٧٩١هـ. ومن معتقداتهم القول بوحدة الوجود ووحدة الشهود، والمكاشفة والإلهام، وغيرها. انظر: الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها، فريد الدين آيدن، الناشر: مكتبة صيد الفوائد الإلكترونية، التصنيف العام، الفرق والمذاهب، راجع الرابط : **http://www.saaid.net/book/open.php?book=1495&cat=89**.

(٢) الجنيد: أبو القاسم محمد بن الجنيد القواري الخراز، بغدادي المولد، نهاوندي الأصل، صوفي المذهب، يزعم أتباعه من الصوفية أنه جمع بين الحقيقة الصوفية والشريعة الإسلامية، توفي سنة ٢٩٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٦٦/١٤)؛ الأعلام (١٤١/٢).

غلطي، وبالقرآن عدلت عن أفكاري الأولى، وجاهدت ميلي الفطري، وحدت عن طريقة آبائي» [١].

فهل استطاع الشاعر محمد إقبال التخلص من كل رواسب الصوفية التي كان عليها آباؤه وأجداده ؟ أم أن النــزعة الصوفية متأصلة في فكره وآرائه ؟ هذا ما سنعرفه في مبحث: آراء محمد إقبال في الصوفية ومدى التأثر بهم [٢].

❖ **رابعاً الفكر الاعتزالي**[٣]: إنَّ المتأمل في التراث الذي خلفه الشاعر محمد إقبال من شعر وكتابات يجد أن للنــزعة الاعتزالية مكانةً ومنــزلةً مُتأصلة في فكره وآرائه، فإقبال في الغالب ينطلق في مناقشاته وأطروحاته من القرآن الكريم، ولكن مكمن الخلل عنده في تأويله الواضح للنص القرآني موافقاً بذلك أصحاب المنهج العقلاني في ليِّهم للنصوص الشرعية.

يُعدُّ الشاعر محمد إقبال من المفكرين الذين سعوا إلى النهل من الفكر الاعتزالي العقلاني، والدعوة إلى الحرية الإنسانية، واستنهاض العزائم، قصد دفع المجتمع الإسلامي الحديث إلى اليقظة ومسايرة التيار الحضاري العالمي. وسيظهر للقارئ الكريم في أثناء هذا البحث النــزعة العقلية عند إقبال، فمثلاً عند موافقته للمدرسة العقلية الحديثة في الموائمة والتوفيق بين النصوص الشرعية والفكر الغربي، وعدم إيمانه بنــزول عيسى ابن مريم عليه السلام آخر الزمان، ومسألة تجديد الدين، حيث يرى إقبال أن التجديد تغييرٌ بالأصول والثوابت والمسلمات، لا كما يفهمه المسلمون أنه إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، وغيرها من المسائل.

---

(١) انظر: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره ص (٦٣).

(٢) انظر: التربية الروحية في فكر محمد إقبال، د. أسامة الدعاس، الناشر: دار الرؤية، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨. ص (٥٩-٦٠) بتصرف.

(٣) لمعرفة الأثر الاعتزالي في تكوين فكر إقبال راجع مطلب بعنوان: رأي محمد إقبال في المعتزلة. ص (١٩٩) وما بعدها.

❖**خامساً الفلسفة**[١]: تمثل الفلسفة عند الشاعر محمد إقبال مصدراً أساسيّاً في ثقافته وفكره مما أثر على آرائه العقدية والفكرية، بل إنه أكد في كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام سيطرة الفلسفة على الدين بقوله:«فللفلسفة من غير شك حق الحكم على الدِّين...»[٢].

ظهرت آثار الفكر الفلسفي عند الشاعر من خلال دواوينه الشعرية، وكتاباته النثرية، وطرحه العلمي، فقد جاء في أثناء اطروحته للدكتوراه "تطور الفكر الفلسفي في إيران"معرفته الواسعة بالفلسفة والفلاسفة وآرائهم. كما درس الفلسفة الهندية دراسة عميقة، لا سيما أثناء عمله لإعداد رسالته، فتسنى له الخوض في حقائق الفلسفة الهندية، والإلمام بكتب الهند المقدسة كالأوبانشياد مثلاً [٣]، وقد استفاد كثيراً من فلاسفة الهند وحكمائها، وكتبها المقدسة التي تعرضت لذكر مسألة الذات، ونلاحظ أن الشبه كبير بين الشاعر محمد إقبال وفلاسفة الهند بجامع القول بفلسفة الذات والاهتمام الإنساني[٤]، كذلك أشار للفلسفة وتجديدها في الفكر الإسلامي في كتابه " تجديد التفكير الديني في الإسلام " حيث قال عن هذا الكتاب: أنه جاء لإعادة بناء الفلسفة الإسلامية من جديد، آخذاً بعين الاعتبار المأثور من فلسفة الإسلام، إلى جانب ما جرى على المعرفة الإنسانية من تطور في نواحيها المختلفة[٥].

❖**سادساً ثقافته الغربية**: عاش إقبال ردحاً من الزمن في البلاد الغربية، واستقى من العلوم والمعارف التي جعلته يمتلك كثيراً من ثقافات تلك البلاد الغربية، سواء أكان

---

(١) لمعرفة الأثر الفلسفي في تكوين فكر إقبال راجع مبحث بعنوان: مدى تأثر محمد إقبال بالفلسفة والفلاسفة. ص (٢٦٥) وما بعدها.

(٢) انظر: تجديد التفكير الديني ص (٧).

(٣) كتاب من كتب الهنود الوثنين.

(٤) انظر: فلسفة الذات في فكر إقبال ص (١١٦).

(٥) انظر: تجديد التفكير الديني ص (٢).

ذلك في جانب الفكر والأدب أم في غيرهما من الفنون، ويمكن تقسيم ثقافة إقبال الغربية قسمين:

القسم الأول الناحية الفكرية: بدأ تأثر إقبال بالثقافة الغربية قبل سفره إلى تلك البلاد الأوربية، وذلك عند اتصاله بأستاذه المستشرق توماس آرنولد فتأثر به كثيراً، وبعد وصول إقبال إلى أوربا التقى بالفيلسوف برجسون وتأثر ببعض أفكاره وآرائه، وأعجب إقبال بالتطور الكبير والرقي المستمر عند الغرب، وينظر إلى ذلك بعين الإكبار والتقدير، إلا أنه يرى أن الغرب أخذوا أصل العلوم التجريبية من المسلمين الأوائل الذين هم السبب الرئيس في نموهم ماديّاً.

يقول إقبال:«إن الشرق هو الذي هدى الغرب إلى التقدم والرقي العالي، وإلا فلقد كان أهل الغرب متخلِّفين عنَّا في كل ناحية من نواحي المدنية والحضارة، وحين كانت أوروبا منغمسة في لجَّة من التعصب، والجهل والحروب الداخلية، كنا – أهل الشرق – في أرقى منزلةٍ من منازل العلم والفن والمدنيَّة والحضارة، وهذا هو الشرق الذي هذَّب الأمم الغربية بمختلف الفنون والعلوم كالفلسفة والكيمياء والطب وغيرها»[1].

بين الشاعر محمد إقبال للأمة الإسلامية الجانب المشرق والسلبي في البلاد الغربية، وذلك من أجل أن يكون المسلم على يقظة ووعي عند التعامل معهم والسفر إليهم، ونادى بأن التعامل مع الغرب لا يعني أن نأخذ عنهم كل شيء، بل علينا أن نأخذ ما يعطينا أسباب القوة مع المحافظة على تميزنا، ومن دون أن نفقد أخلاقنا، كما يحذر إقبال من الانسياق خلف الغرب بالمظاهر والشكليات.

يقول إقبال:«وكل الذي نخشاه هو المظهر الخارجي البـــرَّاق للثقافة الأوربية، الذي قد يشل تقدمنا، فنعجز عن بلوغ كنهها وحقيقتها...»[2].

---

(١) انظر: ديوان والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق، ترجمهُ نثـــراً محمود أحمد غازي، وصاغه شعراً صاوي شعلان، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـــ/ ١٩٨٨م. ص (٢٣-٢٤).

(٢) انظر: تجديد التفكير الديني ص (١٤).

مع ماذكره الشاعر محمد إقبال آنفاً وهو أنه يخشى أن ينخدع المسلمون بالمظهر الخارجي البـــراق للثقافة الأوربية إلا أنه لم يخف إعجابه البالغ بالاصلاحات التركية التي لا يماري أحد أنها كانت حركة تغريب وقعت فيما خشاه إقبال نفسه، وهو الانهيار بالمظهر الخارجي للحضارة الغربية، ولكن إقبال كان يعتبرها حركة اجتهاد لإعادة بناء الشريعة من جديد على ضوء الفكرة والخبرة في العصر الحديث، ويصفها بأنها أكثر اتفاقا مع روح الإسلام [1].

القسم الثاني الناحية الأدبية: درس الشاعر محمد إقبال الأدب الغربي واستلهمه وألـــمَّ به، واطلع على رموز الثقافة وأعلام الأدب في الغرب، مثل الأديب والشاعر والمسرحي الانجليزي شكسبير، والأديب الإيطالي دانتي، لكن الذي لفت انتباهه هو الشاعر الألماني جوته، إذ اعتبـــره أعظم شعراء الغرب، ودرس إقبال أشعاره، وحاول محاكاتها، والرد على بعض جوانبها، وأعجب ببعضها الآخر[2]. يقول في ديوان رسالة المشرق تحت عنوان "جلال وجوته" [3]:

شـــاعر الألمـــان فـــى رَوْض إرم ... فـــاز بـــالصحبة مـــن شيـــخ العجم
شـــاعرٌ يشبـــه ذا العالي الجناب ... مـــــا نبيّاً كـــان لـــكن ذو كتـــاب
قـــصَّ للعـــارف بـــالسرِّ القديم ... مـــا وعـــى إبليس ُوالشيـــخ الحكيـــم

فمراد إقبال بشاعر الألمان هو "جوته"، وشيخ العجم هو"جلال الدين الرومي"، وفي هذه الأبيات يجري حوار بين الشاعر جوته والرومي، ويقص جوته على الرومي قصة العهد المتمثل في مفيستوفيليس والحكيم المتمثل في فاوست، وكيف أجاب الرومي بأن العشق لا يتجلى لأي كان، ومن يتجلى له يستبين المكر الذي يمثله ابليس من العشق الذي يمثله الإنسان [4].

---

(١) انظر: مفهوم تجديد الدين ص (١٣٦).

(٢) انظر: فلسفة إقبال ص (٦٧).

(٣) انظر: ديوان رسالة المشرق (٣٣٢/١).

(٤) انظر: فلسفة إقبال ص (٦٨).



آراء محمد إقبال في مسائل التوحيد

وفيه ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول:**

آراء محمد إقبال في إثبات وجود الله وتقويمها.

- **المبحث الثاني:**

آراء محمد إقبال في أسماء الله وصفاته نفياً وإثباتاً وتقويمه.

- **المبحث الثالث:**

آراء محمد إقبال في توحيد العبادة وتقويمه.

المبحث الأول

آراء محمد إقبال في إثبات وجود الله وتقويمها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول/

آراء محمد إقبال في إثبات وجود الله.

المطلب الثاني/

تقويم آراء محمد إقبال في إثبات وجود الله.

المطلب الأول:

رأي محمد إقبال في إثبات وجود الله.

لا شك أن الإيمان بالله هو أهم الأصول الاعتقادية، فهو لب القرآن وعليه مدار الإسلام، ولا شك أيضاً أن الإيمان به سبحانه يقع في مقدمة الأمور الغيبية التي أثنى الله على المؤمنين بها في كتابه الكريم في قوله تعالى:﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 ﴾[1]، والمقصود بقضية الوجود هنا هي قضية وجوده سبحانه التي تعتبر كبرى اليقينيات، فمن أنكره فقد أنكرها، ومن أنكره أيضاً فقد قطع على نفسه طرق الإيمان ببقية المغيبات، ولذا كان التشكيك في الإيمان بالله طعناً للعقيدة الإسلامية في صميمها، وهدماً لأساسها الأول الذي لا قيام لها بغيره[2].

يثبت الشاعر محمد إقبال وجود الله – سبحانه وتعالى – ويؤمن به إيماناً فطريّاً؛ فلإقبال في شعره، وكتاباته، مواضع كثيرة دالة على إثباته لوجود الله تبارك وتعالى، فمثلاً في قصيدة "**لا إله إلا الله**" في ديوان والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق؟ ينفي الشاعر الطواغيت، لإثبات الإيمان بوجود الله وحده لا شريك له، وفي ديوان رسالة الخلود يحث إقبال الشعب الروسي أن يكف عن إنكار الله تعالى، وأن يستأنف حياة دينية جديدة.

وفي شأن إثبات إقبال وجود الله سبحانه وتعالى، فإنه يقول في ديوان رسالة الخلود تحت عنوان "ظهورُ رأسِ أهل الفراقِ إبليس" [3]:

لــوجــودِ اللهِ لســتُ مُنْكِــرا   أبْصــرِ البــاطــنَ واتــركْ ظَــاهِرا

---

(١) سورة البقرة آية: (١-٣).

(٢) انظر: الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، د.مفرح بن سُليمان القوسي، الناشر: مطابع الحميضي، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م. ص (٣٢٣).

(٣) انظر: ديوان رسالة الخلود (٢/٢٦٨).

ويقول في ديوان الأسرار والرموز تحت عنوان "الشكوى وجواب الشكوى" [(١)]:

نَــدْعو جِهــاراً لا إله سِوى الَّذي صنــعَ الــوجــودَ وقــدَّر الأقــدارَا

ويقول في ديوان جناح جبريل تحت عنوان "دعاء طارق" [(٢)]:

ربَّــاهُ ! فــابعث مسلميــن أعــزَّةً يتــوسلــون كمــا توســلَ نــوحُ

ويقول في ديوان جناح جبريل على لسان لينين، تحت عنوان " لينين أمام الله"[(٣)]:

ربَّـــــــاه! أنـــت القـــادرُ الحــــقُ الــرَّحيــــم العـــادِلُ

فلو لم يكن دليلاً على إثبات وإيمان الشاعر محمد إقبال بوجود الله سبحانه وتعالى إلا ابتهاله ودعاؤه في مواضع كثيرة من شعره لكفاه ذلك، ومما يعلم بداهةً أن دعاء العبد لله يتضمن إثبات وجوده.

ومما يدل أيضاً على إثبات إقبال بوجود الله سبحانه وتعالى حينما التقى بأصدقائه ومحبيه في مترله، فسأله أحدهم أن يقدم على وجود الله برهاناً في أسلوب الفلسفة، وقال السائل: هل تستطيع أن تقدم هذا البرهان ؟ قال: لا، فقال السائل: ما دمت لا تستطيع تقديم هذا البرهان فعلام تؤدي هذه الشعائر والعبادات؟ فقال إقبال: إني لا أحتاج في هذا إلى دليل، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد اتفق أعداؤه وأصدقاؤه على أنه قال: إن الله يوحي إليَّ ويخاطبني، ومن تأمَّل هذه الحقيقة لن يشك في وجود الله عز وجل[(٤)].

وسئل نجل إقبال الدكتور جاويد عن إيمان والده العميق بالله – سبحانه وتعالى – وحبه للرسول الأكرم، فأشار إلى أن أستاذاً انجليزيّاً سأل إقبال ذات مرة ما الدليل على

---

(١) انظر: ديوان الأسرار والرموز (٩٥/١).

(٢) انظر: ديوان جناح جبريل (٤٨٩/١).

(٣) انظر: ديوان جناح جبريل (٤٩١/١-٤٩٢).

(٤) انظر: محمد إقبال فكره الديني والفلسفي، د.محمد العربي بوعزيزي، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م. ص (٢١٢).

أن الله موجود ؟ فكان جوابه: يكفيني أن محمداً صلى الله عليه وسلم قال: إن الله موجود [١].

وناقش الشاعر محمد إقبال مسألة الوجود الإلهي عند الفلاسفة من خلال عرضه ونقده لأدلة الفلسفة المدرسية الثلاثة الدليل الكوني [٢] ودليل العلة الغائية [٣] والدليل الوجودي [٤] في كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام تحت عنوان: البرهان الفلسفي على ظهور التجربة الدينية.

يقول إقبال:«تسوق الفلسفة المدرسية أدلة ثلاثة على وجود الله، تعرف بالدليل الكوني، ودليل العلة الغائية، والدليل الوجودي، وهذه الأدلة تنطوي على حركة حقيقة للفكر في بحثه وراء المطلق، ولكننا نخشى إذا نظرنا إليها بوصفها أدلة منطقية أن نجدها قابلة للنقد الجدي»[٥].

---

(١) انظر: المصدر السابق ص (٢١٣).

(٢) الدليل الكوني: إثبات وجود الله عن طريق وجود الكون، فيستدل على وجوده مما يشاهد في العالم من الجمال والنظام والوحدة، لإن هذه تستلزم علة كاملة مدبرة، وتقابل الدليل الوجودي. انظر: المعجم الفلسفي ص (٢١)، مجمع اللغة العربية في مصر، تصدير د. إبراهيم مدكـــور، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة ١٤٠٣هـــ / ١٩٨٣م.

(٣) الدليل الغائي: إثبات وجود الله على أساس أن العالم ركب على نحو تحقيق غاية مّا، واستنباط وجود صانع مدبر لهذا النظام ومحقق للغاية منه. انظر: المعجم الفلسفي ص (٢١).

(٤) الدليل الوجودي: فكرته تتضمن القول عن الله بأن من صفاته الكمال المطلق، ومن اتصف بالكمال المطلق وجب أن يكون موجوداً، لأن الكمال المطلق يتنافى مع العدم، وإذن فمن يفترض أنه كامل كمالاً مطلقاً يتحتم أن يكون موجوداً. انظر: المعجم الفلسفي ص (٢٢).

(٥) انظر : تجديد التفكير الديني ص (٣٦).

المطلب الثاني:

تقويم رأي محمد إقبال في إثبات وجود الله.

أثبت الشاعر محمد إقبال من خلال شعره وكتاباته وجود الله سبحانه وتعالى، وكما أسلفنا في بداية المطلب الأول أن الشاعر يؤمن بوجوده إيماناً فطريّاً لا يحتاج إلى إقامة براهين عقلية ولا أدلة فلسفية.

إنَّ ما تناوله إقبال عند مناقشته مسألة الوجود الإلهي عند الفلاسفة من خلال عرضه ونقده لأدلة الفلسفة الثلاثة الدليل الكوني، ودليل العلة الغائية، والدليل الوجودي، فإن الباحث يرى أن إقبالاً سلك المنهج العقلي في الرد عليهم مقارنة باستدلالاتهم العقلية [1] على إثبات وجود الله سبحانه وتعالى، واتضح لإقبال من خلال مناقشته لتلك الأدلة أن كل واحداً منها ينطوي على عيب أو ثغرة لا تسمح باعتماده دليلاً للبرهنة على وجود الله سبحانه وتعالى، الذي يعتبر إقبال الإيمان به فطرياً دونما حاجة إلى أدلة برهانية عقلية [2].

لم يكثر السلف الصالح – رحمهم الله – من الخوض في إثبات وجود الله تعالى وسياق الأدلة لتقرير هذه المسألة، وذلك راجع إلى أنها من الأمور المستقرة والمسلَّمة في الفطرة البشرية، فلم ينقل عنهم إلا نزر يسير في إثبات وتقرير وجود الله وذلك في شأن الفطرة وأخذ الميثاق والإشهاد على ذلك والآيات الكونية والنفسية.

---

(١) هذا المنهج الذي سلكه إقبال في الرد عليهم في الجملة جيد شريطة أن يقرر الدليل العقلي الموافق للدليل النقلي ومن ثم يدعم ذلك بكلام السلف الصالح.

(٢) عرض الدكتور محمد العربي بوعزيزي هذه الأدلة الثلاثة – الدليل الكوني والغائي والوجودي – التي تناولها إقبال بشيء من التفصيل في كتابه: محمد إقبال فكره الديني والفلسفي ص (٢١٥-٢٢٢) من أراد الاستزادة فليراجعها.

تعددت الأدلة من الكتاب والسنة والفطرة والعقل على إثبات وجود الله سبحانه وتعالى، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ © وَٱلْأَرْضِ ﴾[1] فالمشركون من عبَّاد الأصنام وغيرهم من أهل الكتاب معترفون بالله مقرون به أنه ربهم وخالقهم ورازقهم، وأنه رب السموات والأرض والشمس والقمر، وأنه المقصود الأعظم.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ D E F G H I J K L M N ﴾[2]، وعلى ذلك فإن الرسل دعوا أقوامهم ابتداءً إلى توحيد الإلوهية وإقرار الله تعالى بالعبودية، ولو لم يكن الإقرار بالله تعالى وربوبيته أمراً فطريّاً لابتدؤوا أقوامهم بذلك، لأن الأمر بتوحيده تعالى في عبادته فرع عن الإقرار به وبربوبيته. ولصح لأعداء الرسل عند دعوهم لهم أن يقولوا نحن لم نعرفه أصلاً فكيف تأمروننا بعبادته ؟ ولما لم يحدث ذلك منهم دل على أن معرفتهم بالله مستقرة في فطرهم[3].

والأدلة من السنة النبوية على وجود الله مستفيضة، منها: قوله صلى الله عليه وسلم:‹‹**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِه أَوْ يُنَصِّرَانِه أَوْ يُمَجِّسَانِه كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:"فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا**

(١) سورة إبراهيم آية: (١٠).

(٢) سورة النحل آية: (٣٦).

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، طبع على نفقة خادم الحرمين الشريفين – الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله –، أشرف على الطباعة والنشر إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤١١هـ /١٩٩١م. (٤٤٠/٨).

تَبْدِيـــلَ لِخَـــلْقِ اللَّهِ ذَلِـــكَ الـــدِّينُ الْقَيِّـــمُ وَلَكِـــنَّ أَكْثَـــرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُـــونَ"[(١)]» [(٢)].

فدل الحديث على أن كل مولود يولد على الفطرة، والفطرة على أصح أقوال العلماء أنها الإسلام [(٣)].

---

(١) سورة الروم آية : (٣٠).

(٢) الحديث أخرجه محمد بن إسماعيل البخاري في الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، في كتاب: الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، رقم الحديث: (١٣٥٨)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.(٩٥/٢)؛ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب معنى كل مولد يولد على الفطرة، رقم الحديث: (٢٦٥٨). (٢٠٤٧/٤) من حديث أبي هريرة.

(٣) اختلف العلماء رحمهم الله في تحديد معنى الفطرة على ستة أقوال:

الأول: أن الفطرة هي الخلقة التي خلقوا عليها من المعرفة بربهم.

الثاني: أن الفطرة هي البداءة التي ابتدأهم الله عليها.

الثالث: أن الفطرة هي ما فطروا عليه من الإنكار والمعرفة والكفر والإيمان .

الرابع: أن الفطرة هي ما أخذه الله من ذرية آدم من الميثاق قبل أن يخرجوا إلى الدنيا.

الخامس: أن الفطرة هي ما يقلب الله عليه قلوب الخلق إليه مما يريد ويشاء.

السادس: أن الفطرة هي الإسلام، وهذا القول هو الراجح عند كثيرٌ من العلماء والمحققين، وعليه ذهب كثير من الصحابة والتابعين وغيرهم. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الآثار المنقولة عن السلف لا تدل إلا على هذا القول. انظر: درء التعارض (٣٥٩/٨ – ٤٦٨)؛ أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية، حققه وعلق عليه: يوسف البكري، وشاكر العاروري، الناشر: دار رمادي، الدمام، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.(٩٤٤/٢ – ١٠٧٠)؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ورقَّم كتبها وأبوابها وأحاديثها محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.(٣١٧/٣–٣٢١)؛ شرح السنة للإمام الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: زهير الشاويش، وشعيب الأرناؤوط، الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.(١٥٦/١–١٦١)؛ معالم السنن شرح سنن أبي داود، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي، خرَّج آياته ورقَّم كتبه وأحاديثه عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.(٢٩٩/٤–٣٠٠)؛ ومن أراد الاستزادة في مسألة الفطرة فليراجع كتاب بعنوان: الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها، لعلي بن محمد القربي، الناشر: دار المسلم، الرياض الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

وقوله صلى الله عليه وسلم:«**أَلاَ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي. هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْداً حَلالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ. وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَاناً**»(١)، وهذا صريح في أنه خلقهم على الحنيفية، وأن الشياطين اجتالتهم بعد ذلك (٢).

ودلَّت الفطرة على أن وجود الله – سبحانه وتعالى – مستقر ومركوز في نفس المؤمن والكافر، ولو لم تكن النفوس فطرت على معرفة الله سبحانه وتعالى لما تعلقت به عند الشدائد، ولما دعته عند الكرب.

يقول الشهرستاني(٣):«ما شهد به الحدوث، أو دل عليه الإمكان بعد تقديم المقدمات، دون ما شهدت به الفطرة الإنسانية من احتياج في ذاته إلى مدبر هو منتهى الحاجات، فيرغب إليه ولا يرغب عنه، ويستغني به ولا يستغنى عنه، ويتوجه إليه ولا يعرض عنه، ويفزع إليه في الشدائد والمهمات...» (٤).

---

(١) الحديث أخرجه مسلم، في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم الحديث: (٢٨٦٥)، (٢١٩٧/٤)، من حديث عياض بن حمار المجاشعي.

(٢) انظر: درء التعارض (٣٦٣/٨).

(٣) الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني الشافعي، أشعري متكلم، وأتهم بمذهب الباطنية، من مؤلفاته: الملل والنحل؛ نهاية الإقدام في علم الكلام؛ مصارعة الفلاسفة، توفي سنة ٥٤٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة١٤١١هـ، (٢٨٦/٢٠)؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. (٢٤٦/٦).

(٤) انظر: نهاية الإقدام في علم الكلام، للشهرستاني، حرره وصححه: الفرد جيوم، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بدون تاريخ طبعة. ص (١٢٥).

ويشير الراغب الأصبهاني [1] إلى أن معرفة الله سبحانه وتعالى مركوزة في النفوس بقوله:«معرفة الله تعالى العامية — أي الإجمالية - مركوزة في النفس، وهي معرفة كل أحد أنه مفعول، وأن له فاعلاً فعله، ونقله في الأحوال المختلفة...» [2].

وقد دل العقل على وجود الله سبحانه وتعالى، فمن المعلوم أن كل نفس قابلة للعلم وإرادة الحق، ومعلوم أن مجرد التعليم والتحفيظ لا يوجب العلم والإرادة، لولا أن في النفس قوة تقبل ذلك، وإلا فلو علَّم أحد إحدى البهائم والجمادات وصفها، لم يحصل لها ما يحصل لبني آدم مع أن السبب في الموضعين واحد، فعلم أن ذلك لاختلاف القوابل، ومعلوم أن إقرار النفس بالخالق ممكن من غير سبب منفصل من خارجها، وتكون الذات كافية في ذلك، فإذا كان المقتضى لذلك قائماً في النفس وقدر عدم التعارض، فإن المقتضى السالم يوجب مقتضاه، فعلم أن الفطرة السليمة إذا لم يحصل لها ما يفسدها كانت مقرة بالخالق عابدة له [3].

إنَّ مذهب أهل السنة والجماعة هو ما اتفق أهل الفطر كلهم على الإقرار بوجود الله، بل إنه من لوازم خلقهم، ولقد حكى أهل العلم إجماع الأمم، واتفاق الملل، وتوافق الفطر على هذا الأمر الضروري، ومن هؤلاء الأئمة الأعلام، والصفوة الكرام شيخ

---

(١) الأصبهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني، أديب ومن الحكماء العلماء، وإمام في اللغة، من مؤلفاته: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ومفردات ألفاظ القرآن، وغيرهما، توفي سنة ٥٠٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢٠/١٨)؛ الأعلام(٢٥٥/٢).

(٢) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة لأبي القاسم الأصبهاني، تحقيق: د. أبو اليزيد العجمي، الناشر: دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م. ص (١٩٩-٢٠٣).

(٣) انظر: درء التعارض (٤٥٦/٨-٤٦٨)؛ شرح العقيدة الطحاوية، لعلي بن محمد بن أبي العز الحنفي، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الأرناؤوط، الناشر : دار الرسالة، بيروت، الطبعة الثاني عشرة ١٤١١هـ / ١٩٩٠م. (٣٥/١).

الإسلام ابن تيمية [(١)]، في غير ما موضع من كتبه ورسائله يقول - رحمه الله -: «أهل الفطر كلهم متفقون على الإقرار بالصانع» [(٢)] [(٣)].

والحاصل أن الشاعر محمد إقبال أكَّد على أن وجود الله أمر فطري، لا يحتاج إلى إقامة براهين عقلية فلسفية، والإقرار بوجوده سبحانه وتعالى من الحقائق البديهة والأمور الضرورية الفطرية التي لا تحتاج إلى أدلة وبراهين لإثباتها، بل إن الإقرار بوجود الله أمر فطري مستقر في النفوس السليمة من الغبش والشك والحيرة، ولذا فإن من كمال الإيمان وتحقيق الوحدانية والعبودية الإقرار بوجود الله الحق تبارك وتعالى[(٤)].

(١) ابن تيمية: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني، تقي الدين، من أعلام وأئمة أهل السنة والجماعة، له باع كبير في التصنيف، ومن مصنفاته: درء تعارض العقل والنقل، النبوات، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، وغيرها، توفي سنة ٧٢٨هـ. انظر: شذرات الذهب (٦/٨٠)؛ الأعلام (١/١٤٤).

(٢) انظر: المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع، إعداد خالد بن مسعود الجعيد، وعلي بن جابر العلياني، ناصر بن حمدان الجهني، الناشر: دار الهدي النبوي، مصر، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م. ص (٢٣٧-٢٣٨).

(٣) لفظ الصانع الذي ذكره ابن تيمية - رحمه الله - يريد به الخالق سبحانه وتعالى، وهذه اللفظة من اصطلاحات المتكلمين وأهل المنطق، التي درجوا في نسبتها إلى الله - تعالى وتقدس -، والذي عليه مذهب أهل السنة والجماعة عدم التسمية بالصانع لأن أسماء الله توقيفية، كما أنه لم يرد في الكتاب ولا السنة الصحيحة لفظ الصانع. وقد يسأل سائل ويقول: هل يشتق من الوصف اسماً لله - سبحانه وتعالى - وإن كان جاء وصف الله بـ (الصانع) ؟ نقول أن الصفة لا يشتق منها اسم، وإنما يشتق من الاسم الصفة لأنها تتضمنه، وشيخ الإسلام - رحمه الله - حينما أورد هذا اللفظ جاء من باب الرد على المتكلمين بمصطلحاتهم، وما درجوا عليه، وعرفوه بينهم، والذي يظهر - والله أعلم - أن شيخ الإسلام استخدم هذا المصطلح من باب الإخبار وباب الأخبار أوسع من باب الأسماء.

(٤) مسألة إثبات وجود الله — سبحانه وتعالى — خاض فيها المتكلمون والفلاسفة؛ فقد ذهب كثيرٌ من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية وبعض فرق الشيعة من الإمامية والزيدية إلى القول بأنه معرفة وجود الله وإثباته تكون عن طريق المعرفة النظرية القائلة بأن العالم حادث، ودليل حدوثه ما فيه من الجواهر والأعراض، وقد وافق الفلاسفة المتكلمين في نظرية المعرفة وخالفوهم في طريق إثباتها حيث سلك الفلاسفة طريقاً آخر هو طريق الإمكان والوجوب، فقد قسموا العالم إلى ممكن وواجب بدلاً من قديم وحادث.

المبحث الثاني:

آراء محمد إقبال في أسماء الله وصفاته نفياً وإثباتاً

وفيه مطلبان:

المطلب الأول/

رأي محمد إقبال في أسماء الله وصفاته نفياً وإثباتاً.

المطلب الثاني /

تقويم رأي محمد إقبال في أسماء الله وصفاته نفياً وإثباتاً.

المطلب الأول:

رأي محمد إقبال في أسماء الله وصفاته نفياً وإثباتاً.

توحيد الأسماء والصفات هو اعتقاد انفراد الرب جل جلاله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة، والجلال، والجمال، التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من جميع الأسماء والصفات، ومعانيها، وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، من غير نفي لشيء منها، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل، ونفي ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله من النقائص والعيوب ومن كل ما ينافي كماله [1].

تبنى كبار علماء أهل الحديث في شبه القارة الهندية مذهب السلف في الأسماء والصفات، إلا أنهم لم يسلموا من الوقوع في التأويل ولو أحيانا [2] لعدم انتشار هذا المذهب بينهم، ولسيادة المذهب الأشعري [3]

(١) انظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق صبري سلامة شاهين، الناشر: دار الثبات، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م. ص (٤٠)؛ القول المفيد شرح كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الرابعة ١٤٢١هـ. (١-١٦).

(٢) مما يدل على أن علماء الحديث في الهند لم يسلموا من الوقوع في التأويل ولو أحياناً في الأسماء والصفات ما وقع فيه أبو الوفاء الأمرتسري حيث خالف في مواضع من تفسيره مذهب السلف في آيات الصفات، وجنح إلى ضرب من التأويل في الاستواء والعلو وغيرها، فقام أهل الحديث بالإنكار عليه، وألفوا الكتب في الرد عليه مثل: كتاب الأربعين في أن ثناء الله ليس على مذهب المحدثين، لعبد الحق الغزنوي. والجدير بالذكر أن أبو الوفاء رجع إلى مذهب السلف بعد المناظرة بينه وبين الغزنوي في حضرة الملك عبد العزيز، وحضور عدد من العلماء مثل الشيخ عبد الله بن بليهد، والشيخ محمد رشاد رضا، والشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ، والشيخ بهجة البيطار.

(٣) الأشاعرة: هم طائفة من طوائف المتكلمين، ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري؛ ويثبتون سبع صفات، ويوافقون المرجئة في الإيمان، والجبرية في القدر. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.(٦/٥٢ – ٥٥)؛ الملل والنحل (١/ ١٠٦-١١٨)؛ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الناشر: الندوة العالمية، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ. (١/٨٧-٩٨).

والماتريـــدي [1] والكـــلابي [2] في القارة الهندية، وعليه فقد سار الشاعر محمد إقبال على طريقة أهل بلده في تأثره بمذهب الأشاعرة، فقد وافقهم في صفة الخلق مخالفاً في ذلك منهج السلف الصالح.

بعد التتبع والاستقراء في آراء إقبال لم يحصل لي من كلامه ما يستفاد منه رأي واضح في إثبات أسماء الله وصفاته وأنه على منهج أهل السنة والجماعة، إلا أنني أرى أنه في الجملة من المؤولين في هذا الباب.

يوافق محمد إقبال رأي الأشاعرة في مسألة الخلق بنظريتهم المشهورة " الجوهر الفرد " [3] أو الجزء الذي لا يتجزأ.

يقول إقبال:«يقول الأشاعرة إن العالم يتألف من أشياء اصطلحوا على تسميتها بالجواهر. وهي أجزاء متناهية في الصغر بحيث لا تقبل التجزؤ والانقسام. وبما أن خلق

(١) الماتريدية: هم طائفة من طوائف المتكلمين، ينتسبون إلى أبي منصور الماتريدي، تعد الماتريدية من الصفاتية، وذلك لأنهم يثبتون ثمان صفات وهي: القدرة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، والتكوين؛ ومن عقيدتهم أيضاً القول بأن القرآن الكريم حكاية عن كلام الله، ويقولون بالكلام النفسي، ويقولون بالمجاز في اللغة والقرآن والحديث، ويوافقون الأشاعرة في كثيرة من أصولهم. انظر: الماتريدية دراسة وتقويماً، أحمد بن عوض الله الحربي، الناشر: دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـــ. ص (٥٩) وما بعدها.

(٢) الكلابية: هم طائفة من طوائف المتكلمين، ينتسبون إلى أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كُلاب القطان، وتعد الكلابية من الفرق التي وافقت السلف في جل أصول العقيدة، إلا أنهم خالفوهم في مسائل متعلقة بالإيمان والصفات إذ يثبتون الأسماء والصفات على طريقة أهل الكلام. انظر: الفتاوى (١٠٣/٣؛ ١٢/٤-١٤-١٤٧-١٥٦-١٧٤).

(٣) الجوهر الفرد: هو عبارة عن المتحيز، وهو ينقسم إلى بسيط ويعبر عنه بالجوهر الفرد: وهو عبارة عن جوهر لا يقبل التجزيء، لا بالفعل ولا بالقوة، وإلى مركب: وهو الجسم: وهو المؤتلف من جوهرين فردين فصاعداً، والجوهر الفرد: هو الجسم الذي ينتهي بالتجزئة إلى حـــد لا يقبل الوصف بالتجزئة، والجوهر الفرد أصوله يونانية، وأول من قال به من الإسلاميين أبو الهذيل العلاف المتوفى٢٣٥هـــ من المعتزلة والكلام في الجوهر الفرد مقدماته طويلة. انظر: المعجم الفلسفي ص (٦٤)؛ الكليات " معجم في المصطلحات والفروق اللغوية "، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي، قابله على نسخه الخطية وأعده للطبع ووضع فهارسه د. عدنان درويش، ومحمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـــ / ١٩٩٨م. ص (٣٤٥-٣٤٧)؛ مصطلحات في كتب العقائد دراسة وتحليل، محمد ابن إبراهيم الحمد، الناشر: دار بن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـــ/٢٠٠٦م. ص (٨٧-٨٨).

الله للحوادث مستمر غير منقطع، فإن عدد الجواهر لا يمكن أن يكون متناهياً. ففي كل لحظة يخلق في الوجود جواهر جديدة وهكذا يصبح العالم في نمو مستمر، كما جاء في الكتاب الكريم ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[(1)]» [(2)].

وعن علاقة الجوهر الفرد بالخلق الإلهي كما يراها الأشاعرة يقول إقبال:«وماهية الجوهر غير وجوده. ومعنى هذا أن الوجود عرض يُلحقه الله بالجوهر، وقبل أن يلحقه بالجوهر يظل كما لو كان كامناً في قدرة الله الخالقة، وليس يعني وجوده أكثر من تجلي القدرة الإلهية للعيان»[(3)] .

ويختم الشاعر كلامه عن الجوهر الفرد بقوله:«...وإني أميل إلى القول بأن الفرض الأول فيه جانب من الحقيقة بالنظر إلى فكرة الخلق المستمر التي حاول الأشاعرة إثباتها. وقد قلت من قبل إن الرأي عندي هو أن روح القرآن في جملتها تعارض الفلسفة القديمة، وإني لأعد نظرية الأشاعرة في هذا الموضوع على ما فيها من قصور أقرب إلى روح القرآن من نظرية أرسطو التي تقول بعالم ثابت» [(4)].

---

(١) سورة فاطر آية: (١).

(٢) انظر: تجديد التفكير الديني ص (٨١ – ٨٢).

(٣) انظر: المصدر السابق ص (٨٢).

(٤) انظر: المصدر السابق ص (٨٤).

المطلب الثاني :

تقويم رأي محمد إقبال في أسماء الله وصفاته نفيا وإثباتا.

مما لا شك فيه أن آراء الشاعر محمد إقبال فيها من الغموض والتناقض الشيء الكثير، فمثلاً عندما تناول صفة الخلق التي وافق فيها المذهب الأشعري، ووجه التناقض في هذه المسألة وجود نصوص شعرية تدل على تمجيد إقبال لأسماء الله وصفاته وتعظيهما، مثل قوله [1]:

ذلك الواحدُ لا شرِيكَ له   عبدهُ يأبى شريكاً مِثلَه

وقوله [2]:

وفوق الكلّ رحمنٌ رحيمٌ   إلهٌ واحدٌ ربُّ الأنام

إلا أن الشاعر في كتاباته جانب الصواب في أسماء لله وصفاته، فقد وافق بعضاً من مصطلحات الفلاسفة والمتكلمين، فنجده يصف الخالق سبحانه وتعالى بواجب الوجود، فهذا الوصف لا يجوز على الصحيح تسمية الله سبحانه وتعالى به، لأن الأسماء توقيفية، ولكن يجوز الإخبار عنه سبحانه وتعالى به عند الحاجة إلى ذلك، والواجب الاستغناء عن هذه المصطلحات الكلامية بأسماء لله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة [3].

وقد يكون للرواسب التي ورثها إقبال عن بيئته وآبائه وأجداده المعتنقين للديانة البرهمية وعلاقتها بالفلسفة اليونانية آثراً كبيراً في أخذه بنظرية الجوهر الفرد، فقد ذكر بعض الباحثين أن القول بالجوهر الفرد موجود عند الهنود ويرجع تاريخه إلى ما حول

---

(١) انظر: ديوان الأسرار والرموز (١/ ٢٤٣).

(٢) انظر: ديوان صلصلة الجرس (١/١٠٤).

(٣) وصف إقبال الباري جل شأنه بالذات الحقيقة والنهائية والأولى وواجبة الوجود، وهو الذات العليا والنفس العظمى والفرد الكامل الأعظم. وهو الإرادة الخالقة والقوة المحركة والنور الأصلي والأزلي الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا. انظر: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (١٧٣).

القرن الخامس الميلادي فهو يوجود عند فرقتين فلسفتين من فرق البراهمة وهما: النيايا والوايششيكا (١).

ومنهج أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات، إثباها لله سبحانه وتعالى من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل، مع نفيهم أن تكون تلك الصفات مماثلة لصفات المخلوقين، واستبعاد أي تدخل للعقل في تحديد كيفيتها، أو تعطيل حقيقتها، أو تحريفها عن الوجه الذي يدل عليه ظاهر اللفظ (٢).

أنكر العلماء والمحققون القول بالجوهر الفرد، واستفاضت كتبهم بالرد على هذه النظرية، بل يرى بعض الباحثين أن العصر الحاضر انهارت فيه نظرية الجوهر الفرد، وتجزأ الجزء الذي لا يتجزأ إلى طاقة، حينما فجرت الذرة، وكان هذا انهياراً لعلم الكلام القائم على هذه النظرية، ولو كان علم الكلام هو الحامل للواء الإسلام حينما فجرت الذرة لكان ذلك سلاحاً بيد أعداء الإسلام؛ لتأكيد بطلانه نتيجة هذا الفساد لأساسه (٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – :«وأكثر العقلاء من طوائف المسلمين وغيرهم ينكرون الجوهر الفرد حتى الطوائف الكبار من أهل الكلام كالنجارية (٤)

---

(١) انظر بحث بعنوان: نظريّات الجُزء الذي لا يتجزّأ في التراث العربي الإسلامي، د. عبد الكريم اليافي، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد الثامن، ١٩٨٢م، ص (٥).

(٢) انظر: التدمرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، لشيخ الإسلام بن تيمية، تحقيق د. محمد بن عودة السعوي، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة السادسة١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م. ص (٧).

(٣) انظر: مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحديث، د.عبدالرحمن بن زيد الزنيدي، الناشر: دار إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م. ص (١٦٧).

(٤) النجارية: هم أتباع حسين بن محمد النجار (ت٢٢٠هـ). يزعم أن الله سبحانه لم يزل جواداً بنفي البخل عنه، وأنه لم يزل متكلماً بمعنى أنه لم يزل غير عاجز عن الكلام، وأن كلام الله سبحانه محدث مخلوق، وكان يقول برأي المعتزلة بالتوحيد إلا في باب الإرادة والجود، ويخالفهم في القدر ويقول بالإرجاء. انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م. (٢١٦/١)؛ الملل والنحل (١٠٠/١)؛ الفرق بين الفرق، لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، اعتنى بها وعلّق عليها إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة١٤٢١هـ / ٢٠٠١م. ص (١٩١-١٩٣).

والضرارية [١] والهشامية [٢] والكلابية وكثير من الكرامية [٣] مع أكثر الفلاسفة[٤]»[٥].

ويقول أبو القاسم الأصبهاني - رحمه الله - :«أنكر السلف الكلام في الجواهر والأعراض، وقالوا: لم يكن على عهد الصحابة والتابعين رضي الله عن الصحابة ورحم التابعين، ولا يخلوا أن يكونوا سكتوا عن ذلك وهم عالمون به، فيسعنا السكوت كما سكتوا عنه، أو يكونوا سكتوا عنه وهم غير عالمين به فيسعنا أن لا نعلم ما لم يعلموه - أي في أمور الدين من العقائد والعبادات والأحكام -» [٦].

---

(١) الضرارية: هم أتباع ضرار بن عمرو الغطفاني، المتوفي سنة ١٩٠هـ، ويزعم أن معنى أن الله عالم قادر أي أنه ليس بجاهل ولا عاجز، وكذلك يقول في تعطيل جميع صفات الله عز وجل. انظر: مقالات الإسلاميين (١/٣٣٩)؛ الملل والنحل (١/١٠٢-١٠٤).

(٢) الهشامية: هم أتباع هشام بن عمرو الفوطي، وهي إحدى فرق المعتزلة الذين بالغوا في نفي القدر، وكفَّر من قال إن الجنة والنار مخلوقتان الآن. انظر: الفرق بين الفرق ص (١٥٠-١٥٥)؛ الملل والنحل (١/٨٥-٨٧).

(٣) الكرامية: هم أتباع محمد بن كرّام السجستاني، من الفرق الكلامية يجمعهم القول بالتشبيه والتجسيم في الصفات، والإرجاء في الإيمان، فهو عندهم مجرد النطق باللسان فقط. انظر: مقالات الإسلاميين (١/٢٢٣)؛ الملل والنحل (١/١٢٤-١٣١)؛ الفرق بين الفرق ص (١٩٧-٢٠٦).

(٤) الفلاسفة: هم طائفة ينتسبون إلى الفلسفة، والفلسفة كلمة يونانية مركبة من كلمتين " فيلا " أي : محب، و"سوفيا" أي: الحكمة، ومعناها: محب الحكمة، ومن آرائهم: القول بقدم العالم، وإنكار النبوات، وإنكار البعث الجسماني وغيرها. انظر: المعجم الفلسفي ص (١٣٨)؛ الملل والنحل (٢/٣٦٩-٣٧٣)؛ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن قيم الجوزية، مراجعة محمد الفاضلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م. (٢/٢٠٥).

(٥) انظر: درء التعارض (٣/٣٥٥)؛ الفتاوى (١٢/٣٨١).

(٦) انظر: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إملاء الإمام الحافظ قوّام السنة أبي محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق ودراسة محمد بن ربيع المدخلي، الناشر: دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية١٤١٩هـ / ١٩٩٩م. (١/٩٩ - ١٠٠).

ونقل العلامة ابن القيم [1] عن ابن الوفاء بن عقيل [2] أنه قال:«أقطع أن الصحابة ماتوا و لم يعرفوا الجوهر ولا العرض، فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت »[3].

ويعلق أبو العباس بن تيمية على مسألة الجوهر الفرد بقوله:«فالقائلون بأن الأجسام مركبة من الجواهر يقولون: إن الله لا يحدث شيئاً قائماً بنفسه، وإنما يحدث الأعراض التي هي الاجتماع والافتراق، والحركة والسكون وغير ذلك من الأعراض. ثم من قال منهم بأن الجواهر محدثة قال: إن الله أحدثها ابتداء، ثم جميع ما يحدثه إنما هو إحداث أعراض فيها لا يحدث الله بعد ذلك جواهر، وهذا قول أكثر المعتزلة [4] والجهمية والأشعرية ونحوهم، ومن أكابر هؤلاء من يظن أن هذا مذهب المسلمين، ويذكر إجماع المسلمين عليه، وهو قول لم يقل به أحد من سلف الأمة، ولا جمهور الأمة، بل جمهور الأمة حتى من طوائف أهل الكلام ينكرون الجوهر الفرد، وتركب الأجسام من

---

(١) ابن القيم: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرعي الدمشقي، من أئمة أهل السنة والجماعة وأكابرهم، من مؤلفاته: زاد المعاد، وإعلام الموقعين، ومدارج السالكين، وغيرها، توفي سنة ٧٥١هـ . انظر: شذرات الذهب (١٦٨/٦)؛ الأعلام (٥٦/٦).

(٢) ابن عقيل: أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي، من كبار علماء الحنابلة في عصره، أصولي فقيه، وواعظ متكلم، كان فطناً، من مصنفاته: الفنون، وكفاية المفتي، وغيرهما، توفي سنة ٥١٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٤٣/١٩)؛ شذرات الذهب (٥٨/٦).

(٣) انظر: تلبيس إبليس، لعبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، التحقيق والدراسة والتعليق د.السيد الجميلي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة السابعة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م. ص (١٠٥).

(٤) المعتزلة: فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجاً عقليّاً متطرفاً في بحث العقائد الإسلامية؛ سُمْوا بذلك لاعتزال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد مجلس الحسن البصري، لقولهما بأن الفاسق (مرتكب الكبيرة) لا مؤمن ولا كافر، ويجمع المعتزلة القول بنفي الصفات عن الله تعالى، والقول بأن القرآن مخلوق، وأن الله لا يرى في الآخرة، وأن الله ليس خالقاً لأفعال العباد، ويطلق عليهم: القدرية والعدلية، وتصل فرقهم إلى اثنين وعشرون فرقة. انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (٢٣٥/١)؛ الملل والنحل (٥٦/١)؛ الموسوعة الميسرة (٦٩/١)؛ المعتزلة وأصولهم الخمسة، لعواد بن عبد الله العتيق، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م. ص (١٣-١٤).

الجواهر، وابن كلاب إمام أتباعه هو ممن ينكر الجوهر الفرد، وقد ذكر ذلك أبو بكر بن فورك في مصنفه الذي صنفه في مقالات ابن كلاب، وما بينه وبين الأشعري من الخلاف...»[1].

ويقول في موضع آخر:« وقد علم بالاضطرار أن أحداً من الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم ينطق بإثبات الجوهر الفرد، ولا بما يدل على ثبوته عنده، بل ولا العرب قبلهم، ولا سائر الأمم الباقين على الفطرة، ولا أتباع الرسل، فكيف يدعي عليهم أنهم لم يقولوا لفظ جسم إلا لما كان مركباً مؤلفاً؟! ولو قلت لمن شئت من العرب الشمس والقمر والسماء مركب عندك من أجزاء صغار كل منها لا يقبل التجزئ، أو الجبال أو الهواء أو الحيوان أو النبات لم يتصور هذا المعنى إلا بعد كلفة، ثم إذا تصوره قد يكذبه بفطرته، ويقول: كيف يمكن أن يكون شيء لا يتميز منه جانب عن جانب ؟! وأكثر العقلاء من طوائف المسلمين وغيرهم ينكرون الجوهر الفرد، فالفقهاء قاطبة تنكره، وكذلك أهل الحديث والتصوف»[2].

والحاصل أنَّ ما ذهب إليه الشاعر محمد إقبال من القول بالجوهر الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ أنكره أهل العلم قديماً وحديثاً، وهو قول محدث في الإسلام، لم يقله أحد من السلف والأئمة، كما أن فكرة الجوهر الفرد فكرة غامضة جداً، والذين يستطيعون فهمها قلة نادرة من طلبة العلم ناهيك عن عامة الناس، فكيف نبرهن أولاً على وجودها ؟ ثم كيف نتخذها منهجاً في مسألة صفة الخلق لله سبحانه وتعالى ؟ وهل كان تلاميذ الأشاعرة وأتباعهم أسعد حظاً من الرجل العامي في وقتنا الراهن مع تقدم العلم وانتشاره، إن الدليل في إثبات صفة الخلق لله سبحانه وتعالى يجب أن يكون صحيحاً واضحاً، وموافقاً للكتاب والسنة، وسهلاً يفهمه جميع العباد، ودليل

(١) انظر: الفتاوى (٢٤٤/١٧).

(٢) انظر: الفتاوى (٣٢١/١٧-٣٢٢).

الجوهر الفرد الذي ابتدعه الأشاعرة ومن وافقهم الرأي باطل وعسير[1].

(١) نقد شيخ الإسلام ابن تيمية في غير ما موضع من مؤلفاته نظرية الجوهر الفرد وبين بطلان مذهب القائلين بها. انظر: منهاج السنة النبوية، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق د. محمد رشاد سالم، الناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى١٤٠٦هـ. (٢/٢١٠)؛ كما نقد ابن القيم هذه النظرية وكشف عن زيفها، وبين بطلانها في كتابه: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لابن القيم الجوزية، دراسة وتحقيق علي بن محمد الدخيل الله الناشر: دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ (٣/٩٨٤ومابعدها)؛ وللاستزادة في بحث شمولي لهذه المسألة انظر رسالة دكتوراه بعنوان: أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة، إعداد: د.منيف بن عايش العتيبي، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة (١/٣٨٢-٣٨٣، ٤١٢-٤١٤).

المبحث الثالث:

آراء محمد إقبال في توحيد العبادة وتقويمه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول/

رأي محمد إقبال في توحيد العبادة.

المطلب الثاني /

تقويم رأي محمد إقبال في توحيد العبادة.

المطلب الأول:

رأي محمد إقبال في توحيد العبادة.

توحيد العبادة هو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده. ومعنى ذلك أن يتوجه العبد بأعماله التعبدية كلها، باطنها وظاهرها لله تعالى وحده بحث لا يكون شيء منها لغيره سبحانه. وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وأول دعوة الرسل وآخرها، وهو معنى قول لا إله إلا الله [١].

إنَّ المتأمل والمطلع على الإنتاج الشعري أو النثري الذي خلفه الشاعر محمد إقبال وعلى وجه الخصوص الدواوين الشعرية، يجد المواضع الكثيرة التي تحدث فيها إقبال عن توحيد العبادة وإفراد الله سبحانه وتعالى بالعبودية له دون سواه.

يرى إقبال أنَّ الغاية من خلق الإنسان عبادة الله سبحانه وتعالى، وينطلق [٢] من قوله تعالى:﴿ C D E F G H ﴾[٣].

فالمتأمل في قصائد الشاعر محمد إقبال – في الجملة – يجدها عميقة في تقرير العبودية الخالصة لله سبحانه وتعالى، ففي شعره الأبيات الكثيرة التي تهدف إلى تدمير الأساطير من الأصنام والأوثان، وإفساح الطريق بين العبد وبين ربه مباشرة يقول إقبال: "لا عبودية إلاَّ لله" [٤].

---

(١) انظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد ص (٤٢-٤٣)؛ القول المفيد شرح كتاب التوحيد (١٤/١)؛ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله آل الشيخ، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ. ص (٣٦).

(٢) انظر: المسؤولية الخلقية في فكر الدكتور محمد إقبال، د.عبدالهادي الفضلي، الناشر: وحدة التعليم بسفارة باكستان الإسلامية ،الرياض، جدة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م. ص (٣).

(٣) سورة الذاريات آية: (٥٦).

(٤) انظر: مجلة الأدب الإسلامي، العدد: (٢٣)، مقالاً بعنوان: محمد إقبال رائد التجديد، بقلم: علاء الدين حسن. ص (٢٨).

دعا إقبال إلى تحطيم الأصنام التي صنعها الإنسان بنفسه ونحتها في قلبه ليعبدها من دون الله سبحانه.

يقول في ديوان صلصلة الجرس تحت عنوان "الشكوى وجواب الشكوى"[(١)]:

مــنْ غيــرنــا هَدمَ التماثيلَ الَّــتي ... كــانتْ تُقدَّسُهــا جَهَـــالاتُ الوَرى؟

حتـــَّى هَـــوَتْ صُوَرُ المعـــابدِ سُجَّداً ... لجلالِ مَنْ خَلــقَ الــوجودَ وصـــوَّرَا

ويقول في بداية ديوانه والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق [(٢)]:

أجْعَـــلِ الأصنــامَ في الأرض هشيماً ... لا تغــادرْ هيكـــلاً منهــــا قديمَــا

ويقول في القسم الثاني من ديوان جناح جبريل [(٣)]:

أمــــا آنَ تهجـــرُ أصنــامَهـــــم ... أمــــا آنَ تخرجُ مـــن قُمْقُمِــك [(٤)]

وغــــايةُ أصنـــــامهـــم أنَّهـــا ... تـــزخــــرفُ هيكلَها مـــن دَمِــك

هاجم إقبال علانية المشايخ القائمين على الأضرحة، وينتقد استغلالهم للناس السذج عن طريق إقامة الموالد ووضع صناديق النذور.

يقول إقبال:«إنهم لو وجدوا حصير الزهراء، ودلق أويس القرني، وغطاء أبي ذر الغفاري، لأكلوا السحت من أثمانها» [(٥)]، فإقبـــال هنـــا يتحســـر علـــى حالـــة الشيـــوخ، فكـــل شيـــخ في دائـــرته قـــد زيـــن متجـــره بأسمـــاء عظمـــاء الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم أجمعين –، أما دواخلهم فقد فرغت من عبادة

(١) انظر: ديوان صلصلة الجرس (١/ ٩٥).

(٢) انظر: ديوان والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق (٢/٣٤٣).

(٣) انظر: ديوان جناح جبريل (١/٤٣٦-٤٣٧).

(٤) تعددت المعاني اللغوية لمصطلح القمقم والمراد بها هنا: الوقوع في الأمر العظيم الكبيـــر وهو عبادة الأصنام. انظر: لسان العرب (١٢/٤٩٣).

(٥) انظر: مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد: (٥)، محرم ١٤١٢هـــ / يوليو ١٩١٩م، بحثاً بعنوان: إقبال والعرب، بقلم د.سمير عبد الحميد إبراهيم ص (٣٩٥-٣٩٦).

وعفة وطهارة فاطمة الزهراء، ومن محبة أويس القرني، وزهد وورع أبي ذر الغفاري، وما يفعله هؤلاء الشيوخ هو أنهم يبيعون أسماء هؤلاء الأطهار، كما أنهم ابتلوا خلق الله بمرض الفرقة والخصام [(١)].

خالف إقبال منهج السلف في مسألة شد الرحال، حيث شد رحله إلى سرهند في البنجاب؛ لزيارة مقبرة الشيخ أحمد السر هندي في ٢٩يونيو عام ١٩٣٤م، بمصاحبة ابنه جاويد، وكان عمر ابنه يوم ذاك عشر سنين.

يقول إقبال في ديوان جناح جبريل تحت عنوان "إلى جماعة بيرزاده [(٢)] في البنجاب" [(٣)]:

جزتُ البلاد إلى ضريح مجدد ووقفتُ ليلي نادباً ونهاري
وعلى التُّرابِ من الضَّريح تألُّقٌ غبْطَتُه في قَصْرِ السَّماء جواري
لما وقفتُ على ضريح مُجدِّدٍ دار الحديثُ عن الزَّمان الدائرِ

فيقصد إقبال بالمجدد في هذه الأبيات الشيخ أحمد السرهندي المعروف بمجدد الألف الثاني.

وتلقى الشاعر محمد إقبال دعوة من الجمعية التعليمية لمسلمي جنوب الهند بمدينة مدراس لإلقاء المحاضرات عن الإسلام، وألقى محاضراته – تجديد التفكير الديني في الإسلام – بين حشد كبير

(١) انظر: المصدر السابق ص (٣٩٥-٣٩٦) – بتصرف –.

(٢) بيرزاده: تعني عضواً في طريقة، أو رئيس جماعة روحية، ومؤسسو هذه الطريقة كانوا دراويش، ولكن وأولادهم انقلبوا إلى الماديين. انظر: حاشية ديوان جناح جبريل (١/٥٤٢).

(٣) انظر: المصدر السابق .

من أهالي مدراس ... وبعد إلقاء المحاضرات زار إقبال قبر السلطان تيبو بسر[1] بالقرب من مدينة ميسور[2].

ووجَّه نادر شاه ملك أفغانستان آنذاك دعوة إلى رجال الفكر والدعوة والإصلاح في القارة الهندية، وكان من هؤلاء الشاعر محمد إقبال ليستشيرهم في أوضاع أفغانستان، فبعد انتهاء المهمة قام إقبال أثناء مقامه بغزنين بزيارة مرقد الشاعر الصوفي الحكيم السنائي (ت ١١٨٠م)، ومرقد السلطان محمود الغزنوي[3]، وقبر والد الشيخ علي الهجويري اللاهوري الصوفي الفارسي الأصل، ثم غادر أفغانستان متوجهاً إلى لاهور في الثاني من نوفمبر ١٩٣٣م[4]، كما كتب الشاعر محمد إقبال تعليقاً على القسم الثاني من ديوان جناح جبريل قائلاً: تفضَّل جلالة السلطان نادر شاه بدعوتي، فاغتنمتُ زيارة ضريح الفيلسوف السنائي والغزنوي في شهر (تشرين الثاني) عام ١٩٣٣م، وقد نظمتُ هذه التأملات على نمط قصيدةٍ مشهورة لهذا الفيلسوف ذكرى لهذا اليوم السعيد: " **إنَّنا نسير على خُطى السنائي والعطَّار** "[5]، وهذا البيت من أبيات جلال الدين الرومي، فقد اقتبسها إقبال من ديوانه المثنوي وذلك من خلال كثيرة ومداومة اطلاعه عليه.

---

(١) تيبو بسر ينكا: حاكم ولاية ميسور الهندية الجنوبية خلال الفترة (١٧٨٢-١٧٩٩م)، اشتهر تيبو بنمر ميسور بسبب معارضته للحكم البريطاني الذي حاربهم وهزمهم هزيمة ساحقة. انظر: الموسوعة العربية العالمية (٣٨٣/٧).

(٢) انظر: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره ص (٦٢-٦٥)؛ فلسفة إقبال ص (١٤).

(٣) الغزنوي: محمود بن سبكتكين الغزنوي، من الشخصيات العظيمة في التاريخ الإسلامي، يرجع إليه ظهور الدولة الغزنوية وعاصمتها غزنة وهي مدينة مشهورة في طرف خراسان مع حدود الهند، وهو أحد المجاهدين المسلمين الذي تميز عهده باتساع الدولة الإسلامية في إقليم الهند. انظر: الموسوعة العربية العالمية (١٠٩/١٧-١١٠).

(٤) انظر: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٩٧).

(٥) انظر: ديوان جناح جبريل (٤٢١/١).

المطلب الثاني :

تقويم رأي محمد إقبال في توحيد العبادة .

عبادة الله سبحانه وتعالى هي الغاية التي خُلقت من أجلها الخليقة، قال تعالى:﴿ C D E F G H ﴾[1]، وهذه الآية من الآيات التي من أجلها خلق الله الخلق وأمرهم بعبادته وحده دون ما سواه، ويقول جلَّ وعلا:﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ﴾[2]، وهاتان الآيتان وغيرهما مما جاء في تقرير توحيد العبادة لله سبحانه وتعالى. والشاعر محمد إقبال وافق مذهب أهل السنة والجماعة في إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبودية له دون سواه، وكما ذكرت في بداية المطلب أنَّ المتأمل في قصائده في الجملة يجدها عميقة في تقرير العبودية الخالصة لله سبحانه وتعالى، ففي شعره الأبيات الكثيرة التي تهدف إلى تدمير الأساطير، وإفساح الطريق بين العبد وبين ربه مباشرة، يقول إقبال: "لا عبودية إلاَّ لله".

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله – معلقاً على قوله تعالى:﴿ C D E F G H ﴾:«أن جميع الإنس والجن مقرون بالخالق معترفون به، مقرون بعبوديته طوعا وكرها، وذلك يقتضي أن هذه المعرفة من لوازم نشأتهم، وأنه لم ينفك عنها أحد منهم»[3]. والعبادة هي العلاقة بين الخالق سبحانه وتعالى وبين العبد، وهي الغاية من الوجود الإنساني كما ذهب إليه إقبال، وقد أمر الله سبحانه وتعالى بتوحيده وإفراده بالعبادة، ونهاهم عن الإشراك به، وألزمهم بطاعته والانقياد لأمره، وحذَّرهم أسباب سخطه ونقمته، وأنذرهم مغبَّة معصيته ومخالفة شرعه قال تعالى:﴿ h i j k l m n o p q r s t u v w

(١) سورة الذاريات آية: (٥٦).

(٢) سورة الأنبياء آية: (٢٥).

(٣) انظر: درء التعارض (٤٧٩/٨).

X ﴾[1] فالعبادة مبنية على الإخلاص والمتابعة لشرعه، فلا يعبد إلاَّ الله تعـــالى، ولا يعبد سبحانه إلاَّ بما أمر وشرع، فلا محدثات ولا بدع، وإنما سيرٌ على ما كان عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم، ولا تزال بحمد الله طائفة مـــن أمَّة محمد صلى الله عليه وسلم على الحقِّ منصورة لا يضرُّها من خالفها أو خـــذلها إلى يوم الدين، والسلف الصالح رحمهم الله فهموا حقيقة العبادة على أصول الوحي الإلهـــي والسنة النبوية المطهرة، وبفهمهم هذا جمعوا بين السعادتين الدنيوية والأخروية.

شمر الشاعر محمد إقبال ساعد الجد عن لسانه وقلمه بمحاربة الأصنام والأوثان التي تعبد من دون الله، فكان رأيه إيجابيّاً في اتجاهه الإصلاحي حينما أعلن حرباً علانية ضد المشايخ -كما سمَّاهم – القائمين على الأضرحة، وذلك عندما نقد استغلالهم للناس السذج عن طريق إقامة الموالد ووضع صناديق النذور لأخذ أموال الناس بالباطل.

ومما يجدر التنبيه إليه هنا أن إقبال الشاعر وقع كعادته في التناقض والغموض ووجهه هنا أنه حارب القائمين على الأضرحة والقبور لكنه لم يسلم من النـــزعة القبورية، وهناك أدلة وشواهد كثيرة تدل على ذلك منها أن إقبالاً قام بالصلاة عند قبـــر الصوفي علي الهجويري عندما خطرت له فكرة دولة باكستان، وكان إقبال يتعلق بهذا الصوفي كثيراً ويذهب إلى مقامه قبل صلاة الفجر، ومما يؤيد أيضاً نزعة الشاعر محمد إقبال القبوريـــة – ولو من طرف خفي – ما ذكره في ديوان جناح جبريل تحت عنوان" وصية إقبال لولده جاويد" [2]:

إيـــاك أن يـــأتي لقبـــري زائـــرٌ ويقـــولُ لـــي جـــــاويدُ يبـــذلُ مـــاءَهُ

إنَّ أعظم الانحرافات التي وقعت في تاريخ البشرية هو الإشراكُ بالله سبحانه وتعالى، وعبادةُ غيره معه، كعبادة القبور والأضرحة وغيرهما، ولذلك كانت الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية هي إزالة الشرك بجميع صوره، وتحقيق العبودية التامة لله

(١) سورة البينة آية: (٥).

(٢) انظر: ديوان جناح جبريل (٥٠٤/١).

سبحانه وتعالى، يقول الحق تبارك وتعالى:﴿ D E F G H I J K L M N ﴾[1]، وقال تعالى:﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / ﴾[2]، وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«**بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»[3]، فمن هذه النصوص وغيرها تبين عظم الغاية من إرسال الرسل، ودعوة الناس أجمعين إلى التوحيد، وقد تضافرت النصوص الشرعية التي تقطع بالنهي عن تعظيم القبور وزيارتها البدعية، إذ أنها تؤدي إلى الغلو في أصحاب القبور، واستفاضت السنة النبوية بالأحاديث المتواترة الدالة على النهي عن تعظيم القبور، وقد أدرك الرعيل الأول من الصحابة الكرام والتابعون لهم بإحسان العلة من النهي عن تعظيم القبور وزيارتها الشركية [4].

---

(١) سورة النحل آية: (٣٦).

(٢) سورة الأنبياء آية: (٢٥).

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده – مسند ابن عمر –، رقم الحديث (٥١١٤- ٥١١٥)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، وإبراهيم الزيبق، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، (١٢٣/٩)؛ والحديث صححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل رقم الحديث: (١٢٦٩)؛ وصححه أحمد شاكر: انظر المسند بتحقيق أحمد شاكر، الناشر: دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية عام١٣٩١هـ / ١٩٧١م، (١٠٩/٥-١١٠).

(٤) ذكر العلماء عللا كثيرة للنهي عن الزيارة البدعية لقبور الأنبياء والصالحين دون غيرهم منها: أنها هي التي يخشى منها الوقوع في الشرك الذي حذر منه المصطفى صلى الله عليه وسلم، كما أن الغلو في أربابها ليس كالغلو في قبور سائر الناس، والفتنة بهم أعظم من غيرهم، وهذا هو الواقع المشاهد، فإنه ما من مشهد إلا ويزعم أنه بني على ولي صالح، ذي مناقب وكرامات عظيمة، يرجى نفعه ويخاف انتقامه، أو يزعم أنه على نبي من أنبياء الله، كما ظهر ذلك تخميناً في أماكن كثيرة من بلاد الله، ولكثيرٍ من الأنبياء، مع تصريح العلماء أنه لا يُعلم على التحقيق واليقين إلاّ قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

من الأخطاء العقدية التي سلكها إقبال في باب توحيد العبادة هي مسألة شد الرحال لزيارة القبور[1].

زيارة قبور الصالحين من الأنبياء والمرسلين أو العلماء والدعاة والمصلحين أمرٌ قد وقع الخلاف فيه بين أهل السنة والمبتدعة، فأهل السنة يقرون الزيارة الشرعية الصحيحة الموافقة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، من غير شد الرحال إلى القبور والمزارات والمشاهد، وأهل البدع يقولون بالزيارة البدعية الشركية، ويتمسكون بأحاديث ضعيفة وموضوعة لا يعتمد على شيء منها في هذه المسألة. والمنتقد هنا هو شد إقبال مع ولده الرحال لزيارة قبر الشيخ أحمد السر هندي، وأما زيارات إقبال لمقابر بعض الأعلام من غير شد الرحال إليها فليست شرعية، وإن كانت لا تخلو من محاذير؛ لما يظهر من تخصيصه لزياة بعض قبور المشاهير، وليس زيارة قبور عامة المسلمين.

أما زيارة الشاعر محمد إقبال لقبر الشيخ أحمد السر هندي، وعزمه على السفر إليه، داخل تحت المسألة المشهورة شد الرحال لزيارة قبور الأنبياء والصالحين، وقد وقع الخلاف فيها بين العلماء على قولين:

❖**القول الأول:** عدم الجواز، وانعقاد السفر فيه معصية، وعليه فلا يجوز قصر الصلاة والترخص برخص المسافر، وإلى هذا القول ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وعزاه لأبي عبد الله بن بطة [2] وأبي الوفاء بن عقيل وغيرهما، ويرى ابن تيمية أن هذا السفر

---

(١) الرِّحال: جمع رحل وهو للبعير كالسرج للفرس، ويستوي إذاً في هذا المعنى: الرحال، الخيل، والبغال، والحمير.انظر: مختار الصحاح، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق وضبط حمزة فتح الله، ترتيب محمود خاطر، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، مادة "رحل"ص (٢٣٧)؛ فتح الباري (٨٢/٣).

(٢) ابن بطة: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي، إمام عابد فقيه ومن أعلام أهل السنة والجماعة، من مصنفاته: كتاب الإبانة الكبرى، والشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، وغيرهما، توفي سنة ٣٨٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥٢٩/١٦)؛ شذرات الذهب (٤٦٣/٤).

بدعة، ولم يكن في عصر السلف، وحكاه ابن حجر في الفتح[١] قولاً لأبي محمد الجويني[٢] والقاضي عياض [٣] واختياراً للقاضي حسين المروذي [٤] [٥].

❖**القول الثاني:** جواز السفر وشد الرحال، وهذا القول ذهب إليه جمع من المتأخرين منهم أبو حامد الغزالي [٦] والموفق بن قدامة المقدسي [٧] وغيرهما [٨].

والقول المشهور الذي رجَّحه العلماء المحققون هو عدم جواز شد الرحال لزيارة قبور الأنبياء والصالحين، وهو الذي عليه السلف الصالح لأدلة منها:

---

(١) ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن محمد بن حجر الكناني، العسقلاني، الشافعي، أحد أعلام المحدثين، من مؤلفاته: تهذيب التهذيب؛ وفتح الباري شرح صحيح البخاري، والتلخيص الحبير، وغيرها، توفي سنة٨٥٢هـ. انظر: شذرات الذهب (٩/٣٩٥)؛ الأعلام (١/١٧٨) .

(٢) الجويني: أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني الطائي السنبسي والد إمام الحرمين،كان من فقهاء الشافعية، مدققاً، محققاً، نحوياً مفسراً، من مؤلفاته: التبصرة، والتذكرة، والتفسير الكبير، وغيرها، توفي ٣٨٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/٦١٧)؛ الأعلام (٤/١٤٦) .

(٣) القاضي عياض: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي، العلامة الحافظ، عالم المغرب، من مؤلفاته: الشفا في شرف المصطفى، ومشارق الأنوار، وترتيب المدارك وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك، وغيرها توفي سنة ٥٤٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/٢١٢)؛ شذرات الذهب (٦/٢٢٦).

(٤) المروذي: أبو أحمد حسين بن محمد بن بهرام المروذي، المؤدب، نزيل بغداد، إمام حافظ ثقة، توفي ٢١٣هـ . انظر سير أعلام النبلاء (١٠/٢١٦)؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ أبي الحجاج يوسف المزي، حققه وضبط نصه وعلق عليه د.بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى١٤١٨هـ / ١٩٩٨م. (٢/٢٠١).

(٥) انظر: فتح الباري (٣/٨٣).

(٦) الغزالي: أبو حامد الغزالي محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي، اشتهر بلقب حجة الإسلام، ويُعد من أكابر الأشاعرة وأئمتهم، نظر في كتب الفلسفة والتصوف، من مصنفاته: إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، والمنقذ من الضلال، وغيرها، توفي سنة ٥٠٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/٣٢٢)؛ شذرات الذهب (٦/١١٨).

(٧) ابن قدامة: أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، إمام في الفقه وأصوله، والتفسير، والحديث، والنحو، والحساب، من مؤلفاته: المغني، والكافي، والمقنع، توفي سنة ٦٢٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/١٦٦)؛ شذرات الذهب (٧/١٥٥).

(٨) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، تحقيق وتعليق: أد. ناصر بن عبد الكريم العقل، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الخامسة١٤١٧هـ / ١٩٩٦م. (٢/٦٧٠-٦٧٢).

قوله عليه الصلاة والسلام :«**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى**»(١).

فقوله: "لا تُشد الرحال" المراد النهي بمعنى لا تشدوا، قال ابن حجر: قال الطيبي: هو أبلغ من صريح النهي، كأنه قال: لا يستقيم أن يُقصد بالزيارة إلا هذه البقاع لاختصاصها بما اختصت به، وقوله: "إلا" الاستثناء مفرَّغ والتقدير: لا تشد الرحال إلى موضع، ولازمه – أي لازم هذا التقدير –: منع السفر إلى كل موضع غيرها؛ لأن المستثنى منه في المفرغ مقدر بأعم العام(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ:«خرَجْتُ إِلَى الطُّورِ فَلَقِيتُ كَعْبَ الْأَحْبَارِ فَجَلَسْتُ مَعَهُ فَحَدَّثَنِي عَنْ التَّوْرَاةِ وَحَدَّثْتُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَلَقِيتُ بَصْرَةَ بْنَ أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِيَّ فَقَالَ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ فَقُلْتُ مِنْ الطُّورِ فَقَالَ لَوْ أَدْرَكْتُكَ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ مَا خَرَجْتَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ **لَا تُعْمَلُ الْمَطِيُّ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِلَى مَسْجِدِي هَذَا وَإِلَى مَسْجِدِ إِيلِيَاءَ أَوْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ... »** (٣).

---

(١) الحديث أخرجه البخاري، في كتاب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة رقم الحديث : (١١٨٩)، (٦٠/٢)؛ وأخرجه مسلم، في كتاب: الحج، باب: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد رقم الحديث: (١٣٩٧)، (١٠١٤/٢)، من حديث أبي هريرة.

(٢) انظر: فتح الباري (٨٢/٣) .

(٣) الحديث أخرجه جمع من المحدثين ومنهم: أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي الكبرى، في كتاب: الجمعة، باب: ذكر الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة، رقم الحديث (١٧٥٤)، (٥٤٠/١)، من حديث أبي هريرة، تحقيق د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية،بيروت، الطبعة الأولى،١٤١١هـــ / ١٩٩١م؛ وأخرجه مالك بن أنس الأصبحي في الموطأ – رواية يحي الليثي – (١٠٨/١)، كتاب: النداء للصلاة، باب: ما جاء في الساعة التي تقوم يوم الجمعة، رقم الحديث (٢٤١)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، مصر، من حديث أبي هريرة، والحديث صححه جمع من العلماء منهم: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في الإرواء (٢٢٨/٣).

يقول شيخ الإسلام:«فقد فهم الصحابي الذي روى الحديث: أن الطور وأمثاله من مقامات الأنبياء: مندرجة في العموم، وأنه لا يجور السفر إليها، كما لا يجوز السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة» (1)، والمقصود هنا: أن الصحابة لم يكونوا يستحبون السفر لشيء من زيارات البقاع، لا آثار الأنبياء، ولا قبورهم، ولا مساجدهم: إلا المساجد الثلاث؛ بل إذا فعل بعض الناس شيئاً من ذلك أنكر عليه غيره، كما أنكروا على من زار الطور الذي كلم الله عليه موسى.

ومن المعلوم أن زيارة القبور لم تكن موجودة في صدر الإسلام ولا في القرون الثلاثة المفضلة وإنما حدث بعد انقراضهم ، وحدوث البدع، وظهور الإفك والشرك، يقول أبو العباس بن تيمية:«وأما السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين: فهذا لم يكن موجوداً في الإسلام في زمن مالك، وإنما حدث هذا بعد القرون الثلاثة، قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم، فأما هذه القرون التي أثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن هذا ظاهراً فيها، ولكن بعدها ظهر الإفك والشرك» (2).

ومن ثم كان السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة، لم يفعلها أحد من أهل القرون الثلاثة المفضلة، وببدعية ذلك صرح شيخ الإسلام بقوله:«لأن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة، لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أمر بها الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، فمن أعتقد ذلك عبادة وفعله: فهو مخالف للسنة ولإجماع الأئمة، وهذا مما يذكره أبو عبد الله بن بطة في الإبانة الصغرى من البدع المخالفة للسنة والإجماع»(3).

(1) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٦٧١)؛ الفتاوى (٢٧/٣٣).

(2) انظر: الفتاوى (٢٧/٣٨٤-٣٨٥).

(3) انظر: الفتاوى (٢٧/ ١٨٧).

وفي ختام هذا المطلب فإنَّ الشاعر محمد إقبال شديد الإيمان بالله والاعتماد عليه، والتوجه إليه بالعبادة دون سواه. وقرأتُ في شعره وكتاباته أن لا عبودية إلاَّ لله سبحانه وتعالى، وأكد إقبال على أهمية التوحيد للفرد والأمة بقوله:" التوحيد مهم للفرد والأمة، وذلك لأن الفرد يؤمن بوحدانية الله ولا يسلم قلبه لغيره"(١)، والمأخذ عليه في باب توحيد العبادة أنه خالف منهج السلف الصالح في شد الرحال لزيارة قبر الشيخ أحمد السر هندي، وهي – مسألة شد الرحال – من البدع المنكرة المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة.

(١) انظر: إقبال والعرب ص (٣٤٩)؛ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأصداؤها في فكر محمد إقبال، د.محمد السعيد جمال الدين، ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٠هـ. البحوث مكتوبة على آلة الكاتبة، ومن إعداد: د محمد سلام مدكور، رئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية حقوق القاهرة سابقاً، وخبير موسوعة الفقه الإسلامي بوزارة الأوقاف الكويتية. ص (١-١٨).

الفصل الثالث

آراء محمد إقبال في النبوات

وفيه مبحثان:

❖ **المبحث الأول:**

آراء محمد إقبال في إثبات النبوة وحقيقتها وتقويمه.

❖ **المبحث الثاني:**

آراء محمد إقبال في بعض الأنبياء والرسل وتقويمه.

المبحث الأول

آراء محمد إقبال في إثبات النبوة وحقيقتها وتقويمه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول/

رأي محمد إقبال في إثبات النبوة وحقيقتها.

المطلب الثاني/

تقويم رأي محمد إقبال في إثبات النبوة وحقيقتها.

المطلب الأول:

رأي محمد إقبال في إثبات النبوة وحقيقتها.

تناول الشاعر محمد إقبال مسألة النبوة وحقيقتها من منظور فلسفي صوفي عقلاني، فقرر أن النبوة ضرب من الوعي الصوفي تنال باكتساب الإنسان واستعداده، ووصفها بأنها قوة روحية تتطور إلى الوعي الصوفي.

يعرِّف إقبال النبوة بقوله:«النبوة إنها ضرب من الوعي الصوفي ينـــزع ما حصله النبي في مقام الشهود إلى مجاوزة حدوده، وتلّمس كل سانحة لتوجيه قوى الحياة الجمعية توجيهاً جديداً، وتشكيلها في صورة مستحدثة. فالمركز المتناهي من شخصية النبي يغوص أغواراً لا نهائيته ليطفو ثانية مفعما بقوة جديدة تقضي على القديم وتكشف عن توجيهات للحياة جديدة. وهذا الاتصال بأصل وجوده ليس خاصاً بالإنسان بأي حال من الأحوال» [1].

ويصف إقبال النبوة بأنها قوة روحية تتطور إلى الوعي الصوفي، فيقول:« ... وفي طفولة البشرية تتطور القوة الروحانية إلى ما أسميه الوعي النبوي، وهو وسيلة للاقتصاد في التفكير الفردي والاختيار الشخصي، وذلك بتزويـــد الناس بأحكـــام واختيارات جاهزة، وأساليب العمل، أُعدت من قبل ...»[2].

(١) انظر: تجديد التفكير الديني ص (١٤٣).

(٢) انظر: المصدر السابق ص (١٤٣).

المطلب الثاني:

تقويم رأي إقبال في إثبات النبوة وحقيقتها.

سلك الشاعر محمد إقبال منهجاً منحرفاً ومخالفاً لما عليه أهل السنة والجماعة في إثباته لحقيقة النبوة، فقد زعم أن النبوة ضرب من الوعي الصوفي، وهذا مزلق خطير، فمقارنة حالة الوجد عند الصوفي بحالة الوحي عن النبي، توهم بأن حالة الوحي باطنية فردية تنبع من ذات النبي، كما هي الحال عند الصوفي في حال الوجد، مع أن الأمر ليس كذلك، فحالة الوجد عند الصوفي حالة إرادية إنسانية، تحدث بالتأمل الباطني والكشف، وتتمخض عن نتائج قد تكون شيطانية أو وهمية في الغالب، ولا تعدو شخص الصوفي، ولا تصدر عنها تعليمات إلهية، وأكثر حالات الوجد تصدر من وساوس الشيطان والجن، وتوهمات الإنسان وفطرته ووساوسه؛ لأنها لم تحدث لأصلح الخلق بعد المرسلين، وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم القدوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما حالة الوحي عن النبي فهي حالة تتمثل فيها أمور إلهية تحدث من خارج ذات النبي، مثل نزول الملك عليه، وسماعه الوحي مثل صلصلة الجرس، ولا يأتيه الوحي بإرادته المحضة وبممارسته الذاتية. وعلى أي حال: فالصوفي يمثل في الغالب الانحراف عن خط النبوة، فالمقارنة بينهما لا مكان لها أصلاً (١) .

ومما يعلم بالضرورة أن الإيمان بالرسل والأنبياء من أصول الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، بل هو الركن الرابع من أركان الإيمان، التي لا يستقيم إيمان العبد إلا بتحقيقها واعتقادها، ويجب علينا التصديق بأن النبوة وحي من الله، ومحض اصطفاء، واجتباء منه سبحانه لرسله وأنبيائه عليهم السلام.

والذي عليه مذهب السلف أن النبوة هبة ومنحة وتكريم وتكليف من الله سبحانه وتعالى، وفضل يخصُّ به الله من يشاء من عباده قال سبحانه:

---

(١) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة، أ.د. ناصر بن عبد الكريم العقل، الناشر: دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. ص (١٨٧-٢٠٤).

﴿ a b c d f g h i ﴾[1]، فـــالنبوة لا تنـــال بالقربـــات والطاعات، ولا بكثرة العبادة والتنسك، وإنما تحصل بالاختيار والاصطفاء مـــن الحـــق تبارك وتعالى، خلافاً لما زعمه إقبال حينما وصف النبوة بأنها ممارسات رياضية، يحصل عليهـــا كـــل مـــن يجتهـــد ويكـــد ويتعـــب لينالهـــا، يقـــول الله ســـبحانه وتعـــالى:﴿ \ ] ^ _ ` a b c d e f ﴾[2]، ويخـــبر الله سبحانه وتعالى أن النبوة تكون بالاصطفاء بقوله:﴿ L M N O P Q R T U V W ﴾[3]، وقـــال في موضـــع آخـــر:﴿ M N O P Q ﴾[4]. من خلال ما سبق من الآيات الكريمة تبين أن النبوة لا تكـــون بالاجتهاد في طلبها، ولا بالوراثة ولا بالغلبة والاستعلاء، وإنما تكـــون باصـــطفاء الله لخيـــرة خلقه الذين يختارهم لحمل رسالته، والرسل عليهم أفضل الصلاة وأتم التـــسليم تحملوا عبء وثقل هـــذه النبوة:﴿ 6 7 8 9 : ﴾[5].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في شأن اصطفاء النبوة:«بل لا بد في النبوة من إيحاء إلهي يختص الله به من يخصه بذلك من عباده بمشيئته وقدرته، وهو سبحانه عالم بـــذلك النبي وبما يوحيه إليه من الوحي، وبقدرته خصَّه بما خصَّه من كراماته، فهؤلاء الملاحدة يدعون أن خطابه لموسى بن عمران ليس هو إلا ما حصل في نفس موسى من الإلهـــام والإيحاء، والواحد من أهل الرياضة والصفاء قد يخاطب كما خوطـــب موســـى بـــن عمران، وإن أعظم من ذلك أنه قد يسمع نفس الخطاب الذي سمعه موسى، ومن هؤلاء من يقول إن الخطاب الذي يحصل لهم أفضل مما حصل لموسى وغيره ... فهذا ونحوه مما

(١) سورة آل عمران آية: (٧٤).

(٢) سورة آل عمران آية: (٣٣).

(٣) سورة الحج آية: (٧٥) .

(٤) سورة ص آية: (٤٧).

(٥) سورة المزمل آية: (٥).

يُعلم بالاضطرار من دين الرسل أنه كفر وباطل من دينهم...»[(١)].

ويقول – رحمه الله – :«إن النبوة لا تنال باكتساب الإنسان واستعداده، كما تنال بذلك العلوم المكتسبة، والدين المكتسب، فإن هؤلاء القوم ما قدروا الله حق قدره، ولا قدروا الأنبياء قدرهم، لما ظنوا أن الإنسان إذا كان فيه استعداد لكمال تزكية نفسه وإصلاحها فاض عليه بسبب ذلك المعارف من العقل الفعَّال، كما يفيض الشعاع على المرآة المصقولة إذا جليت وحوذي بها الشمس، وإن حصول النبوة ليس أمراً يحدثه الله بمشيئته وقدرته، وإنما حصول هذا الفيض على المستعد لحصول الشعاع على هذا الجسم الصقيل صار كثير منهم يطلب النبوة، كما حكي عن طائفة من قدماء اليونان، وكما يعرض ذلك لطائفة من الناس في أيام الإسلام» [(٢)].

قال الناظم[(٣)]:

وَلاَ تُنَالُ رُتْبَةُ النُّبُوَّة بالكَسْبِ وَالتَّهْذِيب وَالفُتُوَّة

لَكِنَّهَا فَضْلٌ مِنَ المَوْلى الأَجَلْ لِمَنْ يَشَا مِنْ خَلقِهِ إلى الأَجَلْ

والحاصل أن إرسال الرسل منَّةٌ من الله وفضل، لا كما وصفها إقبال أنها مكتسبة عن طريق الرياضة الصوفية، ويترتب على هذا القول محاذير عديدة منها:

أولاً: أنه يلزم على تقدير كون النبوة مكتسبة أن لا يكون محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، رغم كونه منصوصاً عليه في القرآن، لأن باب الاكتساب يلزم أن يكون مفتوحاً لكل طالب من أمة محمد وغيرها.

---

(١) انظر: الصفدية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار الهدي النبوي، مصر، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م. (١/٢٣٠-٢٣١).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/٢٢٩).

(٣) انظر: العقيدة السفارينية – الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية – ، لأبي العون شمس الدين محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، اعتناء وشرح وتعليق أبو محمد أشرف عبد المقصود، الناشر: أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م. ص (٨٣).

ثانياً: كما يلزم ألا يعلم الناس أن الساعي لاكتساب منصب النبوة قد بلغ مسعاه وأصبح نبيّاً من أنبياء الله، كما لا يعلم هو نفسه لأنه ليس لنبوته علامة يقتنع بها في نفسه كترول الوحي، ولا علامة تُقنع الناس مثل ظهور معجزة على يده، ذلك أن أنصار النبوة المكتسبة لا تعجبهم الأمور الخارجة عن سنن الكون.

ثالثاً: كما يلزم أن يكون النبي غير معصوم عن الخطأ، بل يخطئ ويصيب في أقواله وأفعاله، مع أن النبي الحقيقي لا يخطئ أبداً فيما بلغه عن الله، وإن أخطأ في اجتهاده فلا يقر على الخطأ من دون أن ينبه عليه [(١)].

رابعاً: أنه مجال للعبث بالشريعة حيث يزعم مكتسب النبوة النسخ لبعض أحكامها والأتيان بأحكام جديدة.

وما ذهب إليه إقبال في قوله:«وفي طفولة البشرية تطور القوة الروحية إلى ما أسميه الوعي النبوي وهو وسيلة للاقتصاد في التفكير الفردي...».

نقول إن وصف النبوة بأنها قوة روحية، وأن هذه القوة الروحية تتطور إلى الوعي النبوي، إنما يمثل تصوراً للنبوة، يتناقض مع كتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإجماع المسلمين في إثبات الوحي، وأن الله تعالى يوحي كتبه إلى أنبيائه، قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾[(٢)]، وإن هذه الفكرة ليست غريبة فهي معروفة في تاريخ الفرق الضالة، وعند الفلاسفة [(٣)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:«والمتفلسفة الذين أثبتوا النبوات على وجه يوافق

---

(١) هذه المحاذير أوردها الشيخ مصطفى صبري رداً على رأي الدكتور زكي مبارك في مسألة النبوة وأنها مكتسبة. انظر: الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد ص (٤٠٦-٤٠٧).

(٢) سورة الشورى آية: (٥١).

(٣) انظر: النـزعة المادية في العالم الإسلامي، عادل التل، الناشر: دار البينة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م. ص (١٥٣).

أصولهم الفاسدة – كابن سينا وأمثاله – لم يقروا بأن الأنبياء يعلمون بخبر يأتيهم عن الله سبحانه وتعالى لا يخبر ملك ولا غيره، بل زعموا أنهم يعلمونه بقوة عقلية؛ لكونهم أكمل من غيرهم في قوة الحدس، ويسمون ذلك القوة القدسية، فحصروا علوم الأنبياء في ذلك. وكان حقيقة قولهم أن الأنبياء من جنس غيرهم، وأنهم لم يعلموا شيئاً بالخبر، ولهـذا صار هـؤلاء لا يستفيدون شيئاً بخبر الأنبياء، بل يقولون: إنهم خاطبوا الناس بطريق التخييل لمنفعة الجمهور. وحقيقة قولهم: أنهم كذبوا لمصلحة الجمهور. وهؤلاء في الحقيقة يكذبون الرسل فنتكلم معهم في تحقيق النبوة على الوجه الحق، لا في معارضة العقل والشرع»[1].

وفي ختام المطلب تبين لنا أنَّ الشاعر محمد إقبال سلك منهجاً منحرفاً في إثباته لحقيقة النبوة، موافقاً في هذا الرأي ثلاثة اتجاهات: اتجاه فلسفيا، وصوفيا، وعقليا، وإن كانت هذه الاتجاهات في مسألة النبوة بينها توافق وتداخل، إلا أنه من باب السبر والتقسيم جعلت رأي إقبال داخلاً ضمن هذه الاتجاهات الثلاثة:

أولاً: الاتجاه الفلسفي القائل بأن النبوة يمكن اكتسابها لمن تحققت فيه ثلاث خصال: القوة القدسية التي ينال بها العلم بلا تعلم، وقوة التخيل بحيث يرى في نفسه صوراً أو يسمع أصواتاً كما يراه النائم ويسمعه، والقوة النفسانية وهي أن يكون له قوة فعالة يؤثر بها في هيولي العالم [2]، وجعلوا معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، وخوارق السحرة هي من قوى الأنفس، فأقروا من ذلك بما يوافق أصولهم.

ثانياً: الاتجاه الصوفي القائل أن خطاب الله لموسى بن عمران ليس إلا ما حصل في نفس موسى من الإلهام والإيحاء، وأن الواحد من أهل الرياضة والصفاء قد يخاطب كما خوطب موسى بن عمران، فإقبال يُخضع النبوة للاكتساب والرياضة الصوفية.

(١) انظر: درء التعارض (١/١٧٩-١٨٠).

(٢) الهيولي: كلمة يونانية الأصل، وترجع إلى أرسطو ثم أخذ بها المدرسيون من بعده، ويراد بها المادة الأولى، وهي كل ما يقبل الصورة، وهي قوة محضة، ولا تنتقل إلى الفعل إلا بقيام الصورة بها.انظر: المعجم الفلسفي ص (١٦٣-٢٠٨).

ثالثاً: الاتجاه العقلي، فالمدرسة العقلية الحديثة تفسر النبوة والرسالة وتناقشها على أنها ظاهرة إنسانية تتعلق بالنشاط الإنساني، لا صلة لها بقوى غيبية خارجية، كالملائكة ونحو ذلك.

المبحث الثاني:

آراء محمد إقبال في بعض الأنبياء والرسل وتقويمه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول/

رأي محمد إقبال في بعض الأنبياء والرسل.

المطلب الثاني/

تقويم رأي محمد إقبال في بعض الأنبياء والرسل.

المطلب الأول:

رأي محمد إقبال في بعض الأنبياء والرسل.

ظهر في شعر محمد إقبال ذكر الأنبياء والمرسلين، فقد تناول جملة من صفاتهم ومعجزاتهم، إلا أنه خالف المنهج الحق عندما تناول في كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام الحديث عن آدم وعيسى – عليهما السلام –.

يرى إقبال أن آدم عليه السلام أكل من شجرة الخلد رغبة منه في البقاء والخلود والديمومة.

يقول إقبال بعد أن ساق قوله تعالى: ﴿ g h i j k l m n o p q r s ... ﴾[1] فالفكرة الأساسية هنا تشير إلى أن رغبة الحياة رغبة لا تقاوم في الحصول على ملك لا يبلى، في حصول الإنسان على مسلك لا نهائي من حيث هو فرد ذو وجود متحقق. ولكن لما كان الإنسان كائنا فانيا يخشى انقضاء سيرته بموته، لم يكن أمامه سبيل إلا أن يحقق نوعا من الخلود الجماعي بالتكاثر والتوالد. وأكل الثمرة المحرمة من شجرة الخلد كان الوسيلة التي لجأ إليها للتمييز بين الذكر والأثر، وهو التمييز الذي به يتكاثر لكي ينجو من الفناء الكلي...»[2].

يرفض إقبال القول بظهور المخلص آخر الزمان حتى ولو كان المخلص عيسى ابن مريم – عليه السلام –. عدم إيمان الشاعر محمد إقبال بنزول نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام لا يخرج عن أمرين:

(١) سورة طه: آية (١٢٠).

(٢) انظر: تجديد التفكير الديني ص (١٠١-١٠٢).

أولاً: عندما اعترض على رأي الفيلسوف الألماني اشبنجلر [1] الذي يؤمن بهذه الفكرة. يقول إقبال:« إن تعاليم النبوة مجوسية، بمجرد ظهورها اقترنت بعقيدة الأمل في مسيح أو مخلص منتظر، وهو أمـل على غاية ما يكـون مـن الوضوح في ظهور عيسى ... وهذه هي الفكرة الأساسية في المجوسية، لأنها تتضمن فكرة الكفاح التاريخي في الكون بين الخير والشر، فيسود الشر في منتصف الزمان ثم ينتصر الخير أخيرا في يوم الدينونة...» ويوضح إقبال رأيه قائلاً :«فإن كان اشبنجلر يريد أن يطبق فكرته هذه على الإسلام، فمن البين أنها تصوير خاطئ لا ينطبق عليه...»[2].

ثانياً: من أهم الأمور التي جعلت إقبالاً يرفض نزول عيسى ابن مريم آخر الزمان إيمانه العميق بعقيدة ختم النبوة، وأن الإسلام خاتم الرسالات، فقد تناول في مواضع كثيرة من تراثه الكلام حول هذه المسألة، فيقول:«إننا نعتقد أن الإسلام دين أوحى الله به، ولكن وجود الإسلام كمجتمع أو أمة يتوقف على شخصية محمد صلى الله عليه وسلم، وليس للقاديانية إلا أن يختاروا أحد الأمرين: إما أن يتبعوا البهائية في انفصالها عن المسلمين، وإما أن يتخلوا عن تفسيراتهم المتطرفة لفكرة ختم النبوة للإسلام» [3].

ويرى إقبال أن من لا يؤمن بختم النبوة يجب أن ينظر إليه كخطر جدي على سلامة الإسلام، فيقول:«إن كل مجتمع ينفصل عن الإسلام وبه طابع ديني يقوم على أساس نبوة جديدة، ويعلن بكفر جميع المسلمين الذين لا يصدقون بهذه النبوة المزعومة،

(١) أوزْفَلْد اشْبنْجلَر: فيلسوف ألماني، بارز في فلسفة التاريخ والحضارة، وهو على غرار سابقيه من الفلاسفة الألمان حيث شيَّد مذهباً شاملاً في الوجود، من مؤلفاته: انحلال الغرب؛ البروسية والاشتراكية، وغيرهما، توفي١٩٣٦م. انظر: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ص (١٣٨-١٤٧).

(٢) انظر: تجديد التفكير الديني ص (١٦٦) — بتصرف -.

(٣) انظر: ثلاث رسائل عن القاديانية، لأبي الحسن الندوي وآخرين، الناشر: مكتبة دار البيان الكويت، بدون تاريخ طبعة ص (١٢).

يجب أن ينظر إليه كخطر جدي على سلامة الإسلام، وأن نهوض المجتمع الإسلامي لا يقوم إلا على عقيدة ختم النبوة» [1].

وبعد ما ذكرنا رأي إقبال في آدم وعيسى عليهما السلام، سنذكر في هذا المقام بعضاً من النماذج الشعرية التي ضمَّن فيها إقبال بعض صفات ومميزات الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

تحدث الشاعر محمد إقبال عن نوح عليه السلام في مواضع عدة، منها في ديوان جناح جبريل تحت عنوان "دعاء طارق" [2]:

ربَّاهُ ! فابعث مسلمين أعزَّةً   يتوسلون كما توسلَ نوحُ

فإن الشاعر يشير هنا إلى الآية القرآنية:﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[3].

وتحدث إقبال عن الخليل إبراهيم عليه السلام في ديوان الأسرار والرموز تحت عنوان "التوحيد" [4]:

نحن في الإسلام أبناءُ الخليلْ   من أبيكم خذ إذا شئت الدَّليل

فإن الشاعر يؤكد في هذه القصيدة أننا نحن المسلمين ننتمي إلى إبراهيم في أصل عقيدتنا – يقصد الحنيفية –، ويشير إلى قوله تعالى: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[5].

وتحدث إقبال عن نبي الله يوسف في ديوان صلصلة الجرس تحت عنوان "جواب الشكوى" [6]:

---

(١) انظر: المصدر السابق ص (١٢).

(٢) انظر: ديوان جناح جبريل (٤٨٩/١).

(٣) سورة نوح آية: (٢٦).

(٤) انظر: الأسرار والرموز (١٩٦/١).

(٥) سورة الحج آية : (٧٨).

(٦) انظر: صلصلة الجرس (١٠٨/١).

وإنَّـــــك يوســــفُ فـــي أيِّ مصـــرٍ ... يـــرى كنعـــائَـــه كلَّ البـــلادِ

تسيـــر بـــك القـــوافـــلُ مُسرعـــاتٍ ... بـــلا جـــــرسٍ ولا تـــرجيـــعِ حـــادِي

فالإشارة في هذا البيت إلى أن المسلم وطنه في كل مكان، وكنعان اسم موضع كان فيه البئر الذي ألقي فيه يوسف الصدَّيق عليه السلام.

وقد أكثر الشاعر محمد إقبال في شعره من ذكر نبي الله موسى عليه السلام بل سمى أحد دواوينه بضرب الكليم، أي: عصا موسى.

يقول إقبال في ديوان جناح جبريل تحت عنوان "إلى عالـــمِ النفس" [(١)]:

دعْ عنكَ فكـــرَكَ فـــالإعصـــار جرَّارُ ... وليـــس تجـــدي ببحـــر الذَّات أفكـــارُ

وأيـــن أنتَ بهـــذا البحـــر مـــن جُزُرٍ ... صغيـــرةٍ مـــا أتـــاهـــا قطُّ بحَّـــارُ

إن لـــم تشقَّ كمـــوسى ثـــوبَ لُجَّتها ... فحظُّـــك الصَّمْتُ إنْ وافاك إعصارُ

فإن الشاعر يشير في الأبيات السابقة إلى القصة القرآنية التي ضرب فيها موسى البحر بعصاه فانشق، قال الله تعالى:﴿ 2 3 4 5 6 7 8 : ; > = < ? ﴾ [(٢)].

إن المتأمل في أشعار محمد إقبال يجدها مليئة بالحديث عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بل كان إقبال يبكي حينما يسمع اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم من لسان أي واحد، وخير دليل على حبه العميق له تلك الأبيات التي لا تزال تعد من غرر المدائح النبوية، والشعر الوجداني.

يقول إقبال في ديوان الأسرار والرموز تحت عنوان "في بيان أنَّ الذات تستحكم

(١) انظر: ديوان جناح جبريل (٥٤٩/١).

(٢) سورة الشعراء آية : (٦٣).

بالمحبة والعشق" [1]:

عشقُــه فــي القلــب نــورٌ أسفــرا ... للثُّــريــا يــرتقــي منــه الثــرى

تُــربُ نجــدٍ منــه قــد خفَّ وضــاء ... طــار وجــداً مُصعــداً نحــو السَّماء

فالمعشوق في الأبيات هو الرسول صلى الله عليه وسلم، فيرى إقبالاً أنَّ عشق النبي عليه الصلاة والسلام هو المثل الأعلى، وهو الذي عشقته ذرات الأرض، فصعدت وارتفعت من الوجود وأنارت ما حولها وبكى الجذع الذي عشقه لفراقه، فكيف لا يثور حبه في جسمنا، ويثير ألف لحن في فؤادنا. فلتكن مهجة المسلم حبه وحب مثواه، ولتكن عزتنا نابعة من ذكراه، وبذلك تظهر ذاتنا بصورة قوية تأسياً به، لقد فتحت له الدنيا بهذا الدين، واستوى عنده الغلام والعبد.

فالشاعر محمد إقبال بنــزعته الصوفية يرى أن العشق يسخر قوى العالم المختلفة، ولا يهاب من أسلحتها، لأنها هو السيف الحقيقي الذي هو ماء الحياة [2].

ويعبر إقبال عما يشعر به كل مؤمن من محبة صادقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول:«إن قلب المسلم عامرٌ بحبِّ المصطفى. هو أصل شرفنا، ومصدر فخرنا في هذا العالم» [3].

---

(١) انظر: ديوان الأسرار والرموز (١/١٣٨)؛ الاتجاه الإسلامي في شعر محمد إقبال، د. صلاح الدين بن محمد شمس الدين الندوي، الناشر: الدار السلفية، الطبعة الأولى١٤١١هـ / ١٩٩١م. ص (١٦٦).

(٢) انظر: فلسفة إقبال ص (١٠٣-١٠٤).

(٣) انظر: نقوش فارسية على لوحة عربية، مقالات في الفكر الإسلامي والأدب المقارن، د. محمد السعيد جمال الدين، الناشر: الدار الثقافية، القاهرة، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م. ص (١٣٣)؛ وأصل هذه المقولة من ترجمة د. عبد الوهاب عزام لديوان الأسرار والرموز.

المطلب الثاني:

تقويم رأي محمد إقبال في بعض الأنبياء والرسل.

سلك الشاعر محمد إقبال منهجاً منحرفاً حينما اعتبر أكل آدم عليه السلام من شجرة الخلد رغبة منه في البقاء والخلود والديمومة، ورفضه القول بظهور المخلص آخر الزمان حتى ولو كان المخلص عيسى بن مريم.

ما ذهب إليه إقبال من أن آدم - عليه السلام - أكل من شجرة الخلد رغبة منه في البقاء والخلود والديمومة، فهذا الكلام مخالف للنصوص القرآنية الواردة في هذا الشأن، بل إن الآيات جاءت صريحة في إغواء الشيطان لآدم في الأكل من الشجرة فقال تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ (1)، وقوله تعالى:

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ © لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا ´ µ ¶

¸ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ (2)، وقوله تعالى: ﴿ g h

i j k l m n o p q r s t u v w x

y z { | } ~ ٱلْجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ (3).

فإقبال فهم قوله تعالى: ﴿ k l m n o p q r s ﴾ على ظاهرها وهو من أكل من شجرة الخلد يكون له البقاء والخلود والديمومة، والذي يظهر - والله تعالى أعلم - أن آدم عليه السلام لم يكن أكله من الشجرة من أجل البقاء والخلود، وإنما لوسوسة الشيطان له ولزوجه.

---

(1) سورة البقرة آية: (٣٦).

(2) سورة الأعراف آية: (٢٠).

(3) سورة طه آية: (١٢٠-١٢١).

يقول ابن كثيـــر[(١)]:«إن الله تعالى عهد إلى آدم وزوجته أن يأكلا من كل الثمار، ولا يقربا هذه الشجرة المعينة في الجنة، فلم يزل بهما إبليس حتى أكلا منها، وكانت شجرة الخلد، يعني التي من أكل منها خلد ودام مكثه»[(٢)].

وما زعمه إقبال عندما رفض ظهور المخلص آخر الزمان[(٣)]، حتى ولو كان المخلص عيسى ابن مريم – عليه السلام – ، فإنه زعم باطل وافتراء محض، وذلك لايمان أهل السنة والجماعة بنـــزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام آخر الزمان، وقـــد استفاضت الأدلـــة مـــن الكتاب والسنة في نزوله [(٤)]، وتعددت

(١) ابن كثير: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، محدث ومفسر ومؤرخ، من مؤلفاته: تفسير القرآن العظيم، البداية والنهاية، واختصار علوم الحديث، وغيرها، توفي ٧٧٤هـــ. انظر: شذرات الذهب (٣٩٧/٨)؛ الأعلام (٣٢٠/١).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير، الناشر: دار الأندلس، بيروت، ١٤١٦هـــ/١٩٩٦م، (٥٤٢/٤).

(٣) إنَّ مسألة ظهور المخلص تقوم على أساس الإيمان بأن الصراع مستمر بين الخير والشر، أو بين المؤمنين والكفار إلى أن يأتي المخلص في آخر الزمان وينتصر الخير ويعم العدل. وفكرة المخلص لها رواج في الديانات السماوية كاليهودية والنصرانية وغيرهما مثل الديانة الفارسية القديمة، التي عرفت في التاريخ باسم الزرادشتية، وعرفها المسلمون باسم المجوسية. والزرادشتيون هم أتباع زرادشت بن يورشب، كان من أهل أذربيجان، ظهر في أيام يشتاسف وادعى النبوة، وقال: إنه رسول من الله، وكان دينه عبادة الله والكفر بالشيطان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الخبائث، والزرادشتيون من المجوس – على قول وإلا فقد وقع الخلاف بين الباحثين في الفرق بين الزرادشتية والمجوسية – القائلين إن للعالم أصلين: النور والظلمة. انظر: الملل والنحل (٢٨١/١-٢٨٩)؛ للاستزادة في بحث مسألة الزرادشتية انظر رسالة دكتوراه بعنوان: أثر الديانات الوثنية في عقائد الرافضة،إعداد: بسمة بنت أحمد بن محمد جستنية، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، العام الجامعي ١٤٢٥هـــ. ص (٧٥-٨٤).

(٤) تواترت الأحاديث في السنة النبوية الشريفة بنـــزول عيسى عليه السلام آخر الزمان. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٦/٢-٤٤٦ ؛ ٢٣٥/٦)؛ الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح (٤٩٣/٦- ٤٩٤)؛ الشيخ مصطفى صبري في كتابه: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، الناشر: دار إحياء التراث العربي،لبنان، بيروت، الطبعة الثانية١٤٠١هـــ /١٩٨١م، (٢٤٧/٤)؛ موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، إعداد الأمين الصادق الأمين، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـــ / ١٩٩٨م . (٢١٤/٢-٢٣٠).

الآثار الكثيرة عن الصحابة والتابعين بشأن نـــزوله، بل حُكِيَ الإجماع على ذلك [١]، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكره الفلاسفة والملاحدة ومن لا يعتد بخلافهم؛ بل إن نزوله عليه السلام من العقائد المشتركة بيننا نحن – المسلمين – وبين أهل الكتاب.

ومن أصول الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة التصديق الجازم بأن عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب ﴿ f g h i ﴾ [٢]، كما يؤمن أهل السنة بأنه يقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويذبح الخنـــزير، ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، ويمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه.

❖ الأدلة من القرآن الكريم على نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان كثيرة منها:

قوله تعالى:﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + ﴾[٣]،

فالضمير في قوله :﴿ ! ﴾ على أصح أقوال المحققين من أهل العلم أنه يعود على عيسى ابن مريم عليه السلام، أي أن خروجه من أعلام الساعة وأماراتها لأنه ينـــزل قبيل قيامها، ومما يؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى بفتح العين واللام:**{وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ }** أي أمارة ودليل على وقوع الساعة [٤].

---

(١) ممن نقل الإجماع محمد بن أحمد السفاريني في كتابه: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ / ١٩٩١م. ص (٩٤/٢-٩٥).

(٢) سورة النساء: آية (١٥٨).

(٣) سورة الزخرف آية: (٦١).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢٣٥/٦)؛ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد للقرطبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، (٩١/١٦)؛ تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة، إشراف د. بكر عبد الله أبو زيد، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ. (٢٨٠/٧).

ويقول سبحانه وتعالى:﴿ p q r s t u v w x z { | } ~ ﴾[1] فقوله:﴿ w x ﴾ ذكر العلماء فيها وجهين في عود الضمير: الأول: قبل موت عيسى عليه السلام، والثاني: قبل موت الكتابي.

قال ابن جرير الطبري[2]:«وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال: تأويل ذلك: وإن من أهل الكتاب إلاَّ ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى»[3].

ولا شك أن الذي قاله ابن جرير هو الصحيح؛ لأنه هو المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة بذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم فقتلوا الشبيه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه، وإنه باق حي، وإنه سينــزل قبل يوم القيامة، كما دلت على ذلك الأحاديث المتواترة. فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنــزير، ويضع الجزية، يعني لا يقبلها من أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ، ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم[4].

---

(١) سورة النساء آية: (١٥٩).

(٢) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، إمام مفسر، وعالم بالسنة وأحكامها، من مصنفاته: تاريخ الأمم والملوك، جامع البيان في تأويل آي القرآن، وتهذيب الآثار، وغيرها، توفي سنة ٣١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٦٩/١٤)؛ شذرات الذهب (٥٣/٤).

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، للطبري، تحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠م. (٣٨٦/٩).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤٣٥/٢).

❖ وأمَّا من السنة النبوية فقد تعددت الأدلة الدالة على نزول عيسى ابن مريم عليه السلام آخر الزمان منها:

الحديث الطويل الذي جاء في ذكر خروج الدجال ثم نزول عيسى بن مريم، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :«**إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ ...**» (1).

وقوله صلى الله عليه وسلم :«**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً مُقْسِطاً فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْراً مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً(2)}**» (3).

وللسلف الصالح – رحمهم الله – كلام مستفيض في إثبات نزول المسيح عيسى عليه السلام منها: ما ذكره الإمام ابن بطة العكبري بقوله:«ثم الإيمان بأن عيسى ابن مريم عليه السلام ينـــزل من السماء إلى الأرض، فيكسر الصليب، ويقتل الخنـــزير» (4).

---

(1) الحديث أخرجه مسلم، في كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم الحديث: (٢٩٣٦)، (٤/٢٢٥٠)، من حديث النواس بن سمعان.

(2) سورة النساء آية: (١٥٩).

(3) الحديث أخرجه البخاري، في كتاب: الأنبياء، باب: نزول عيسى بن مريم عليهما السلام، رقم الحديث: (٣٤٤٨)، (٤/١٦٨)؛ أخرجه مسلم (١/١٣٥)، في كتاب: الإيمان، باب: نزول عيسى بن مريم، رقم الحديث: (١٥٥)، من حديث أبي هريرة.

(4) انظر: الشرح والإبانة على أصول الديانة، لابن بطة العكبري، تحقيق ودراسة د. رضا نعسان معطي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م. ص (٢٤١-٢٤٢).

ويقول البربهاري [1]:«والإيمان بنزول عيسى بن مريم عليه السلام، ينـــزل ويقتل الدجال، ويتزوج ويصلى خلف القائم من آل محمد صلى الله عليه وسلم ويموت ويدفنه المسلمون» [2].

وبعد هذا تبين لنا الانحراف العقدي الذي سلكه الشاعر محمد إقبال، حينما رفض نزول عيسى عليه السلام معللاً ذلك بفكرة ختم النبوة، وأن الإسلام خاتم الرسالات، وليس هناك أي تعارض بين نزول عيسى وختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك لأمور كثيرة منها:

الأول: أن عيسى عليه السلام لن ينـــزل بملة جديدة أو رسالة أخرى أو يقيم الإنجيل شرعة ومنهاجاً، بل الصحيح ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عيسى سيتزل إماماً حكماً عدلاً مقسطاً على ملة الإسلام ويحكم بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ويكون من الأمة المحمدية، وهذا لا إشكال فيه كما أنه ليس انتقاص من قدر عيسى عليه السلام في اتباعه ملة الإسلام.

الثاني: أن الله تعالى أخذ ميثاق النبيين أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويتبعوه فقال تعالى:﴿ k l m n o p q r s t u v w x y z { | } قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [3]، قال علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم: ما بعث الله نبيّاً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمداً

---

(١) البربهاري: أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، كان أحد الأئمة العارفين، والحفاظ للأصول المتقنين، كان قوَّالاً بالحق، داعية إلى الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم، من مصنفاته: الإبانة عن أصول الديانة، والسنة، وغيرهما، مات سنة ٣٢٨هـــ. انظر: سير أعلام النبلاء (٩٠/١٥)؛ شذرات الذهب (٢٣٩/٥).

(٢) انظر: السنة للبربهاري، حقق نصوصه وعلق عليه: خالد ين قاسم الردادي، الناشر: دار السلف، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـــ / ٢٠٠٠م. ص (٦٧).

(٣) سورة آل عمران آية: (٨١).

صلى الله عليه وسلم وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه [1].

<u>الثالث</u>: أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن موسى عليه السلام لو كان حيّاً لما وسعه إلا أن يتبعه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«**لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا فَإِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ أَوْ تُكَذِّبُوا بِحَقٍّ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيّاً بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**»[2]، فأين الإشكال في هذا مع كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، وقوله صلى الله عليه وسلم:«...**وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»[3]، فلا تعارض بين نزول عيسى عليه السلام وختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم، فاندفع الإشكال هنا فليس لإقبال ومن وافقه في هذا الرأي للشك مجال.

<u>الرابع</u>: أنَّ أهل السنة والجماعة تلقوا ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في نزول عيسى ابن مريم – عليهما الصلاة والسلام – وظهور المهدي، وخروج الدجال، بالقبول والتسليم والإذعان، ودوَّنوا ذلك في كتب الصحاح والسنن والمسانيد، وذكــروا مضمونه في كتب العقائد والأديان.

<u>الخامس</u>: ورد في السنة النبوية أكثر من سبعين حديثاً مرفوعاً في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها من دواوين السنة، كلها تدل دلالة صريحة على ثبوت نزول عيسى آخر الزمان وسبق ذكر شيءٍ منها، وهذه الأحاديث أجمعت الأمة على تلقيها بالقبول، فهي مفيدة لليقين حتى عند أهل البدع من أهل الكلام، الذين لا يحتجون بأخبار الآحاد

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣٥٧/١).

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده – مسند جابر – (٣٣٨/٣)، الناشر: مؤسسة قرطبة، القاهرة، مذيلة بأحكام شعيب الأرناؤوط عليها، رقم الحديث: (١٤٦٧٢)، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٦٤٢/١٣-٦٤٣) معقباً على الحديث: في سنده جابر الجعفي وهو ضعيف، وساق طرقاً للحديث وعقب بعد ذلك بقوله: وهذه جميع طرق هذا الحديث وهي وإن لم يكن فيها ما يحتج به لكن مجموعها يقتضي أن لها أصلا.

(٣) الحديث أخرجه البخاري، في كتاب: الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل،رقم الحديث: (٣٤٥٥، (١٦٩/٤)؛ أخرجه مسلم، في كتاب: الإمارة، باب: وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، رقم الحديث: (١٨٤٢)، (١٤٧١/٣)، من حديث أبي هريرة.

في العقائد، ولا حجة لمن ردها بدعوى أنها أحاديث آحاد لا تقوم بها الحجة، فمن أنكر بعد ذلك نزول عيسى آخر الزمان فإنه مكابر وليس عنده أدنى ذرة من عقل أودين، وعليه فمن اعتقد أو زعم أو ظن أنها كلها غير صحيحة أو مزيفة فلا شك أنه فاسد العقل والدين.

السادس: إنَّ كل ما أخبر به رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم فالإيمان به متعلق بأصول الاعتقاد عند المسلمين، لأنه لا يتم الإيمان بالرسول عليه الصلاة والسلام إلا بالإيمان بأخباره، ومن لم يؤمن بأخباره فهو فاسد العقيدة [(١)].

وفي الختام فإن الشاعر محمد إقبال سلك منهجاً خاطئاً ومنحرفاً ضل به عن المنهج الحق القائلين بأن أكل آدم عليه السلام من شجرة الخلد كان من إغواء الشيطان ووسوسته له ولزوجه، بينما اعتبر إقبال أكل آدم من شجرة الخلد رغبة منه في البقاء والخلود والديمومة، كما انحرف رأيه عندما رفض القول بظهور المخلص آخر الزمان حتى ولو كان المخلص عيسى بن مريم أو المهدي المنتظر[(٢)]، وذلك عندما اعترض على رأي اشبنجلر الذي يؤمن بهذه الفكرة المجوسية، وإيمانه بختم النبوة وأن

---

(١) للاستزادة في بحث مسألة نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان انظر: إقامة البرهان في الرد على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح آخر الزمان للشيخ حمود بن عبد الله التويجري، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م. ص (٧-٢٥)؛ أشراط الساعة د. يوسف الوابل، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثاني عشرة١٤٢٠هـ /١٩٩٩م. ص (٣٣٧-٣٦٤)؛ رسالة ماجستير بعنوان: نهاية عيسى عليه السلام وعودته في القرآن والإنجيل، إعداد: هنا حافظ عبد الغني عبد النبي، جامعة النجاح الوطنية كلية الدراسات العليا بنابلس – فلسطين –، العام الجامعي ٢٠٠٧م. ص (١٢٠-١٥٠).

(٢) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الفرق بين مهدي أهل السنة والشيعة:" فالمهدي الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم اسمه محمد بن عبد الله لا محمد بن الحسن، وقد روي عن علي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "هو من ولد الحسن بن على لا من ولد الحسين بن علي" . رواه أبو داود في "سننه" رقم (٤٢٩٠)، بسند ضعيف. وأحاديث المهدي معروفة رواها الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم؛ كحديث عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً))". رواه الترمذي في "سننه" رقم (٢٢٣١) وقال: حسن صحيح، وأبو داود في "سننه" رقم (٤٢٨٢). انظر: منهاج السنة (٩٥/٤).

الإسلام خاتم الرسالات، فقد بينا المنهج الحق بالنصوص الشرعية الصحيحة والصريحة والبراهين والأدلة العقلية والنقلية، والجدير بالذكر أن هذا الرأي الذي قرره محمد إقبال – عدم إيمانه بنـــزول عيسى عليه السلام – له حظٌ كبير عند روَّاد المدرسة العقلية الحديثة وأتباعهم، وممن تتلمذ على أيديهم مثل الشيخ محمد عبده [١]، والدكتور حسن الترابي [٢] وغيرهما.

(١) محمد عبده: محمد بن عبده بن حسن خير الله من آل التركماني، مفتي الديار المصرية، تعلم في الأزهر، وتصوف، وتفلسف، وعمل في التعليم وتولى القضاء، ثم جعل مستشاراً في محكمة الاستئناف فمفتياً للديار المصرية سنة ١٣١٧هـ، واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية سنة ١٣٢٣هـ، ومن آثاره تفسير القرآن الكريم ولم يتمه، ورسالة التوحيد، وغيرهما. انظر: الأعلام (١٣١/٧)؛ الموسوعة العربية العالمية (١٠٧/١٦).

(٢) حسن الترابي: حسن بن عبد الله الترابي، من عائلة دينية من الطبقة المتوسطة. تتلمذ على يد والده، شيخ طريقة صوفية أقلية، له آراء تجديدية عقلانية تخالف منهج السلف الصالح، اجتهد على التحرر من الهيمنة الأميركية الصهيونية، من مؤلفاته: الصلاة عماد الدين، والمشكلة الدستورية، وتجديد أصول الفقه الإسلامي، وغيرها. انظر : نظرات شرعية في فكر الدكتور حسن الترابي، تأليف سليمان بن صالح الخراشي، نسخة إلكترونية، موقع صيد الفوائد، الصنيف العام، تاريخ الإضافة ١٤٢٥/١/٢٢هـ، راجع الرابط التالي:**http://www.saaid.net/book/open.php?cat=88&book=1034**

الفصل الرابع

آراء محمد إقبال في مسائل الإيمان باليوم الآخر

وفيه مبحثان:

❖ المبحث الأول:

آراء محمد إقبال في إثبات الجنة والنار وحقيقتهما وتقويمها.

❖ المبحث الثاني:

آراء محمد إقبال في البعث وتقويمه.

المبحث الأول:

آراء محمد إقبال في إثبات الجنة والنار وحقيقتهما وتقويمه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول /

رأي إقبال في إثبات الجنة والنار وحقيقتهما.

المطلب الثاني /

تقويم رأي إقبال في إثبات الجنة والنار وحقيقتهما.

المطلب الأول:

رأي محمد إقبال في إثبات الجنة والنار وحقيقتهما.

الجنة هي الجزاء العظيم، والثواب الجزيل، الذي أعده الله لأوليائه وأهل طاعته، وهي نعيم كامل لا يشوبه نقص، ولا يعكر صفوه كدر، كما أن النار هي الدار التي أعدها الله للكافرين به، المتمردين على شرعه، المكذبين لرسله، وهي عذابه الذي يعذب فيه أعداءه، وسجنه الذي يسجن فيه المجرمين (١).

شارك الشاعر محمد إقبال قناعات الكثيرين من الفلاسفة والمتصوفة في إثبات حقيقة الجنة والنار، ويوافق المدرسة العصرانية وتأويلاتها المنحرفة، المتمثلة بشخصية رائدها الأول في القارة الهندية السيد أحمد خان، وينطلق في موضوع تعريف الجنة والنار، من مفهوم رمزي، لوصف حالة أهل الشقاء وحالة أهل السعادة.

يقول إقبال: «أما الجنة والنار فهما حالتان لا مكانان. ووصفهما في القرآن تصوير حسي لأمر نفسانيّ. أي لصفة أو حال ... وليس في الإسلام لعنة أبدية. ولفظ الأبدية الذي جاء في بعض الآيات وصفاً للنار يفسره القرآن نفسه بأنه حقبة من الزمان ... وعلى هذا فالنار كما يصورها القرآن ليست هاوية من عذاب مقيم يسلطه إله منتقم، بل هي تجربة للتقويم قد تجعل النفس القاسية المتحجرة تحس مرة أخرى بنفحات حية من رضوان الله. وليست الجنة كذلك إجازة أو عطلة فالحياة واحدة متصلة، والإنسان يسير دائماً قدماً...» (٢).

---

(١) انظر: الجنة والنار، د. عمر بن سليمان الأشقر الناشر: دار النفائس، الأردن، الطبعة السابعة ١٤١٨هـ / ١٩٨٨م. ص (١١؛١١٧).

(٢) انظر: تجديد التفكير الديني ص (١٤١).

المطلب الثاني :

تقويم رأي إقبال في إثبات الجنة والنار وحقيقتهما .

بالغ الشاعر محمد إقبال في تأويله لجملة من المسائل العقدية ومنها رأيه في حقيقة الجنة والنار، ونناقش في هذا المطلب الانحراف العقدي الذي سلكه في إثباته لحقيقة الجنة والنار عبر المسائل التالية:

١. قوله: إن الجنة والنار حالتان لا مكانان.

٢. تفسيره الأبدية في القرآن بحقبة من الزمان.

٣. قوله: إن النار للتجربة وليست للخلود.

٤. قوله: إن الجنة ليس فيها أجازة أو عطلة.

ما ذهب إليه إقبال من أن الجنة والنار حالتان لا مكانان، فقد جانب فيها الصواب، وخالف فيها أئمة السلف، وخرج بها عن حقيقتها التي وصفها كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولاشك أن هذا التأويل أوقع الشاعر في فهم النصوص الشرعية على غير معناها المراد منها، ذلك لأن هذا الفهم معارض لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولما أجمعت عليه الأمة سلفاً وخلفاً، من أن الجنة والنار مكانان محسوسان وليسا نفسيين فحسب.

ومذهب أهل السنة والجماعة ومن وافقهم من الأشاعرة والماتريدية القول بخلق ووجود الجنة والنار الآن، والأدلة من الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة على خلق ووجود الجنة والنار الآن كثيرة منها: قوله سبحانه وتعالى عن الجنة:﴿ + , ﴾[1]، وقوله: ﴿ m n o p q ﴾[2]، وعن النار: ﴿أُعِدَّتْ

(١) سورة آل عمران آية: (١٣٣).

(٢) سورة الحديد آية: (٢١).

لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[1]، وقوله: ﴿ y z { | } ~ مَـَٔابًا ﴾[2].

وَعَنْ عَبْد اللَّه بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْه مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاة وَالْعَشيِّ إِنْ كَانَ منْ أَهْلِ الْجَنَّة فَمنْ أَهْلِ الْجَنَّة وَإِنْ كَانَ منْ أَهْلِ النَّارِ فَمنْ أَهْلِ النَّار فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقيَامَة** »[3].

وَقَال رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**يُدْخلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّة الْجَنَّةَ وَيُدْخلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُ يَا أَهْلَ الْجَنَّة لَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ كُلٌّ خَالدٌ فِيمَا هُوَ فِيه**»[4].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك»[5].

ويقول ابن القيم في سياق وجود الجنة الآن: «لم يزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته، مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا

---

(١) سورة آل عمران آية: (١٣١).

(٢) سورة النبأ آية: (٢١-٢٢).

(٣) الحديث أخرجه البخاري (٩٢/٢)، في كتاب: الجنائز، باب: الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، رقم الحديث: (١٣٧٩)؛ وأخرجه مسلم (٢١٩٩/٤)، في كتاب: الجنة وصفة نعيمها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، رقم الحديث: (٢٨٦٦) من حديث عبد الله بن عمر.

(٤) الحديث أخرجه البخاري (١١٣/٨) في كتاب: الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، رقم الحديث: (٦٥٤٤)؛ وأخرجه مسلم (٢١٨٩/٤)، في كتاب: الجنة، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفة رقم الحديث: (٢٨٥٠) من حديث أبي هريرة.

(٥) انظر: الفتاوى (٣٠٧/١٨)؛ تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: دار القلم، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ. (٥٨١/١).

الأمم، وأخبروا بها إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن»[(١)].

ويقول أبو إسماعيل الصابوني[(٢)]:«ويشهد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما باقيتان لا يفنيان أبداً» [(٣)].

وما ذهب إليه إقبال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾، حيث فسر قوله: (أحقاباً) بفترة زمنية، أي يبقون في النار مدة معينة، ثم يخرجون للعمل والكد، وهذا التفسير يعطي الإنسان فترة أخرى للبقاء، أي للعمل الذي يدعو لبقاء الإنسان وخلوده، فالإنسان على ضوء رأي إقبال مكلف بالدارين معاً، وأما تكليفه من قبل الشرع مستمر هنا وهناك، وبهذا تكون الدنيا والآخرة سواء في طبيعتهما وفي الهدف منهما [(٤)]، وهذا تأويل باطل ومخالف لنصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة سلفاً وخلفاً[(٥)]. ووجه استدلال الشاعر محمد إقبال بهذه الآية:﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ أن الأحقاب أوقات معدودة ومحصورة لا بد لها من نهاية، والجواب عن هذا الاستدلال: نقول بأن المراد أنهم لابثين فيها أحقاباً ومدداً لا حصر فيها.

---

(١) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن قيم الجوزية، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م. ص (٢٩).

(٢) الصابوني: أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل الصابوني، كان من أئمة الأثر، كان سيفاً من سيوف السنة شديداً على أهل البدع، وقد برع في التفسير والحديث والوعظ، له مصنف في السنة واعتقاد السلف، توفي سنة ٤٤٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/٤٠)؛ شذرات الذهب (٥/٢١٢) .

(٣) انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث، لأبي إسماعيل الصابوني، تحقيق ودراسة د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع، الناشر: دار العاصمة ، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م. ص (٢٦٤).

(٤) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص (٤٨٢ – ٤٨٣).

(٥) ممن نقل الإجماع شيخ الإسلام ابن تيمية في: بيان تلبيس الجهمية (١/٥٨١)؛ ابن حزم في: مراتب الإجماع، الناشر: دار الآفاق الجديد، بيروت، الطبعة الثانية١٤٠٠هـ، ص (١٣)؛ الصنعاني في: رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م. ص (١١٦).

يقول ابن كثير عن قتادة في تفسير قوله تعالى:﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾، الأحقاب: هو ما لا انقطاع له، وكلما مضى حُقْبٌ جاء حقب بعده[١]؛ ويقول الشوكاني [٢]: المقصود بالآية التأبيد لا التقييد [٣]، كما أن الحقبُ يعبر به العرب عن الدوام والبقاء، والحُقْب والحُقُب: جمع أحقاب وحِقاب وأَحقب، وهي السنة أو السنون أو ثمانون سنة فأكثر، أو الدهر، وقيل هي السَّنةُ والمدَّة من الزمان لا وقت لها [٤].

إنَّ ما زعمه الشاعر محمد إقبال في هذه المسألة قد كثر الكلام عنه والنقاش فيه بين السلف والخلف تحت مسألة فناء النار[٥]، والقول المشهور الذي عليه جماهير العلماء أن النار كالجنة باقية لا تفنى.

إنَّ الدار الآخرة ليس فيها عمل وكد للنفس البشرية، وإنما يكون فيها نتيجة وجزاء ما عمله الإنسان في الدنيا، وقد تعددت الآيات الدالة على الخلود والأبدية في النار منها: قوله تعالى في شأن الكفار:﴿ ! " # $ % & ')

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (١٩٩/٧).

(٢) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من مؤلفاته: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، والدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، التحف في شرح مذهب السلف، وغيرها، توفي ١٢٥٠هـ. انظر: الأعلام (٢٩٨/٦).

(٣) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق وتعليق، سعيد ين محمد اللحام، الناشر: دار الفكر، بدون تاريخ طبعة.(٥١٥/٥).

(٤) انظر: ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، للطاهر أحمد الزاوي، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، (٦٧٧/١)؛ معجم متن اللغة العربية، أحمد رضا، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م . (١٣٠/٢).

(٥) أعرضت صفحاً عن نقل أقوال العلماء في مسألة فناء النار للاختصار، وأكتفي بالإشارة إلى مظان هذه المسألة. انظر على سبيل المثال كتاب: الرد على من قال بفناء النار وبيان الأقوال في ذلك، ابن تيمية، دراسة تحقيق أد.محمد السمهري الناشر: دار بلنسية، الرياض، الطبعة الأولى١٤١٥هـ، وكتاب: كشف الأستار لإبطال إدعاء فناء الجنة والنار المنسوب لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، د. علي بن علي الحربي اليماني، الناشر: دار طيبة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، وكتاب: رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

(+ , - ﴾[1]، وقال تعالى:﴿ ! " # $ % & ' ( ) (
* + , - ﴾[2]، ويقول جل وعلا:﴿ z { | } ~ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ © شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾[3].

يقول سيد قطب [4] منبهاً إلى أن دفعة الحماس لمقاومة انحراف معين، قد تنشئ انحرافاً آخر:«أراد إقبال أن ينفض عن الفكر الإسلامي وعن الحياة الإسلامية ذلك الضياع والفناء والسلبية، كما أراد أن يثبت للفكر الإسلامي واقعية التجربة التي يعتمد عليها المذهب التجريبي ثم المذهب الوضعي، ولكن النتيجة كانت جموحاً في إبراز الذاتية الإنسانية، اضطر معه إلى تأويل لبعض النصوص القرآنية تأويلاً تأباه طبيعتها، كما تأباه طبيعة التصور الإسلامي لإثبات أن الموت ليس نهاية للتجربة، ولا حتى القيامة، فالتجربة والنمو في الذات الإنسانية مستمران أيضاً – عند إقبال – بعد الجنة والنار، مع أن التصور الإسلامي حاسم في أن الدنيا دار ابتلاء وعمل، وأن الآخرة دار حساب وجزاء، وليست هنالك فرصة للنفس البشرية للعمل في هذه الدار، كما أن لا مجال لعمل جديد في الدار الآخرة بعد الحساب والجزاء .. ولكن هذا الغلو إنما جاء من الرغبة الجارفة في إثبات وجود الذاتية، واستمرارها، أو الـــ"أنا" كما استعار إقبال من اصطلاحات هيجل الفلسفية. ومن ناحية أخرى اضطر إلى إعطاء اصطلاح التجربة مدلولاً أوسع مما هو في الفكر الغربي وفي تاريخ هذا الفكر. لكي يمد مجاله إلى التجربة الروحية التي يزاولها المسلم ويتذوق بها الحقيقة الكبرى. فالتجربة بمعناها الاصطلاحي

---

(١) سورة المائدة آية: (٣٧).

(٢) سورة الزخرف آية: (٧٤-٧٥).

(٣) سورة البينة آية: (٦).

(٤) سيد قطب: سيد قطب بن إبراهيم بن حسين شاذلي، مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية موشة في أسيوط، تخرج في كلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٣٥٣ هـــ / ١٩٣٤م، يحمل شهادة البكالوريوس في الآداب، عمل في جريدة الأهرام، وكتب في مجلتي: الرسالة، والثقافة، عكف على تأليف الكتب ونشرها ومن كتبه: في ظلال القرآن وهو من أشهرها، هذا الدين، وخصائص التصور الإسلامي،وغيرها، توفي ١٣٨٧هـــ / ١٩٦٨م. انظر: الأعلام (١٤٧/٣).

الفلسفي الغربي، لا يمكن أن تشمل الجانب الروحي أصلاً، لأنها نشأت ابتداء لنبذ كل وسائل المعرفة التي لا تعتمد على التجربة الحسية. ومحاولة استعارة الاصطلاح الغربي، هي التي قادت إلى هذه المحاولة. التي يتضح فيها الشد والجذب والجفاف أيضاً. حتى مع شاعرية إقبال الحية المتحركة الرفافة ! ولست أبتغي أن أنقص من قدر تلك الجهود العظيمة المثمرة في إحياء الفكر الإسلامي وإنهاضه التي بذلها الأستاذ الإمام وتلاميذه، والتي بذلها الشاعر إقبال.. رحمهم الله رحمة واسعة.. إنما أريد فقط التنبيه إلى أن دفعة الحماسة لمقاومة انحراف معين، قد تنشئ هي انحرافاً آخر. وأن الأولى في منهج البحث الإسلامي، هو عرض حقائق التصور الإسلامي في تكاملها الشامل، وفي تناسقها الهادئ. ووفق طبيعتها الخاصة وأسلوبها الخاص..»[(١)].

وإن كان الباحث يشارك سيد قطب – إجمالاً – في نقده لأفكار إقبال ومحمد عبده وفلسفتهما، إلا أنه ليس معه في نظرته إلى جهودهم، فاليوم نعاني من آثار جهودهم هذه، وإن ما يبذل لتصحيح الانحراف الذي أحدثته أفكارهم في العالم الإسلامي، ليس بالأمر القليل، ولانستطيع أن نجعل هذا الانحراف الذي وصل إليه إقبال ومحمد عبده انحرافاً بسيطاً، وننظر إليه كما نظر إليه سيد قطب بأنه يمثل محاولة لتصحيح انحراف معين، والله أعلم أن الأمر أكبر من ذلك وأبعد مدى، ذلك أننا نرى ثمرة تلك الجهود التي تبذل من قبل دوائر الاستشراق وأتباعهم، والمحاولات المستمرة لإقرار هذه الأفكار في العالم الإسلامي.

وأما ما ذهب إليه إقبال من أن النار ليست هاوية من عذاب مقيم يسلطه إله منتقم بل هي تجربة للتقويم ... فرأي باطلٌ ومخالفٌ للنصوص الشرعية من الكتاب والسنة الدالة على الخلود الأبدي السرمدي في الجنة والنار،

(١) انظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، لسيد قطب، الناشر: إحياء الكتب العربية، الطبعة الثانية ١٩٦٥م. ص (٢١)؛ النــزعة المادية في العالم الإسلامي ص (٢٩١-٢٩٣).

والشاعر محمد إقبال في هذا الرأي متأثر بالنظرية المشهورة "النشوء والارتقاء" [١]، والتي تستهدف إقرار فكرة التطور بصفة مستمرة بحيث تبلغ الحياة أوجها عند النهاية، وبناء على هذا لا بد أن تحدث الأحوال السيئة في الماضي لا في المستقبل، ويروق لهذه النظرية حياة الخلود في الجنة، ولكنها لا تقبل الخلود في نار الجحيم، ولذا ادعى العلماء المسلمون الذين قبلوا هذه النظرية، أن الجحيم ليست مكاناً للعذاب، وإنما هي مركز للتربية والتزكية، فالحياة تواصل مسيرها في مواجهة الصعاب والمشكلات، والذين لم يستطيعوا مواصلة مسيرتهم بسبب عوائق الذنوب، سوف يمرون بأحوال الجحيم الصعبة حتى يواصلوا رحلتهم التطورية خلال الحياة القادمة [٢].

يقـــــــول الله ســـــــبحانه وتعـــــــــالى في محكـــــــــم التنـــزيل:﴿ ; < = ? @ A B C ﴾[٣]، ويقول جلا وعـــلاء:﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[٤]، ويقـــول سبحانه:﴿ ! " # $ % & ' ( ) + , - ﴾[٥].

(١) نظرية النشوء والارتقاء: تقول هذه النظرية بنفي تعدد الأنواع مطلقاً في الحيوان تعدداً أصليّاً، فلم يحصل الحيوان عنده في مبدأ حصوله أنواعاً مختلفة مستقلة، بل حصل نوع واحد، ثم تولدت منه أنواع، ومن الأنواع أنواع أخرى، وكان الاستمرار في التوالد مقترناً بارتقاء الجديد بالنسبة إلى القديم مع انقراض مالا يستحق البقاء من هذه الأنواع السابقة واللاحقة، وكم يوجد بين الأنواع الموجودة اليوم أنواع منقرضة، كما يمكن أن يوجد بين الإنسان الذي هو أرقى الأنواع وأحدثها وبين القرد الذي يشبه الإنسان أنواع متوسطة منقرضة. وكما يمكن أن يكون الإنسان والقرد متفرعيين من أصل واحد منقرض، فالحيوان قد انحدر من أسفل وأبسط أنواعه، وتطور في درجات الارتقاء، فهو يزداد بعداً في القدم النوعي كلما ازداد بساطة وسفالة، ويزداد قرباً في الحدوث حسب تقدمه في الرقي. انظر: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين.(٢/٢٨١-٢٨٢).

(٢) انظر: الإسلام يتحدى، لوحيد الدين خان، تعريب د.ظفر الإسلام خان، مراجعة وتعليق: د. عبد الصبور شاهين، الناشر: مكتبة الرسالة، بدون تاريخ طبعة. ص (٧-٨).

(٣) سورة الأحزاب آية: (٦٥).

(٤) سورة البقرة آية: (٢٤).

(٥) سورة المائدة آية: (٣٧).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:«**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** »[1].

وَقَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :«**يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ كُلٌّ خَالِدٌ فِيمَا هُوَ فِيهِ**» [2].

فهذه النصوص وغيرها تدل على البقاء والخلود الأبدي السرمدي في الجنة والنار لأهلها، خلافاً لما زعمه إقبال من أن النار أداة تربوية ومركز للتطهير والتنقية والتقويم وتستمر الحياة بعد ذلك وتعيد نشاطها وحيويتها.

وأما ما ذهب إليه إقبال من أن الجنة ليست إجازة أو عطلة... فيؤخذ على الشاعر في هذا الرأي أن الجنة دار عمل وهذا ليس بصحيح؛ لإنه معارض لصريح القرآن الكريم، من النعيم المقيم في الجنة، والخلود الدائم لأهلها، يقول تعالى واصفاً خلود أهل الجنة:﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 4 5 6 7 ﴾[3]، وقوله:﴿ **وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ** © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ **فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ** ﴾[4]، ووصفهم الله سبحانه وتعالى بعدم الخروج من الجنة، فقال تعالى:﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم** ´ µ ¶ ¸ **سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ**

---

(١) سبق تخريجه ص (١٢٩).

(٢) سبق تخريجه ص (١٢٩).

(٣) سورة البينة آية: (٨).

(٤) سورة الزمر آية: (٧٣).

وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[1]، ووصف نعيمهم بعدم الانقطاع، فقال تعـالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ à ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ f g h i j k l ﴾[3].

وقد استفاضت السنة النبوية بالأحاديث المتواترة الصحيحة والصريحة عن النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الخلود في الجنة، وقد تقدم ذكر شيء منها.

إنَّ الغاية التي جعلت إقبالاً يأخذ بهذه الآراء المنحرفة هو التأكيد الدائم على العمل والجهد الذي تبذله هذه الذات لتفوز في النهاية بالخلود – الذي يعتقده إقبال –، وهذا التأكيد يخلق في الإنسان الأماني تترى، ويبعث فيها الهمة الضعيفة المرمى، ويحفزه لبذل الجهد واستفراغ الوسع في تحقيقها للمثابرة والمواظبة [4].

وآخيراً فإن الشاعر محمد إقبال سلك تأويلاً باطلاً في تقريره لحقيقة الجنة والنار، مما جعله يحيد عن منهج أهل السنة والجماعة وذلك عندما اعتقد أن الجنة والنار حالتان لا مكانان، وتفسير الأبدية في القرآن بحقبة من الزمان، وأن النار للتجربة وليست للخلود، وأن الجنة ليست إجازة أو عطلة.

وثمة أمر يجدر التنبيه إليه وهو ما ذكره بعض الباحثين أن إقبالا تراجع عن رأيه في حقيقة الجنة والنار، ولا يمثل موقفه الأخير من هذا الأمر، ولكنني لم أقف بعد تتبع واستقراء فيما خلفه إقبال من شعر وكتابات على شيء يدل على هذا التراجع، إلا ما ذكره الدكتور خليل الرحمن عرضاً لا تأكيداً على تراجعه [5].

---

(١) سورة الحجر آية: (٤٧-٤٨).

(٢) سورة هود آية: (١٠٨).

(٣) سورة الواقعة آية: (٣٢-٣٣).

(٤) انظر: مجلة الرسالة، العدد: (١٢٢)، مقالاً بعنوان: الدكتور محمد إقبال فلسفته، معالم الاتفاق بينه وبين فلاسفة الغرب، بقلم: أبو النصر الحسيني (١٧٨٥/٢).

(٥) انظر: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٣٣٤).

المبحث الثاني:

آراء محمد إقبال في البعث وتقويمه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول/

رأي محمد إقبال في البعث.

المطلب الثاني/

تقويم رأي محمد إقبال في البعث.

المطلب الأول:

رأي محمد إقبال في إثبات البعث.

البعث هو إحياء الأموات، وخروجهم من قبورهم ونحوها؛ للجزاء يوم القيامة، وهو ثابت بالأدلة النقلية والعقلية، بأوجه متعددة، وطرق متنوعة، توجب القطع به، والإيمان بحصوله، وقد أجمع أهل الملل عن آخرهم على جوازه ووقوعه، ولم يشذ منهم إلا طوائف لا عبرة بهم [1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –:«معاد الأبدان متفق عليه عند المسلمين واليهود والنصارى، وهو مذهب سائر المسلمين، بل وسائر أهل الملل، إثبات القيامة الكبرى، وقيام الناس من قبورهم والثواب والعقاب هناك» [2].

تحدث الشاعر محمد إقبال عن المصير الإنساني، وبين المراحل التي يمر بها الإنسان في اليوم الآخر من الموت والبرزخ والبعث والخلود والجنة والنار، وقرر هذه المسائل بتأويلات توافق الرؤية الإسلامية – التي يدعيها إقبال –. وفي هذا المطلب نعرض رأي محمد إقبال في البعث وماله صلة به.

نقض الشاعر محمد إقبال عقيدة الخلق والبعث والحياة الآخرة، حين أكد على فلسفة التطور المختلطة عنده اختلاطاً شديداً بآراء ملاحدة الصوفية الذين يشيد بهم كثيراً ويستشهد بهم كثيراً.

يطبق إقبال فلسفة التطور على الإنسان وينكر قصة الخلق في القرآن ويؤولها تأويلاً رمزياً، فيقول:«إن كائنا اقتضى تطوره ملايين السنين ليس من

---

(١) انظر: مختار الصحاح ص (٥٧)؛ شرح الطحاوية (٢/٥٨٩-٥٩٧)؛ فتح الباري (١١/٣٩٣)؛ لوامع الأنوار البهية (٢/١٥٧-١٩٥)؛ المواقف في علم الكلام، لمفيد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، الناشر: عالم الكتب بيروت. ص (٣٧٢).

(٢) انظر: الفتاوى (٤/٢٨٤ ، ٢٦٢ ، ٣١٣-٣١٦).

المحتمل إطلاقا أن يلقى به كما لو كان من سقط المتاع»[1].

ويرى إقبال إن الذي يستحق الخلود بعد الموت هو الأصلح فقط، وبهذا يوافق إقبال التطوريين بتطبيق مبدأ التطور وقانون البقاء للأصلح على ما بعد الموت، فيقول:«الحياة تهيئ مجالا لعمل النفس، والموت هو أول ابتلاء لنشاطها المركب، وليست هناك أعمال تورث اللذة وأعمال تورث الألم، بل هناك أعمال تكتب للنفس البقاء أو تكتب لها الفناء. فالعمل هـــو الذي يعد النفس للفناء، أو يكفيها لحياة مستقبلة ... فالخلود لا نناله بصفته حقاً لنا وإنما نبلغه بما نبذل من جهد شخصي، والإنسان مرشح له لا غير ... »[2].

ويرى إقبال أن البعث:« ليس حادثا يأتينا من خارج، بل هو كمال لحركة الحياة في داخل النفس. وسواء أكان البعث للفرد أم للكون فإنه لا يعدو أن يكون نوعاً من "جرد البضائع" أو الإحصاء لما أسلفت الناس من عمل وما بقيت أمامها من إمكانيات»[3].

(١) انظر: تجديد التفكير الديني ص (١٣٦).

(٢) انظر: المصدر السابق ص (١٣٧).

(٣) انظر: المصدر السابق ص (١٣٨).

المطلب الثاني:

تقويم رأي محمد إقبال في البعث.

أجمعت الشرائع السماوية كلها على جعل هذه العقيدة – عقيدة البعث – ركناً من أركان الإيمان بها. فالدين الإسلامي لا يعتبر من لا يؤمن بفكرة البعث والحياة الأخرى مؤمنا داخلاً في زمرة المسلمين، كما يعتبر منكرها خارجاً عن دائرته. فالبعث ثابت بآيات قرآنية، وأحاديث نبوية صريحة وبطريقة قطعية بحيث لا يمكن تأويلها ولا يجوز الظن في حقها [1].

قال الله سبحانه وتعالى:﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ﴾[2].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَالَ اللَّهُ – تعالى –:«**كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ**» [3].

ما ذهب إليه إقبال في فلسفة التطور، وإنكاره لقصة الخلق في القرآن وتأويلها تأويلاً رمزياً عند قوله:«إن كائنا اقتضى تطوره ملايين السنين ليس من المحتمل إطلاقا أن يلقى به كما لو كان من سقط المتاع» وفي ضوء هذا التصور يأخذ إقبال بتفسير أحد ملاحدة المتصوفة – وهو الرومي – لنشأة الإنسان لأنه يطابق رأي

---

(١) انظر: العث والخلود بين المتكلمين والفلاسفة، د. علي آرسلان آيدن، الناشر: دار سخا، استانبول، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م . ص (٥٤٨-٥٥٠).

(٢) سورة الحج آية : (٦-٧).

(٣) الحديث أخرجه البخاري (١٨٠/٦)، باب: يقال لا يُنَوَّنُ أحَدٌ أي واحد، رقم الحديث : (٤٩٧٤) من حديث أبي هريرة.

التطوريين ليفسر به قوله تعالى:﴿ e d c b a ` ﴾[1] ويعرض في هذا التفسير قصيدة لجلال الدين الرومي تتناول نشأة الإنسان حسب وهمه وزعمه ابتداء من مرتبة الجماد ثم النبات ثم الحيوان، ثم أخرجه الخالق – كما تعلمون – من حالته الحيوانية إلى حالته الإنسانية فانتقل بهذا من مرتبة طبيعية إلى مرتبة أخرى حتى أصبح حكيما عالما قويا كما هو الآن ولكنه لا يذكر شيئا من نفوسه الأولى يقصد حيث كان جمادا ثم نباتا ثم حيوانا ولسوف تتغير نفسه الحاضرة مرة أخرى [2]، ويزعم إقبال أن القرآن قد عرض قصة هبوط الإنسان الموجودة في التراث القديم بعد تحويرها [3]، فقصة الهبوط – كما يزعم – لا صلة لها بظهور الإنسان الأول على هذا الكوكب، إنما أريد بها بيان إنقاذ الإنسان من الشهوة الغريزية إلى الشعور بأن له نفسا حرة قادرة على الشك والعصيان [4]، ثم يستمر في تفسير قصة الخلق والهبوط، عابثا بنصوص الكتاب كما شاء له خياله.

وما ذهب إليه إقبال في مسألة التطور وعلاقته بالبعث

فإنه يرى أن البعث تطور من حالة إلى حالة أعلى، وعلى هذا يفسر إقبال قوله تعالى:﴿ h g f e d c b a ` _ ^] ﴾[5]، بقوله إن القرآن يرى أن البعث يكسب الإنسان حدة في البصر يرى بها مصيره الذي كسبه لنفسه معلقاً بعنقه [6] إشارة منه إلى قوله تعالى:﴿ ı s r q p o n

(١) سورة الواقعة آية: (٦٢).

(٢) انظر: تجديد التفكير الديني ص (١٣٩-١٤٠).

(٣) انظر: المصدر السابق ص (٩٦).

(٤) انظر: تجديد التفكير الديني ص (٩٩).

(٥) سورة ق آية: (٢٢).

(٦) انظر: تجديد التفكير الديني ص (١٤٠-١٤١).

u v w x y z { ﴾[1] فلا حساب إذن، وإنما انتقال لحالة جديدة يكتسب معها قدرات جديدة يستطيع بها أن يقدر قيمة عمله.

وما ذهب إليه إقبال عندما وصف البعث بأنه:« نوعاً من جرد البضائع أو الإحصاء لما أسلفت الناس من عمل ،وما بقيت أمامها من إمكانيات»، فهذا الوصف منه يترتب عليه استمرار العمل حتى بعد الموت، وإنكار النعيم الأبدي للمسلمين، والعذاب السرمدي للكافرين في الآخرة.

إنَّ الرأي الذي قرره إقبال عند حديثه عن البعث يخالف المنهج القرآني الذي ينظر إلى الدنيا على أنها دار ابتلاء وامتحان، وينظر إلى الآخرة على أنها دار قرار وسكون، أي دار ينقطع فيها الامتحان والاختبار، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ´ µ ¶ ¸ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾[2]، فالدنيا وحدها هي دار الفرصة للعمل، وبموت الإنسان تذهب منه هذه الفرصة، كما يوحي ظاهر هذا النص، وهو الذي يلائم طبيعة الدين بصفته رسالة سماوية جاءت محددة وقت العمل للإنسان، ومحددة أيضاً اختيار اتجاه الإنسان في الحياة [3].

يقول الدكتور محمد رشاد خليل – رحمه الله – بعد ما ناقش عقيدة البعث والخلود عند إقبال:«وهكذا هدم عقيدة الإسلام في البعث والخلود والحساب والجزاء، ليحل محلها عقيدة التناسخ القديمة التي قال بها المصريون القدماء والهنود ثم انتقلت عن طريقهم إلى اليونان ثم إلى ملاحدة الفلاسفة وملاحدة المتصوفة في تاريخ الإسلام، ثم إلى

---

(١) سورة الإسراء آية: (١٣).

(٢) سورة آل عمران آية : (٩١).

(٣) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص (٤٨٢ – ٤٨٣).

التطوريين من أمثال هنري برجسون، ثم تلقفها إقبال – أي عقيدة التناسخ [1] – في ثوبها الجديد ليحلها محل عقيدة الإسلام، مستخدماً منهج أسلافه من ملاحدة الفلاسفة وملاحدة المتصوفة في تحريف آيات القرآن، وهكذا نرى أن إقبال مثله مثل الفلاسفة وأتباعهم لم يستطع أن يخرج قيد أنملة عن حصار الضرورات التي يفرضها العالم الخارجي على العقل الفلسفي الوثني المحروم من هداية الله »[2].

وأخيراً ثمة أمر يجدر التنبيه إليه، وهو ما ذكره بعض الباحثين أن إقبالا تراجع عن رأيه هذا في آخر حياته، على ما شهد به الأستاذ أبو الأعلى المودودي بأنه عاد صحيح العقيدة في أيامه الأخيرة، وتؤكد ذلك الباحثة مريم جميلة أن إقبالاً اعترف في آخر حياته أنه كان على خطأ كبير في بعض أفكاره وآرئه، وتسوق مقتطفات من شعره تناقض الآراء التي طرحها، وتعضد قولها برسالة شخصية بعثها إليها المودودي[3]، ولكن الباحث لم يقف بعد تتبع واستقراء على شيء يدل على هذا التراجع، إلا ما ذكرته مريم جميلة.

---

(١) التناسخ: هو أن تتكرر الأكوار والأدوار إلى ما لا نهاية. ويحدث في كل دور مثل ما حدث في الأول، والثواب والعقاب في هذه الدار؛ لا في دار أخرى لا عمل فيها، ونشأ أصل التناسخ والحلول من جماعة من الصابئة يقال لهم: الحرنانية. وقد قالت التناسخية من الكينونة والصيامية بتناسخ الأرواح في الأجساد، والانتقال من شخص إلى شخص. يقول الشهرستاني:" وما من ملة من الملل إلا وللتناسخ فيها قدم راسخ، وإنما تختلف طرقهم في تقرير ذلك. فأما تناسخية الهند، فأشد أعتقاداً لذلك"، وعليه فقد عدَّ أحد الباحثين أن القول بالتناسخ من السمات العامة للأديان الهندية. انظر: الملل والنحل (٢٥٣/١؛ ٥٥/٢-١٥٥)؛ تلبيس إبليس ص (٩٩)؛ التعريفات، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م. ص (٩٧-٩٨)؛ المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً، صادق سليم صادق، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى١٤١٥هـ/١٩٩٤م. ص (٧٩) الحاشية.

(٢) انظر بحثاً بعنوان: الفلسفة وأثرها في أصول الدين، د. محمد رشاد خليل، مجلة كلية أصول الدين، العدد الخامس، العام الجامعي١٤٠٣هـ / ١٤٠٤هـ. ص (٣١٥-٣١٩).

(٣) انظر: الإسلام في النظرية والتطبيق، مريم جميلة، ترجمة س. حمد، الناشر: مكتبة الفلاح، الكويت١٩٧٨م. ص (١٨٢-١٩٦)؛ مفهوم تجديد الدين ص (١٣٧)؛ محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (١٩٩).

الفصل الخامس

آراء محمد إقبال في إثبات القدر وفيه مبحثان:

❖ **المبحث الأول:**

آراء محمد إقبال في إثبات القدر وتقويمه.

❖ **المبحث الثاني:**

آراء محمد إقبال أفعال العباد وتقويمه.

المبحث الأول:

آراء محمد إقبال في إثبات القدر وتقويمه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول/

رأي محمد إقبال في إثبات القدر.

المطلب الثاني/

تقويم رأي محمد إقبال في إثبات القدر.

المطلب الأول:

رأي محمد إقبال في إثبات القدر.

القدر هو تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمُه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابتُه سبحانه لذلك، ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدّرها، وخلقه لها. والإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان التي لا يصح إيمان العبد إلا بها [(١)].

إنَّ مسألة القضاء والقدر، والجبر والاختيار، من المسائل العقدية التي ضلَّت فيها أفهام الكثير من مفكري الإسلام، وتسببت في فرقة المسلمين، ذلك لأن سؤالاً يفرض نفسه بإلحاح على كل مفكر وعاقل هو: إذا كان قدر الله شاملاً لكل شيء، وقضاؤه نافذ لا محالة، فلما يحاسب الإنسان على أفعاله وهي مقدرة عليه قبل أن يفعلها ؟ [(٢)]، وهذا السؤال موضع إثارة ونقاش عند كثير من المفكرين ومنهم الشاعر محمد إقبال، فما رأيه في إثبات القدر؟.

تناول محمد إقبال مسألة القدر في مواضع متعددة من شعره [(٣)] وكتاباته، ففي كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام ناقش جملة من الآراء المتعلقة بالقدر منها: شيوع القول بالقدر في العالم الإسلامي، وأسباب شيوع الفهم السيئ للقدر، وعزاها إلى سبب

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد صالح العثيمين، إعداد فهد بن ناصر السليمان، الناشر: دار الثريا، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م. ص (٥٣٩) وما بعدها؛ القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، د.عبد الرحمن المحمود، الناشر: دار الوطن، الطبعة الثانية١٤١٨هـ / ١٩٩٧م. ص (٣٩).

(٢) انظر: القضاء والقدر في الإسلام، د.فاروق الدسوقي، الناشر: دار الاعتصام، بدون تاريخ طبعة. ص (٤١/١).

(٣) نلمس في شعر إقبال إيمانه بالقدر، وقد تردد ذكر القضاء والقدر في جملة من دواوينه، مثل ديوان الأسرار والرموز (٩٥/١)؛ ديوان جناح جبريل (٤٨٢/١)؛ ديوان رسالة الخلود (٢٤١/٢). نشير هنا إلى بعضاً مما ورد في شعره عن القدر؛ فمثلاً يقول: **نَـدْعو جهاراً لا إله سِوى الَّذي صنعَ الوجودَ وقدَّر الأقدارَا**

ويقول أيضاً: **لا أشمَتَ اللهُ بالأقدارِ حاسدَنا فليسَ شيءٌ من الأقْدار يُستَبَقُ**

فلسفي، وآخر سياسي[1]، كما حاول إقبال أن يفرق بين إرادة الباري جل شأنه وبين إرادة الإنسان، وأكد أخيراً على الذات والحرية المطلقة للإنسان، ويمكن أن نذكر في هذا المقام أبرز آراء الشاعر محمد إقبال في إثبات القدر وأفعال العباد.

ينكر الشاعر محمد إقبال القضاء والقدر، وما تضمنه اللوح المحفوظ،

فقد حاول كعادته في لي النصوص القرآنية أن ينكر القضاء والقدر، وما تضمنه اللوح المحفوظ، عندما فسر قوله تعالى: ﴿ إِنَّاكُلَّ à خَلَقْنَٰهُ â ﴾[2] بقوله:«فتقدير شيء إذن ليس قضاء غاشماً يؤثر في الأشياء من خارج، ولكنه القوة الكامنة التي تحقق وجود الشيء، وممكناته التي تقبل التحقق، والتي تكمن في أعماق طبيعته وتحقق وجودها في الخارج وبالتتالي، ودون أي إحساس بإكراه من وسيط خارجي...» [3].

يرى إقبال أن القول بالقدر نشأ في عصر بني أمية، فيقول:«...ثم جاءت المادية العلمية التي ظهرت عند أمراء دمشق من بني أمية النهازين للفرص، واحتاجوا إلى سند يستندون إليه في سوء صنيعهم بكربلاء، وليحفظ لهم ثمار تمرد معاوية من أن يقضي عليه ما يمكن أن تقوم به الجماهير من ثروة عليه، فقالت بقدر الله. يروى أن معبداً قال للحسن البصري: إن بني أمية يسفكون دماء المسلمين ويقولون إنما تجرى أعمالهم على قدر الله تعالى، فأجابه الحسن: إنهم أعداء الله وإنهم لمفترون. وهكذا نشأ القول بالقدر... » [4].

---

(١) انظر: تجديد التفكير الديني ص (١٢٧).

(٢) سورة القمر آية: (٤٩).

(٣) انظر: تجديد التفكير الديني ص (٦٠-٦١).

(٤) انظر: المصدر السابق ص (١٢٧).

المطلب الثاني:

تقويم رأي محمد إقبال في إثبات القدر.

ما تناوله الشاعر محمد إقبال في مسألتي القدر، وأفعال العباد،كان غامضاً ومتأثراً بأفكار فلسفية صوفية عقلية، وما ذاك إلا لفكرته الرئيسة الموائمة بين فلسفة الغرب والبيئة الشرقية الموغلة في الفكر الصوفي، فكانت النتيجة انحرافاً عقديًّاً مخالفاً لمذهب أهل السنة والجماعة.

ما ذهب إليه إقبال عند تفسيره قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ à خَلَقْنَٰهُ â ﴾ بقوله: فتقدير شيء إذن ليس قضاءاً غاشماً يؤثر في الأشياء من خارج، ولكنه القوة الكامنة التي تحقق وجود الشيء، وممكناته التي تقبل التحقق، والتي تكمن في أعماق طبيعته وتحقق وجودها في الخارج وبالتتالي، ودون أي إحساس بإكراه من وسيط خارجي.

نقول: إن هذا الرأي هو عين ما يقول به ملاحدة الطبيعيين والتطوريين، وهو أن الأشياء تعمل بقوانين ذاتية مستقلة تماماً عن تأثير أي علة من الخارج؛ ويزعم إقبال أن القرآن يؤيد وجهة نظره في القول بعدم سبق القضاء والقدر المكتوب في ((لوح محفوظ))، فإقبال يزعم أن اللوح المحفوظ هو في القرآن على سبيل المجاز لا الحقيقة، بمعنى أن الكل الأكبر – الذي هو الله عند إقبال – يشتمل على جميع إمكانيات المعرفة التي تتعين بعد [1]، ولذا فهو يقول:« ... والرأي عندي أنه ليس أكثر بعدا عن نظرة القرآن من القول بأن العالم تنفيذ في سياق الزمان لخطة سبق وضعها. فالعالم في نظر القـــرآن – كما يزعم – كما بينت من قبل، قابل للزيادة، هو عالم ينمو، وليس صنعا مكتملاً خرج من يد صانعة منذ حقب بعيدة، وهو الآن ممتد في الفضاء وأشبه ما يكون بكتلة ميتة من المادة لا يفعل فيها الزمان شيئا، فهي من أجل ذلك ليست شيئا» [2].

(١) انظر: تجديد التفكير الديني ص (١٢-١٣).

(٢) انظر: المصدر السابق ص (٦٦).

وما ذهب إليه إقبال في هذه المسألة ليست منهج القرآن ولا عقيدة الإسلام، بل هي مصادمة تماماً لعقيدة الإسلام كما تواتر بها خبر الكتاب والسنة، وإنما هي عقيدة الجهمية القدرية والمعتزلة، التي تقول بأن الله لا يخلق أفعال العباد، وأنه يعلم الأشياء علماً مجملا ولا يعلم الجزئيات، وهي العقيدة التي نقلوها عن الفلاسفة (١).

وما زعمه إقبال عند قوله: إنَّ القدر نشأ في عصر الدولة الأموية فهذا زعم باطلٌ ومعارضٌ للنصوص الشرعية.

مما يؤكد وبشكل لا يدع مجالاً للشك أصالة بحث القدر في الدين الإسلامي، ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة رضوان الله عليهم، من نصوص واضحة وصريحة في القدر. فإذا حاولنا تتبع مفهوم القدر في العصر النبوي نجد موقفين مختلفين تندرج تحتهما النصوص.

❖**الموقف الأول:** يتمثل في صورة الجدل والتخاصم في القدر بين الصحابة، ونجد النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المقام ينهى الصحابة عن الخوض في المسألة.

يروي عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يُفْقَأُ في وجهه حب الرمان من الغضب فقال: «**بِهَذَا أُمِرْتُمْ أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ ؟ تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، بِهَذَا هَلَكَتْ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ**». فقال عبد الله بن عمرو: ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه (٢).

---

(١) انظر بحثًا بعنوان: الفلسفة وأثرها في أصول الدين، د. محمد رشاد خليل، مجلة كلية أصول الدين، العدد الخامس،١٤٠٣هـ / ١٤٠٤هـ. ص (٣٢٠).

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه، في المقدمة، رقم الحديث: (٨٥)، (٣٣/١). والحديث إسناده صحيح، ورجاله ثقات. انظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ومعه كتاب بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي، اعتنى به: حسان عبد المنان، الناشر: بيت الأفكار الدولية، طبعة جديدة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. (٨٥/١)؛ حسَّن الحديث عبد القادر الأرناؤوط في تحقيقه لجامع الأصول في أحاديث الرسول (١٣٥/١٠).

وقد ورد أيضاً جدال مشركي قريش للرسول صلى الله عليه وسلم في القدر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:‹‹**جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقَدَرِ فَنَزَلَتْ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ à خَلَقْنَٰهُ â ﴾**[1]››[2].

❖**الموقف الثاني:** يتمثل في صورة من يسأل عن القدر فيجيبه النبي صلى الله عليه وسلم إجابة عملية لها ارتباط مباشر في السلوك الإنساني، ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في جنازة فقال لأصحابه:‹‹**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنْ النَّارِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ فَقَالَ اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ ثُمَّ قَرَأَ:﴿ w x y z ﴾**[3]››[4].

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأل عن ناقته فقال:‹‹ **يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ فقَالَ: اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ**››[5].

---

(١) سورة القمر آية: (٤٨-٤٩).

(٢) الحديث أخرجه مسلم، في كتاب: القدر، باب: كل شي بقدر، رقم الحديث: (٢٦٥٦)، (٤/٢٠٤٦). من حديث أبي هريرة.

(٣) سورة الليل آية: (٥).

(٤) الحديث أخرجه البخاري، في كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الليل، رقم الحديث: (٤٩٥٤)، (٦/١٧٠) ؛ وأخرجه مسلم، في كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم الحديث: (٢٦٤٧)، (٤/٢٠٣٩) من حديث علي بن أبي طالب.

(٥) الحديث أخرجه أبو عيسى الترمذي، في كتاب: صفة القيامة والرقاق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ٦٠، رقم الحديث: (٢٥١٧)، (٤/٦٦٨) من حديث أنس بن مالك. قال عمرو بن علي قال يحيى وهذا عندي حديث منكر، قال أبو عيسى وهذا حديث غريب من حديث أنس لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقد روي عن عمرو بن أمية الضمري: عن النبي صلى الله عليه وسلم ... نحو هذا. والحديث حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٦١٠)؛ وفي كتاب: تخريج أحاديث مشكلة الفقر في الإسلام وكيف عالجها الإسلام، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٥هـ/١٩٨٤م ص (٢٣-٢٤).

والمتأمل للأحاديث السابقة يمكن أن يستنبط بعض ملامح النظر العقدي عموماً وفي القدر خصوصاً في العصر النبوي، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: إن البحث والتساؤل بل الجدل كان يبذر بذوره في البيئة الإسلامية منذ فجرها، وأن الصحابة رضوان الله عليهم كان لهم نصيب من النظر في العقائد، فلم يكن دورهم في فهم النص يقتصر على تفسيره وقراءته، ولكن أرادو أن يفهموا ذلك النص فهماً قاطعاً لا يتطرق إليه الشك، ولا يتزعزع أمام الشبهات، كيف لا وهم يعدون أنفسهم لنشر هذه الرسالة في الآفاق، فقد آمنوا بأن النبوة قد ختمت بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخبره ربه عز وجل بـــ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[(١)]، فأدركوا أنهم سيكونون حملة لواء العقيدة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وأن هذا لن يتم إلا بفهم العقيدة فهماً يرتقي إلى مرتبة اليقين، معتمدين في ذلك على عاملين، أولهما: فهمهم لغة الخطاب الديني العربي المبين، ثانيهما: إعمال عقولهما التي حررها الإسلام من عبودية الأوهام والخرافات إلى حرية التفكر والنظر للوصول إلى الحق، وهذا ما ألمح عليه النص الشرعي كثيراً، فتكرر الأمر الرباني أفلا يعقلون؟ أفلا يبصرون؟ أفلا ينظرون؟.

ثانياً: إن النبي صلى الله عليه وسلم بوحي من الله عز وجل كان يميز بين السائل المتحير الذي يبحث عن الإجابة، وبين المجادل لأجل الجدل لا للوصول إلى الحق، وهذا ما يفسر إعراضه عن إجابة مشركي قريش عندما جاؤوا يجادلونه في القدر، وغضبه صلى الله عليه وسلم من أصحابه عندما يتحول الجدل من البحث والنظر إلى الخصام والشقاق.

ثالثاً: كان النبي صلى الله عليه وسلم يجيب السائل عن القدر إجابة تمثل منهجاً عملياً يرتبط بسلوكه ارتباطاً مباشراً، بحث يستطيع السائل أن يقيس على حالة معينة كل ما يطرأ عليه من حوادث لها تعلق بتلك الحالة. ففي الحديث الأخير مثلاً، أمر النبي

---

(١) سورة الزمر آية: (٣٠).

صلى الله عليه وسلم صاحب الناقة أن يتوكل على الله، ولكن ليس معنى التوكل التوقف عن العمل بحجة أن الله قدر أزلاً أن هذه الناقة ستهرب أو ستمكث، ولكن معنى التوكل – كما أوضحه النبي صلى الله عليه وسلم بالمعنى العملي – هو أن يعمل الإنسان بما تيسر له من الأسباب المتاحة – لذا قال النبي « **اعْقِلْهَا** » – ثم ينظر إلى النتيجة بنفس راضية بما قدر الله من الأزل، لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأمر بالعمل – وهو في الحديث يتمثل في عقل الناقة – :« **وَأَتَوَكَّلُ** ».

إنَّ مسألة القدر ونشأته لم تكن مشكلة كبرى في عصر الصحابة، فبذرت القدرية لم تكن منهم، فهم رضي الله عنهم لم يعرف عنهم بدعة، وأما حدوث بدعة نفي القدر فقد حدثت في أواخر عهد الصحابة على يد معبد الجهني [1] فقد جاء في الصحيح عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ:«**كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ فَقُلْنَا لَوْ لَقِينَا أَحَداً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلاً الْمَسْجِدَ فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي**[2]، **أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ فَقُلْتُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ** [3] **الْعِلْمَ وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ قَالَ فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ...**» [4]، ثم ذكر حديث جبريل

---

(١) الجهني: معبد بن عبد الله بن عليم الجهني البصري، أول من قال بالقدر في البصرة، قيل أن الحجاج عذبه بأنواع العذاب، توفي ٨٠هـ. انظر: شذرات الذهب (٣٢٧/١)؛ والأعلام (٣٦٤/٧).

(٢) اكتنفته أنا وصاحبي: يعني صرنا في ناحيته.

(٣) يتقفرون العلم: يطلبونه ويتبعونه.

(٤) الحديث أخرجه مسلم، في كتاب: كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، رقم الحديث: (٨)، (٣٦/١).

المشهور، فهذا الحديث دال على أن معبداً هو أول من قال بالقدر على القول الراجح والمشهور عند المحققين من أهل العلم(١).

يقول الشهرستاني:«فحدث في آخر أيام الصحابة بدعة معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الأسواري في القول بالقدر» (٢).

وبهذا تبين بطلان ما ذهب إليه الشاعر محمد إقبال من أن نشأة القدر كان في عصر بني أمية، والصحيح أن يقال: إنَّ استغلال هذا القول بدأ في تلك الأيام، حيث كان لحكم بني أمية سبب مباشر في تطور القول بالقدر من مجرد تساؤلات وأقوال في عهد الصحابة، إلى محاولة الظهور كمذهب عقلي بسبب عوامل سياسية، وظهور الفرق والمذاهب بشكل ظاهر، ففي هذا العصر – بني أمية – نجد اتجاهين واضحين لمفهوم القدر، هما: الجبر والاختيار. وقد كان للعامل السياسي دور مهم في التمايز بين الاتجاهين السابقين، فاتخذ الأمويون القول بالجبر وسيلة لتبرير الأحداث والمواقف التي نقلت الخلافة من نظام الشورى إلى نظام وراثي على يد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فسوغ بنو أمية ذلك على أنه بقضاء الله وقدره، وأخذوا يشيعون تلك الفكرة، ويغرسونها في النفوس بشتى الوسائل. فكان من الطبيعي أن ينشأ اتجاه آخر مقاوم لفكرة الجبر وأنها التفسير الوحيد للنصوص القرآنية، فظهر القول بالاختيار أو الحرية الإنسانية. ومن العدل أن نقول إن فكرة الجبر لم تكن مقصورة على حكام بني أمية ودعاتهم، بل نادى بها بعض الناقمين عليهم كجهم بن صفوان والجعد بن درهم. ومن اللافت للنظر أن أفكار هذين الرجلين هي التي انتشرت بين الناس، وليس أفكار دعاة بني أمية (٣).

(١) انظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، فقد ساق المؤلف الخلاف حول نشأة القول بالقدر في الإسلام، وعلى يد من نشأ القول به. ص (١٦٢) وما بعدها.

(٢) انظر: الملل والنحل (١/٤٠).

(٣) انظر: القدر في الفكر الصوفي، علي محمود العمري، الناشر: دار المسلم، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م ص (٤٨).

المبحث الثاني:

آراء محمد إقبال في أفعال العباد وتقويمه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول/

رأي محمد إقبال أفعال العباد.

المطلب الثاني/

تقويم رأي محمد إقبال أفعال العباد.

المطلب الأول:

رأي محمد إقبال في أفعال العباد.

اهتم الشاعر محمد إقبال بمسألة حرية الإنسان وتغنى بها كثيراً في شعره، فهو يعتقد اعتقاداً جازماً في مبدأ الاختيار، ويحتج به، ولا يرضيه مطلقاً رأي القائلين بالجبرية[١] [٢].

يقول إقبال في ديوان ضرب الكليم تحت عنوان "الأحكام الإلهية" [٣]:

إنَّ النبــات وإنَّ الجـامدات لهـا   مــن القضـــاء قيـــودٌ ذاتُ أحكـام

والمؤمن الحــرُّ لا شـيءٌ يقيِّـده   لكــنْ لخالقــه فــي قيــد أحكـام

ويؤكد على الحرية الإنسانية، ويدعو إلى استغلال حريته من أجل تحقيق ذاته وتقويتها، يقول في ديوان الأسرار والرموز تحت عنوان "الطاعة" [٤]:

فـاحملِ الفَرضَ قـويـاً لا تَهـابْ   وارجونْ مــنْ عنــده حُسْــنُ المــآب

اجهــدَنْ فــي طاعةٍ يــا ذا الخسارْ   فَمِــــنَ الجبــر سيبــدو الاختيـــار

بــامتثال الأمــر يعلــو منْ رسبْ   وهَــوى الطَّــاغي ولــو كــانَ اللَّهب

سخَّــر الأفــلاكَ فـــي همَّتـــهِ   مــنْ ثــوى فــي القَيــد مــن شرْعتهِ

---

(١) الجبرية: هم الذين يزعمون أن العبد مجبور على فعله، وليس له قدرة عليه، وأنه لا فاعل في الحقيقة إلا الله، وأصل قولهم هذا من الجهم بن صفوان، وهم أصناف: جبرية خالصة لا تثبت فعلاً للعبد، ولا قدرة، وجبرية متوسطة وهي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً، ولا توجد فرقة بعينها تنفرد بهذا الاسم، بل أكثر الجبرية يقولون به مع قولهم بأمور أخرى، مثل الجهمية، والنجارية، والضرارية، الذين جمعوا بين الجبر ونفي الصفات. انظر: الملل والنحل (٩٧/١)؛ الفرق بين الفرق ص (٢٠٨-٢١٢).

(٢) انظر: إقبال الشاعر الثَّائر، د.نجيب الكيلاني، الناشر: مؤسسة الرسالة،بيروت، الطبعة الرابعة١٤٠٨هـ/ ١٩٩٩م. ص (٨٧)؛ محمد إقبال فكره الديني والفلسفي ص (٤٠٣).

(٣) انظر: ديوان ضرب الكليم (٥٦/٢).

(٤) انظر: ديوان الأسرار والرموز (١٥٣/١).

قد سرى النَّجمُ يؤمُّ المنزلا طوعَ قانون له قد ذُلِّلا

وتتجلى ملامح ذلك الرجل الحر، فهو الذي يسدد الضربات ويجيدها، وتجتمع فيه عظمة الملك، وتواضع الصوفي وأخلاقه، وغزارة علم الفقيه، يقول في ديوان ضرب الكليم تحت عنوان "رجال الله" [1]:

إنَّما الحرُّ من يُجيد ضِرابا لا الذي حربهُ تدور هُراء

وسجايا الأحرار تجمع تاجاً ذا سناء، وخرقةً وقباء

من خفايا تُرابهم أخذ الدَّهرُ شَراراً فصاغ منه ذُكاء

فِطرةٌ حرَّةٌ تعاف الدنايا من طَواف الأصنام عاشت براء

أنت في الكفر والتديُّن جَمْعاً وثنيٌّ تُقدِّس الأهواء

ونجد الشاعر محمد إقبال يصرُّ على حرية الإنسان، ويثبت أنه قادر على تحطيم القيود حوله فيقول [2]:

هذا الذي يقولُ الحمقى إنَّه أسيرُ القدر

ما يزال يملك القدرة على تحطيم القدر

وينسب الدكتور محمد البهي إلى الشاعر محمد إقبال كلاما خطيراً حيال هذه المسألة فيقول:«إنَّ من لا يملك قدرة خارقة لا يعدُّ في نظري إلا ملحداً وزنديقاً وليس له نصيب في حبِّي، إنه لم يتذوق شجرة الحياة»[3].

(١) انظر: ضرب الكليم (٢/٤١-٤٢).

(٢) انظر: محمد إقبال فكره الديني والفلسفي ص (٤٠٢).

(٣) انظر: المصدر السابق ص (٤٠٥).

المطلب الثاني:

تقويم رأي محمد إقبال في أفعال العباد.

لقد ظهر في كلام الشاعر محمد إقبال من خلال النصوص السابقة الانتصار لمذهب المعتزلة ولو من طرف خفي، فالمعتزلة يرون أن للإنسان مشيئته التامة دون ربطها بمشيئة الله، ويقولون بأن العباد هم الذين خلقوا أفعالهم، وأثبتوا قدرة العباد المطلقة على أفعالهم.

إنَّ من أسباب أخذ إقبال بهذه الآراء هو تأثره بشيخه وأستاذه الصوفي الكبير جلال الدين الرومي[1]، فقد أخذ الرومي بمبدأ الاختيار وفهمه الفلسفي لحقيقة القدر، والمطلع على ديوان الرومي– المثنوي [2] – يجد أنه أثار هذه المسألة في مواطن كثيرة من ديوانه، فهو يرد على القائلين بالجبر المحض، ويدعو إلى الاختيار، ويقول بالحرية الإنسانية التي تبناها فيما بعد تلميذه محمد إقبال. يقول جلال الدين الرومي:«لو كان الجبر لما توجَّه الأمر والنهي إلى الإنسان، وما كلَّف الإنسان بالشرائع والأحكام، فهل سمع إنسان يأمر حجراً وينهاه». ويقول أيضاً:«إن الإنسان مفطور على عقيدة الاختيار، وهو يمثل العقيدة ويطبقها في حياته اليومية، ويقرر بعمله وسلوكه الاختيار، وينكر الجبر»[3].

---

(١) جلال الدين الرومي: محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد البلخي القونوي الرومي؛ شُغل بالرياضة وسماع الموسيقى ونظم الأشعار وإنشادها، تنسب للرومي الطريقة المولوية، توفي بقونية سنة ٦٧٢هـ. انظر: الأعلام ص (٧/٣٠)؛ أخبار جلال الدين الرومي، أعده وترجم نصوصه أبو الفضل محمد بن عبد الله القُونَوي، الناشر: مؤسسة فؤاد بعينو، بيروت، الطبعة الأولى١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م. ص (٢٨-٢٩).

(٢) المثنوي: نظم يعرف بالمزدوج في العربية، وهو يعتمد في التقفية على توحيد القافية بين شطري كل بيت من أبيات المنظومة، فكل بيت من الأبيات تكون له قافيتُهُ المستقلة؛ ومثنوي الرومي: منظومة صوفية فلسفية فارسية، بلغت أبياتها (٢٥،٧٠٠)، بيتاً في ستة أجزاء، وكتب مقدمتها بالعربية وتخللتها أبيات عربية من نظمه. انظر: أخبار جلال الدين الرومي ص (٣٥٩).

(٣) انظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام، لأبي الحسن علي الحسني الندوي، الناشر: دار القلم الكويت، الطبعة الخامسة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م. ص (٣٥١)؛ محمد إقبال فكره الديني والفلسفي ص (٤٠٦-٤٠٧).

مذهب أهل السنة والجماعة في أفعال العباد أنها كلها من طاعة ومعصية، وخير وشر، مخلوقة لله تعالى، وأنَّ العباد لهم قدرة على أفعالهم، وهم فاعلون لها على الحقيقة، وهي قائمة بهم، ومنسوبة إليهم، ومن ثم فإنهم يستحقّون عليها المدح والذّمّ والثّواب والعقاب (١)، وأن أفعال العباد خلق الله وكسب من العباد بمنزلة الأسباب للمسببات، فالعباد لهم قدرة ومشيئة وإرادة، لكنها داخلة تحت قدرة الله ومشيئته وإرادته، قال تعالى:﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢)، وإذا أردنا معرفة كيف تكون خلقاً لله وكسباً للعباد، فإننا نقول: المضاف إلى الله هو خلقها، والمضاف إلى العباد والذي عليه الحمد والذم هو كسبها، يقول الله سبحانه وتعالى :﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾(٣)، وقد نقل اللالكائي (٤) إجماع الصحابة والتابعين والخالفين لهم من علماء الأمة على أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله عز وجل طاعتها ومعاصيها(٥).

وقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة على أن أفعال العباد خلق الله وكسب من العباد منها قوله تعالى:﴿ ! " # $ % ' (( ) * + , - . / 0 1 2 ﴾(٦)، فأخبر أن قولهم وسرهم وجهرهم

(١) انظر: الفتاوى (٣/٣٧٣-٣٧٤ ؛ ٨/٣٨٩ – ٣٩٣)؛ خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، للإمام محمد إسماعيل البخاري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة١٤١١هـ /١٩٩٠م.ص (٢٦)؛ عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص (٢٧٩)؛ شرح الطحاوية (١/٣٢١ ؛ ٢/٦٤٠).

(٢) سورة التكوير آية: (٢٩).

(٣) سورة البقرة آية: (٢٨٦).

(٤) اللالكائي: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، من أئمة السلف وعلى مذهب الشافعية، من مؤلفاته: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ورجال الصحيحين، وغيرهما، توفي ٤١٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/٤١٩)؛ شذرات الذهب (٥/٩٢).

(٥) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين، لأبي القاسم اللالكائي، خرج أحاديثه وعلق عليه نشأت بن كمال المصري، الناشر: دار البصيرة، الإسكندرية، بدون تاريخ طبعة.(١/٤٤٩).

(٦) سورة الملك آية : (١٣-١٤).

خلقه، وهو بجميع ذلك عليم [1]. وروى البخاري في خلق أفعال العباد عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال: النبي صلى الله عليه وسلم :«**إن الله يصنع كل صانع وصنعته**»[2]، قال رحمه الله: حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة [3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:«والتحقيق ما عليه أئمة السنة، وجمهور الأمة، من الفرق بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق؛ فأفعال العباد هي كغيرها من المحدثات المخلوقة، مفعولة لله، كما أن نفس العبد وسائر صفاته مخلوقة، مفعولة لله، وليس ذلك نفس خلقه وفعله؛ بل هي مخلوقة مفعولة، وهذه الأفعال هي فعل للعبد القائم به، ليست قائمة بالله، ولا يتصف بها فإنه لا يتصف بمخلوقاته ومفعولاته، وإنما يتصف بخلقه وفعله، كما يتصف بسائر ما يقوم بذاته، والعبد فاعل لهذه الأفعال، وهو المتصف بها، وله عليها قدرة، وهو فاعلها باختياره ومشيئته، وذلك كله مخلوق لله، فهي فعل العبد وهي مفعولة الرب»[4] .

---

(١) انظر: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للحافظ أبو بكر البيهقي، تحقيق أحمد عصام الكاتب، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ. ص (١٤٣)؛ للاستزادة في أدلة أن أفعال العباد خلق الله وكسب من العباد من الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الباب الثالث عشر: مرتبة خلق الأعمال، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م. ص(٥٠) وما بعدها.

(٢) الحديث أخرجه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي في الأسماء والصفات، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد الله بن محمد الحاشدي، الناشر: مكتبة السوادي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م. (١/٧٤-٧٥)؛ وأخرجه الحافظ أبي بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق العتكي في البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م. رقم الحديث (٢٨٣٨)، (٧/٢٥٨)؛ قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير أحمد بن عبد الله بن الحسين بن الكردي وهو ثقة. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ هـ، رقم الحديث (١١٨٣٢)، (٧/٤٠٤)، والحديث إسناده صحيح.

(٣) انظر: خلق أفعال العباد ص (٢٥).

(٤) انظر: الفتاوى (٢/١١٩-١٢٠).

ويقول الإمام أبو حنيفة – رحمه الله – [1]:«وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة، والله تعالى خلقها، وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، والطاعات كلها كانت واجبة بأمر الله تعالى وبمحبته وبرضاه وعلمه ومشيئته وقضائه وتقديره، والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته، لا بمحبته ولا برضائه ولا بأمره» [2].

ويقول الإمام الشافعي – رحمه الله – [3]:«إن مشيئة العباد هي إلى الله تعالى، ولا يشاءون إلا أن يشاء الله ربُّ العالمين، فإن الناس لم يخلقوا أعمالهم، وهي خلق من خلق الله تعالى أفعال العباد، وإن القدر خيره وشره من الله عز وجل...» [4].

والحاصل أن الشاعر محمد إقبال انحرفت آراؤه عن مذهب السلف الصالح في باب القدر وأفعال العباد، وإن كنا نلمس في شعره ما يشير إلى إثباته للقدر، ولكن لنزعته الفلسفية الصوفية العقلية أثرٌ في هذا الانحراف، فإقبال عند مناقشته للقدر وأفعال العباد وفَّق بين ثلاثة اتجاهات، بين نزعته الصوفية، وفكره الاعتزالي، واتجاهه الفلسفي.

---

(١) أبو حنيفة: النعمان بن ثابت التيمي، الكوفي، إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، من مصنفاته: الفقه الأكبر، والمخارج في الفقه، وغيرهما، توفي سنة ١٥٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٦/٨)؛ شذرات الذهب (٢٢٩/٢).

(٢) انظر: شرح الفقه الأكبر – المنسوب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي –، شرحه الإمام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الحنفي السمرقندي، عُني بطَبْعِه وَمُراجَعَتِه خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: الشؤون الدينية بدولة قطر. ص (١٢٩-١٣٠).

(٣) الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي، كان واسع العلم والفضل، وكان حافظا، حفظ الموطأ في تسع ليالٍ، إمام الشافعية، من مؤلفاته: الأمالي، ومجمع الكافي، والرسالة، وغيرها، توفي سنة ٢٠٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٦/٦)؛ شذرات الذهب (١٩/٣).

(٤) انظر: مناقب الشافعي للبيهقي للحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق السيد أحمد صقر، الناشر: دار التراث، القاهرة، الطبعة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م. (٤١٥/١).

ونزعة إقبال الصوفية تظهر في إيضاحه العلاقة بين الإيمان والقدر على الطريقة الوجدانية عند المتصوفة الذين يسعون إلى الفناء عن طريق المجاهدات إلى الفناء، ومن مظاهر هذه الفناء أن يتجرد عن إرادته وترك التدبير إلى الله تعالى، وهذا لا يكون إلا بالإيمان الذي يورث الذل والخشوع لإرادة الله.

وأما عن مدى تأثر إقبال برأي المعتزلة فإنه يظهر في مسألة الإنسان وكونه حراً مختاراً في سلوكه وتصرفه، وقد وافق إقبال نظار المعتزلة من جانب السبر والتقسيم العقلي حيث يرى أن النظام الموجود في الطبيعة أمر حتمي وملازم للنفس الإنسانية من أجل التعايش مع الحرية.

وأما عن اتجاه إقبال الفلسفي فإنه يظهر حينما يندفع أحياناً إلى القول بكون واجب الوجود تعالى موجباً في إرادته وأعماله كما يزعم الفلاسفة.

الباب الثاني

موقف محمد إقبال من الأديان والفرق والاتجاهات الفكرية المعاصرة والفلسفة والتجديد الديني.

وفيه أربعة فصول:

- الفصل الأول: موقف محمد إقبال من الديانات والفرق.
- الفصل الثاني: موقف محمد إقبال من الاتجاهات الفكرية المعاصرة.
- الفصل الثالث: موقف محمد إقبال من الفلسفة.
- الفصل الرابع: موقف محمد إقبال من التجديد الديني.

الفصل الأول

موقف محمد إقبال من الديانات والفرق

وفيه ثلاثة مباحث:

❖ **المبحث الأول:**

موقف محمد إقبال من اليهودية وتقويمه.

❖ **المبحث الثاني:**

موقف محمد إقبال من النصرانية وتقويمه.

❖ **المبحث الثالث:**

موقف محمد إقبال من الفرق وتقويمه.

المبحث الأول:

موقف محمد إقبال من اليهودية وتقويمه.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول/

رأي محمد إقبال في اليهودية.

المطلب الثاني/

تقويم رأي محمد إقبال في اليهودية.

المطلب الأول:

رأي محمد إقبال في اليهودية[١].

استولى على فكر الشاعر الإسلامي محمد إقبال مسألة النهوض بأمته الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، فقد اهتم اهتماماً بالغاً بقضايا الأمة الإسلامية، وتأتي في طليعة اهتماماته السياسية القضية الفلسطينية التي كان لها منــزلة خاصة في قلبه، ومِمَّا يدل على اهتمامه الشديد وحرصه الدائم بقضية فلسطين ذلك المؤتمر الذي ترأسه في مدينة لاهور حاضرة إقليم البنجاب بجمهورية باكستان الإسلامية اليوم، وكان هدف هذا المؤتمر تقديم احتجاج على سياسة حكومة المستعمر الإنجليزي نحو قضية فلسطين ورعايتها لليهود. يقول إقبال في خطابه التاريخي الذي ألقاه بهذه المناسبة مبيناً ما يجري من أحداث جسام في فلسطين، وهي تشابه مع ما يحدث اليوم في قطاع غزة، والضفة الغربية، وغيرهما من الأراضي الفلسطينية:«إن المسلمين يستشهدون في فلسطين، وتقتل نساؤهم وأطفالهم، وتُسفك دماؤهم في القدس الشريف التي فيها المسجد الأقصى الذي أسرى إليه الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم»[٢].

وبعد هذا المؤتمر بعامين تقريباً تلقى إقبال دعوة رسمية للمشاركة في المؤتمر الإسلامي العام المنعقد في بيت المقدس، وكان هدف المؤتمر السعي إلى إنقاذ فلسطين

---

(١) اليهودية ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام المعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذي أرسل الله إليهم موسى عليه السلام مؤيداً بالتوراة ليكون لهم نبياً، إلا أن اليهود بعد ذلك حرفوا تلك الديانة، وعبثوا فيها وفق أهوائهم وأغراضهم مما جعلها بدل أن تهدي إلى الحق والرشاد وما فيه الفلاح والنجاح، تدعوا إلى الباطل من الاعتقاد وتنكر طريــق الرشاد. انظر: الملل والنحل (١/٢٥٠)؛ الموسوعة الميسرة (١/٥٠٠)؛ الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، د.ناصر القفاري، ود. ناصر العقل، الناشر: دار العصيمي، الرياض، الطبعــة الأولى ١٤١٣هــ /١٩٩٢م. ص (١٨)؛ دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية د.سعود الخلف، الناشر: أضواء السلف، الطبعة الأولى١٤٢٢هــ/٢٠٠٢م. ص (٤١-٤٦).

(٢) انظر: إقبال والعرب ص (٣٨٩)؛ مقدمة الأعمال الكاملة لشاعر الإسلام محمد إقبال، ترجمة وتحقيق د. حازم محفوظ. ص (١٦).

من الخطر الصهيوني، فلبى إقبال الدعوة وانتخب وكيلاً للرئاسة، وألقى خطبة عصماء مؤثرة قبل سفره ومما جاء فيها:«عليكم بالعناية بالجيل الجديد، ومكافحة القوى الداخلية والخارجية التي تعمل على تمزيق الوحدة الإسلامية، وإنني أضع نفسي تحت تصرف المؤتمر ورهن إشارته، أينما كان وحيثما حل» (١).

بدأ إقبال يتحدث عن اليهودية الصهيونية من خلال مشاركته الفاعلة للقضية الفلسطينية حيث داوم على ذكرها في مجالسه الأدبية، ومحافله السياسية، ورسائله الدورية، وكذلك دواوينه التي نظمها باللغتين الأردية والفارسية، ويجدر بنا قبل أن نلقي الضوء على بعض آراء إقبال في اليهودية أن نوضح مسألة مهمة وهي أنه الشاعر محمد إقبال لم يكن له حديث واضح عن اليهود وعقائدهم، بل جل ما نظمه وكتبه وأرسله – فيما وقفت عليه – عن خطر الصهيونية على العالم الإسلامي وتآزرها مع الصليبية، ويمكن أن نلخص آراؤه وموقفه من اليهودية الصهيونية في الآتي:

يرى إقبال أنه ليس لليهود حقٌ في دعوى امتلاكهم جزءاً من المسجد الأقصى المبارك. يقول في خطابه الافتتاحي حينما ترأس اجتماعاً ضخماً لسكان لاهور الذي انعقد في ٧ سبتمبر ١٩٢٩م، للاحتجاج على رعاية الحكومة الانجليزية لليهود في فلسطين، ومما جاء في الخطاب:«وموضع المسجد الأقصى بكامله وقف لله تعالى في الشريعة الإسلامية، ولا يجوز امتلاكه لأحد إطلاقا، فدعوى اليهود بامتلاك جزء من المسجد الأقصى باطلة وغير شرعية من الناحيتين القانونية والتاريخية»(٢).

ويرى إقبال أن اليهود هم المسيرون للسياسة الأوروبية واقتصادها ويحاولون احتلال الشرق الإسلامي. كان إقبال على وعي تام ودراية ثاقبة بتسلط اليهود السياسي على العالم، وأنهم يملكون الحكم الحقيقي في أوروبا فهو ينظر إلى الحوادث نظرة عارف خبير.

---

(١) انظر: مقدمة الأعمال الكاملة لشاعر الإسلام محمد إقبال، ترجمة تحقيق د. حازم محفوظ ص (١٨).

(٢) انظر: الأعمال الكاملة لشاعر الإسلام محمد إقبال، ترجمة وتحقيق د. حازم محفوظ ص (١٧).

يقول في ديوان ضرب الكليم تحت عنوان "أوربَّة واليهود"[(١)]:

نظامٌ ومالٌ وعيشٌ رغيدٌ وظُلمةُ صَدرٍ لها القلبُ يَقْلي
دخانُ المصانع في الغرب راجٍ فواديه ليس بأهل التَّجلِّي
رأيتُ حضارتَه في احتضارٍ تموت اعتباطاً، وما الموت يُملي
فليس غريباً تولِّي اليهود كنائسَه بعد هذا التولّي

يشير إقبال في هذه الأبيات إلى الرفاهية السائدة في الغرب، وسيطرة اليهود على التجارة العالمية، إلا أن قلوب اليهود غير مطمئنة وصدورهم مظلمة، فقد أمسى الغرب مظلماً بدخان الآلات ومصانع اليهود. ويؤكد أن الحضارة الغربية قد أوشكت على الانهيار في سن شبابها.

ويقول في ديوان ضرب الكليم تحت عنوان "إلى عرب فلسطين" مخاطباً العربي الفلسطيني [(٢)]:

لا يزالُ الزَّمانُ يَصلَى بنارٍ لم تزل في حَشاكَ دونَ خُمودِ
لا دواءٌ بلندن أو جنيوا بوريدِ الفرنجِ كفُّ اليهودِ
ومن الرقِّ للشعوبِ نجاةٌ قوةُ الذّاتِ وازدهارُ الوجودِ

فإقبال في هذه الأبيات يشير إلى الوهن الذي أصاب الأمة الإسلامية في داخلها، من ضعف اعتمادها على نفسها، وتواكلها السلبي ومن ظاهرة التشتت والخلاف، فيقول للمسلم الفلسطيني: إن دواءك لا يوجد في جنيف ولا في لندن، لأن اليهود قابضون على روح الإفرنج، فعلاجك يمكن فقط بتربية ذاتك وإبراز شخصيتك. وهكذا رأى

(١) انظر: ديوان ضرب الكليم (٢/١١٠).
(٢) انظر: ديوان ضرب الكليم (٢/١٢١).

إقبال أن اليهود هم المسيرون للسياسة الأوروبية واقتصادها ويحاولون احتلال الشرق الإسلامي[1].

ويرى إقبال أن اليهود قد استمسكوا بتقاليد آبائهم وانتهجوا مناهج أسلافهم. يقول إقبال في ديوان الأسرار والرموز تحت عنوان "التقليد في زمن الانحطاط أولى من الاجتهاد" [2]:

وإذا ما اعتلَّ تقويم الحياه فَمِنَ التقليدِ للقومِ نجاه
ومِنَ التقليد جمعُ الأمَّة سُننُ الآباء حَبلُ الملِّة
إن تكنْ روحُك روحاً مُبصره حالُ إسرائيل فيها تَبْصِرَه
يذهبُ الأقوامَ منه شذرا اجتهادٌ في زمان القهقرى
هو أولى، لا اجتهاد الغافلين اقتداءٌ برسومِ الأوَّلين

فإن إقبالاً يضرب مثلاً باليهود حينما تمسكوا بتقاليد أجدادهم، وتغلبوا على كل ما أصابهم من نكبات وشدائد وذل وهوان خلال تاريخهم الطويل. يقول إقبال إن تمسك اليهود بتقاليد أسلافهم أمر صالح للاقتداء بهم، وأسوة تستحق أن يتأسى به، رغم أنهم مخطئون في إدراك مسلك آبائهم الصحيح، وهذا ما أراده الشاعر بقوله:

اجتهادٌ في زمان القهقرى يذهبُ الأقوامَ منه شذرا
اقتداءٌ برسومِ الأوَّلين هو أولى ، لا اجتهاد الغافلين

ويرى إقبال أن اليهود أصولهم كانت من سلالة الأنبياء والرسل، وكانوا من المختارين والمنعم عليهم. وذلك حينما كانوا متمسكين بما أنزل الله على رسلهم من شرائع وهدى، ولكنهم عادوا مغضوباً عليهم من الله تعالى حين فقدوا رشدهم وتركوا دينهم وانسلخوا من طاعة الله واشتروا بآياته ثمناً قليلاً.

(١) انظر: موقف محمد إقبال من الحضارة الغربية ص (٢٤٩).

(٢) انظر: ديوان الأسرار والرموز (١ / ٢١٦ – ٢١٧).

يقول في ديوان الأسرار والرموز[(١)]:

هكذا سنَّة ميلاد الأمم — مركزٌ فيه حياةٌ تنتظم

إنَّما المركز روحُ الدائرة — نقطةٌ، فيها محيطٌ، ضامره

ومِنَ المركزِ للقوم نِظام — وَمِنَ المركز لِلْقَوْم دوام

نقطة المركز منَّا الحَرمُ — لحُنُنا والوجدُ فينا الحرم

أيُّها المسلمُ يا ذا البَصر! — قومُ موسى عبرةٌ فاعتبرِ

إلى آخر الأبيات فإن إقبال يشير إلى أن حياة أمة من الأمم تقتضي أن يكون لها وجهة محددة، وأن وجهة الأمة المسلمة هي بيت الله الحرام. ويقول أيها المسلم العاقل النير القلب والبصيرة خذ مني النصيحة واعتبر بمصير أمة سيدنا موسى عليه السلام فإنها تقطعت وتفرقت حين فقدت مركزها وقبلتها، رغم أنها كانت من سلالة الأنبياء ونمت وترعرعت في أحضان الرسل، ولكنها حين تخلت عن مسؤوليتها وانسلخت من طاعة الله تعالى، غضب عليها خالقها ولعنها وأهانها حتى لم يبق لها نصيب من العز والكرامة و لم تثمر أشجارها و لم تنبت شجرة في أرضها و لم يكن لها صوت ولا نغمة ولا عش ولا عيش فيهتز قلبي ويرتعش لساني إذا أردت أن أحكي قصتها[(٢)].

---

(١) انظر: ديوان الأسرار والرموز (٢٢٤/١)، وهذه الأبيات جاءت في بيان أنَّ حياة الأمَّة تحتاج إلى مركز محسوس وأنَّ مركز الأمَّة الإسلامية البيت الحرام.

(٢) انظر: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٢٤١).

المطلب الثاني:

تقويم رأي إقبال في اليهودية.

مما سبق طرحه وبيانه من رأي وموقف الشاعر محمد إقبال السياسي في اليهود والخطر الصهيوني واضحٌ وجلي، وهذا أقل ما يقدمه المسلم لدينه وأمته، كيف لا وإقبال ذو رسالة أحب أن يبلغها العالم الإسلامي.

أدرك إقبال أن اليهود لهم مخططاتهم العالمية، وبروتوكولاتهم المنظمة، والاستراتيجيات التي يعملون بجد لتحقيقها والوصول لها، فقد كان عارفا بمكائد ومطامع الصهيونية، وكان خبيراً بما حدث في العالم الإسلامي من تحطيم الخلافة العثمانية، وتوزيع أجزائها بين المستعمرين الصليبيين والصهاينة، وشعر بخطورة الأوضاع الحرجة وجدية الظروف الصعبة السائدة في عصره بوعي قلب مؤمن وبضمير مسلم صادق، حتى أنه كتب مرة إلى القائد محمد علي جناح:«إن لمشكلة فلسطين أثراً كبيراً في نفوس المسلمين، وأنني شخصياً لمستعد أن أذهب إلى السجن لأمر له تأثير على الإسلام والهند، فإن وجود مركز غربي على بوابة الشرق خطير للغاية» (١).

وكان إقبال يتمنى أن يرى فلسطين حرة مستقلة والقدس طليقة، وعندما سافر إقبال إلى القدس الشريف تلبية لدعوة من السيد أمين الحسيني (٢) وشارك في أعمال المؤتمر الإسلامي الذي عقد في ٦ ديسمبر عام١٩٣١م ممثلاً لمسلمي الهند، حيث قال في خطابه أمام أعضاء المؤتمر:«إنني على إيمان ويقين أن مستقبل العرب مرتبط بالإسلام، وبالإسلام فحسب، فلا بد من توحيد واتحاد في صفوف المسلمين لأن مصير المسلمين عرباً وعجماً مصير واحد، لست خائفاً من أعداء الإسلام، إنما أخشى من

---

(١) انظر: الأعمال الكاملة لشاعر الإسلام محمد إقبال، ترجمة وتحقيق د. حازم محفوظ ص (١٩).

(٢) أمين الحسيني: محمد أمين، أو الحاج أمين بن محمد طاهر بن مصطفى الحسيني، زعيم فلسطين السياسي في عصره، يلقب مفتي فلسطين الأكبر، كان أول من نبه إلى خطر تكاثر اليهود في فلسطين بعد وعد بلفور. انظر: الأعلام (٤٥/٦).

التفكك والتفرقة والانقسام في صفوف المسلمين» [1].

وفي ختام هذا المطلب فإن الشاعر محمد إقبال وقف موقفاً حازماً ضد اليهود حيال القضية الفلسطينية، فقد أكد أنه ليس لليهود حق في فلسطين، كما أنَّ الغرب لم تنصف المسلمين بشأن فلسطين، وإقبال يعرف جيداً أن لليهود تدخلاً كبيراً في النظم الأوربية كلها ولذلك فإن الأوربيين لا يمكن أن يؤيدوا المسلمين بهذا الشأن، بل أنهم ينحازون دائماً إلى الصهاينة، ويدعو إقبال الأمة الإسلامية أن تنهض وتستيقظ من سباتها وغفلتها، وتوحد صفوفها بالتمسك بعقيدتها وبمبادئها السليمة، ولا تتوقع من الشعوب الأوربية أي عدل وإنما تتوكل على الله القوي العزيز ثم على قوتها العسكرية وتزود نفسها بالأسلحة والعتاد متبعة في ذلك القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي ثم تقوم لتحرر أرض فلسطين من براثنة الصهاينة.

---

(١) انظر: الاتجاه الإسلامي في شعر محمد إقبال ص (٣٢٠- ٣٢١).

المبحث الثاني:

موقف محمد إقبال من النصرانية وتقويمه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول/

رأي محمد إقبال من النصرانية.

المطلب الثاني/

تقويم رأي محمد إقبال من النصرانية.

المطلب الأول:

رأي محمد إقبال من النصرانية[١].

يعتبر الشاعر محمد إقبال في طليعة الكتاب والمفكرين والشعراء الذين تصدَّوا للهجمة النصرانية الشرسة التي اكتوى بنارها العالم الإسلامي خاصة، وذلك من خلال شاعريته المتوقدة وحماسه لأمته الإسلامية، فقد أدرك إقبال أن النصارى تلتهب في قلوبهم نار الحقد والانتقام ضد الانهزامات التي لحقتهم على أيدي المسلمين خلال الحروب الصليبية ليقوموا بالثأر منهم.

وإذا نظرنا إلى فهم إقبال للمد التنصيري في العالم ورأيه في النصرانية وجدنا أنه كان على وعي وإدراك تام لأهدافها، ولكن جل ما كتبه – فيما وقفت عليه – عن النصرانية جاء في خطاب العموميات، والوقوف ضد الاستعمار الغربي، والحملات الصليبية وتآزرها مع الصهيونية، ويمكن أن نلخص آراؤه وموقفه من النصرانية الصليبية في الآتي:

يرى إقبال أن النصرانية والصهيونية قد تآزرتا في إجلاء المسلمين من فلسطين. يقول ضمن خطاب ألقاه في اجتماع أقيم في لاهور في سبتمبر عام ١٩٢٩م محتجاً على الحماية الإنجليزية لليهود في فلسطين:«إن إسكان اليهود بفلسطين لم يكن

(١) النصرانية أو المسيحية هي الديانة التي أنــزلت على نبينا عيسى والمكملة لرسالة موسى – عليهما السلام – ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم موجهة إلى بني إسرائيل لكنها سرعان ما فقدت أصولها مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها حيث ابتعدت كثيراً عن صورتها السماوية، وبدلوا التوراة فأرسل الله نبيه عيسى إليهم مصححاً لما حرفوه وليحل لهم بعض الطيبات التي حرمت عليهم ومبشراً بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً يأتي من بعده، قال تعالى:﴿ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 : ; < = > ? @ ﴾[سورةالصف آية:٦]، وعندما حصل التحريف في النصرانية وتعددت الأناجيل وتحول أتباعها من التوحيد إلى الشرك المتمثل بالتثليث، ونُسخت بالإسلام فأصبحت باطلة لا تقبل عند الله. انظر: الملل والنحل (٢٦٢/١)؛ الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص (٦٣)؛ دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ص (١٦٣-١٦٤).

في صالحهم، نظراً لجبلتهم التجارية المرابية، ولكن قادة الإنجليز على رغم ذلك أسكنوهم في فلسطين واستعملوهم لإنجاز أهدافهم الاستعمارية الخفية وشجعوا الحركة الصهيونية ودعموها لتتقدم وتنمو»[1].

جاء في ديوان ضرب الكليم ما يلمح إلى تآزر الصليبية والصهيونية، فيقول إقبال تحت عنوان "الشام وفلسطين" [2]:

مَرحَى لحانات الفرنج فقد ملأت بهنَّ زجاجَها حَلبُ

إنْ في فلسطين اليهودُ رَجَتْ فلْيأخذَنْ أسبانيا العَربُ

للإنكليز مقاصدٌ خفيت ما إن يُراد الشَّهْدُ والرّطَب

فإن الشاعر يشير إلى أن الاستعمار الغربي لو أراد الحق والعدل في إسكان اليهود في فلسطين نظراً إلى أنهم سكانها الأقدمون لأسكن المسلمين في أسبانيا فإنهم قد سكنوها زمناً طويلاً لكن لهم أهداف ومقاصد استعمارية أخرى [3].

يحذر إقبال من سياسة الاستعمار في صور يعرضها وأمثال يضربها للعبرة. يقول في ديوان والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق تحت عنوان "السياسة الحاضرة" [4]:

لا تُصَدِّقْ منْهُ ما تَسْمَعُهُ فَهُوَ تَخْديرٌ مبيدٌ للبَشَرْ

واحذَرِ الكُحْلَ الذي يَصْنَعُه إنَّه الكُحْلُ الذي يُعمي البَصَرْ

يقول إقبال عن سياسة المستعمر النصراني أنها سياسة المكر والخداع المخدر، وإن الاكتحال بها يسلب من العين نورها ومن القلوب شعورها، إنها تبتدع ألفاظاً وتخلق

(١) انظر: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٢٣٧).

(٢) انظر: ديوان ضرب الكليم (١١٩/٢).

(٣) انظر: مقدمة الأعمال الكاملة لشاعر الإسلام محمد إقبال، ترجمة د. حازم محفوظ ص (١٩).

(٤) انظر: ديوان والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق ص (١٠٤)، ترجمه نثراً: محمود أحمد غازي، وشعراً: الصاوي شعلان.

مصطلحات كثيرة الاحتمالات ملتوية المعاني، فعلى المؤمن أن يكون ذا بصيرة نافذة حتى لا تصبح بلده لقمة سائغة في فم الغاصب.

تناول إقبال في مواطن كثيرة من شعره الصليبية التي سعت بكل ما تملك من جهود لتمزيق وحدة المسلمين. يقول في ديوان رنين الجرس تحت عنوان "عالم الطريق":«لقد ذهب أبناء التثليث بما ورثناه من أبينا سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، فصار تراب الحجاز لبنة لبناء الكنيسة، وقد تمزقت الأمة المسلمة بضغط سياسة الغرب، كما يتحول الذهب إلى قطع صغيرة بعمل الصائغ»(١). ففي هذه المقطوعة الشعرية الآنفة الذكر ما يشير إلى المؤامرة الصليبية لتمزيق وحدةالمسلمين.

للشاعر محمد إقبال جهود إصلاحية في مقاومة المد النصراني في شبه القارة الهندية. من تلك الجهود الإصلاحية في شبه القارة الهندية عندما تلقى دعوة من الجمعية التعليمية لمسلمي جنوب الهند بمدينة مدراس ليلقي محاضرات عن الإسلام، فلبى هذه الدعوة مباشرة لوجود رجل نصراني أمريكي يقوم بدعوة مختلف علماء النصارى إلى شبه القارة الهندية على نفقته لإلقاء المحاضرات في فضل النصرانية وسيرة عيسى ابن مريم – عليه السلام –، فحاول إقبال مقاومة ذلك المد النصراني بإلقاء محاضرات عن حقيقة الإسلام ورد مطاعن النصرانية، وإن كانت تلك المحاضرات لا تخلو من محاذير عقدية بينها في أثناء البحث.

بالرغم من العلاقة الوطيدة بين إقبال والمستشرق توماس آرنولد إلا أنه لم ينكر كونه نصرانياً وأنه يتربص بالمسلمين الدوائر. يقول إقبال بعد الحوار الذي جرى بين إقبال والسيد نيازي لما سمع إقبال نبأ وفاة آرنولد في عام ١٩٣٠م حزن له حزناً بالغاً وقال متأسفاً: فقد إقبال صديقه وأستاذه، فأخذ السيد نيازي يذكر حبه للإسلام ودفاعه عن هجمات المسلمين المتعصبين للإسلام، ثم تساءل أخيراً أنه إذا كان

(١) انظر: ديوان رنين الجرس من الأعمال الكاملة لشاعر الإسلام محمد إقبال، ترجمة وتحقيق د. حازم محفوظ ص (٢٤٦)؛ موقف محمد إقبال من الحضارة الغربية ص (٢٣٨).

السير آرنولد يدافع عن الإسلام وكان يعترف بصحته وحقيقته فلماذا لم يعتنق الإسلام؟ فأجاب إقبال عن ذلك أن سعة نظر آرنولد كانت تجبره على التعاطف مع الإسلام والمسلمين ولكنه كان إنجليزياً ومسيحياً فكان يفرق بين الدين والدولة، وكان حبه وولاؤه سياسياً لصالح انجلترا فحسب فكان يرغب في إيجاد علاقات الصداقة والولاء بين انجلترا والبلاد الإسلامية، وبعبارة أخرى في إرضاء المسلمين لقبول الاستعمار البريطاني على أراضيهم[1].

(١) انظر: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٦١-٦٢).

المطلب الثاني:

تقويم رأي إقبال في النصرانية.

عند التأمل في شعر محمد إقبال نجده يشير إشارات واضحة على أن الحقد الصليبي والكيد الصهيوني ما زالا يتآمران ضد الإسلام والمسلمين منذ عدة قرون، وأن جهودهم ما زالت مستمرة في تمزيق وحدة وصف المسلمين، فلم يألُ إقبال جُهْداً في بيان الخطر الاستعماري في مواضع كثيرة من شعره ونزر من كتاباته. وإذا أمعنا النظر في كل من المخططات اليهودية والنصرانية وجدناهما يعملان على إبادة المسلمين وتشتيتهم واغتصاب بلادهم المقدسة، فقد كان من ضمن مخطط الاستعمار الغربي إجلاء مسلمي فلسطين عن ديارهم لإسكان اليهود فيها واستيطانهم إياها، وكان رأى إقبال أن تلك السياسة الاستعمارية [1] تقصد إبادة المسلمين وتشتيتهم واغتصاب بلادهم المقدسة تأثراً بالحقد المسيحي الصليبي وانحيازاً للمخطط اليهودي الصهيوني، فاجتمعت مصالح كل من اليهود والنصارى على المسلمين.

يقول الدكتور سيد عبدالله:«إنني لا أنكر أن الاستعمار الغربي يستهدف استغلال ثروات الشرق ولكني أراه أكثر من ذلك، في ضوء فكر إقبال الإجمالي أنه انتقام صليبي، ورد فعل لانهزام الغرب أمام انتصارات المسلمين في الأندلس... والانتصارات التي على يد صلاح الدين الأيوبي وعلى يد آل عثمان الأتراك ... وكان هدف أهل الغرب أخيراً تدمير القوة العثمانية، متأثرين بالنزعة الانتقامية الصليبية، وقد قضوا في سبيل إتمام هذا الهدف حوالي ثلاثة قرون. فالذين يرون هذا الكفاح الغربي الطويل ناتجاً عن هوس أهل الغرب الاستعماري والاقتصادي فقط فهم يقرون بنصف الحقيقة، وذلك لانخداعهم بدعاية الغرب الكاذبة، وقد يظن بعض السذج أن الغرب الذي قد ترك الدين مهجوراً ولم يعد يؤمن بالله والرسالة مطلقاً، لا يمكن أن

(١) في تقديري أنه من الأفضل أن يستبدل كلمة المستعمر بكلمة المحتل، لأن الاستعمار من العمارة وهو على النقيض من ذلك لأن المحتل يدمر ولا يعمر.

يفكر في انتقام صليبي أو يتأثر بنـــزعة دينية، ولكن ذلك الظن ناتج عن نقص في الفهم وغفلة عن الحق، فإن الصليب والكنيسة كامنة في قلب كل مستعمر، سواء كان ديمقراطياً أو اشتراكياً، وكان ذلك قصد إقبال حين أنشد:«أيها الغافل، لماذا ترجو العطف والحنان من الفرنجي الغاصب ؟ ألا تدري أن قلب الصقر لا يرق لطائر يقع في مخلبه» [1].

وفي ختام هذا المطلب فإن الشاعر محمد إقبال أدرك المطامع الاستعمارية ولم ينخدع بدعاياتهم المضللة المعلنة، ولم يعلق آماله على المجتمع الدولي ومؤسساته التي صنعها أولئك الأقوياء خدمة لأهدافهم، وقد جعل إقبال أهم الأسباب للغزو الأوربي الصليبية العالمية والاستعمار الاقتصادي والتوسع السياسي والعسكري[2].

وكان إقبال على وعي تام بتلك الحركات والمؤامرات، وكان دقيق المعرفة بأحوالها وأعمالها وتسربها إلى داخل الوطن الإسلامي خفية وعلانية، وكيف لا يعرف ذلك وقد كان مولده بعد ستة عشر عاماً من حدوث ثورة فاشلة قام بها أهل الهند ضد الإنجليز في عام ١٨٥٧م وقد سمع الكثير عن أعمال العنف والاضطهاد التي وقعت على آلاف من إخوانه الذين قاموا أو اتهموا بتلك الثورة؛ كما أنه لم يكن غافلاً عمَّا واجهه العالم الإسلامي من الأزمات والنكبات على يد الاستعمار الغربي من دخول فرنسا المغرب واحتلال ايطاليا طرابلس، واقتحام الروس شمال فارس في ١٩١١م، ومن تدمير الخلافة العثمانية وتوزيع أجزائها وأراضيها بين الإنجليز والفرنسيين والروس وغيرهم من مستعمري الغرب خلال فترة ١٩١٨- ١٩٢٤م أثر الحرب العالمية الأولى[3].

(١) انظر: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٢٣٦).

(٢) انظر: فلسفة إقبال ص (١٧٣).

(٣) انظر: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٢٣٥).

المبحث الثالث:

موقف محمد إقبال من الفرق وتقويمه

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول/

آراء محمد إقبال في الصوفية ومدى التأثر بهم وتقويمه.

المطلب الثاني/

رأي محمد إقبال في الشيعة وتقويمه.

المطلب الثالث/

رأي محمد إقبال في المعتزلة وتقويمه.

المطلب الرابع/

رأي محمد إقبال في الأشاعرة وتقويمه.

المطلب الأول:

آراء محمد إقبال في الصوفية ومدى التأثر بهم وتقويمه[1]:

إنَّ الفكر الصوفي امتدت آثاره بسرعة خاطفة من العراق وإيران إلى الهند، حيث وجدت هناك تربة خصبة، وأصبحت أرض الهند مأوى لعدد ضخم من الأولياء رجالاً ونساء حيث تحولت مقابرهم بعد موتهم إلى مزارات وأضرحة يؤمها المسلمون والهندوس معا [2].

كانت شبه القارة الهندية تغرق في ظلام الكفر والإباحية، فهي موطنٌ خصب للديانات والنحل الباطلة، ومليئةٌ بالفوضى العقائدية والمذاهب الفلسفية والطرق الصوفية، يعبَّر عن ذلك الشاعر محمد إقبال بقوله: «ليست الهند كأي دولة في الغرب تجمعها وحدة الجنس واللغة والدين، ولكنها وطن لأمم متباينة السلالات واللغات والأديان» [3].

نشأ محمد إقبال في تلك البيئة التي تعُج بالانحرافات العقدية والطرق الصوفية، وتأثر هو ووالده برجالات الصوفية وكبارهم بل قال عن نفسه إنه ينتمي إلى الطريقة القادرية

(١) الصوفية: هم طائفة من أهل البدع تنتحل الزهد والتعبد، ينسبون إلى الصوف – على الصحيح – لكثرة لباسهم له، وهم طوائف شتى، يجمعهم الزهد البدعي، والتعبد لله تعالى بما لم يشرع من الاحتفالات والرقص والسماع والأذكار البدعية وغير ذلك. وأما عن انتشار الصوفية في العالم الإسلامي فقد انتشرت في القرن الثالث الهجري كنـــزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري، ثم تطورت النـــزعات بعد ذلك حتى صارت طرقا مميزة معروفة باسم الصوفية، ويتوخى المتصوفة تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة لا عن طريق إتباع الوسائل الشرعية، ولذا جنحـــوا في المسار حتى تداخلت طريقتهم مـــع الفلسفات الوثنية والهندية والفارسية واليونانية. انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر الرازي، تحقيق: طه عبد الرؤوف، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ١٣٩٨هـــ. ص (١١٠)؛ الموسوعة الميسرة (٢٥٣/١).

(٢) انظر: التصوف والاتجاه السلفي في العصر الحديث ص (٢١٣).

(٣) انظر: فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية في الهند وباكستان ص (٢٧) وما بعدها.

بقوله:«وأنني أرى نفس اللون في الطريقة القادرية [1] التي أتعلق بها...»[2]، إلا أنه يرى بعض الباحثين أن إقبالاً ينتمي إلى الطريقة النقشبندية.

بالرغم من أن إقبالاً انفتح على الغرب من خلال دراسته ورحلاته، واحتكاكه بثقافات أخرى غير الثقافة الإسلامية، إلا أنه ينـــزع إلى التصوف، فقد كان شاعراً صوفياً روحانياً في طليعة من تخصصوا في «المحبة» و«العشق الإلهي»، بل إنَّ ما نظمه إقبال من شعر ديني ورباني، يندرج تحت لواء الشعر الصوفي [3].

كانت بداية حديث إقبال عن الصوفية والتصوف عندما عرض بعض أفكاره ضد حافظ الشيرازي الصوفي المشهور، فتناول تلك الآراء والأفكار بأسلوب عنيف، وقام بنشرها في الطبعة الأولى من ديوانه أسرار الذات في عام ١٩١٥م، وكان من يطالع الفارسية يعد حافظ الشيرازي من الصوفية منذ قرون، بل يعتبـــره أتباع الصوفية والعامة منهم لسان الغيب، وكانوا يتفاءلون بشعره وديوانه في يومهم وغدهم، وقد تناول إقبال شاعرية الشيرازي بالنقد الشديد لأنها تؤثر في الطبائع الكامنة في النفس البشرية، والإنسان يميل إلى الاستمتاع واللذة ويهرب من العمل والكد، ولأنها تعلم المريد الخنوع والتواكل، ولا يجد القارئ فيها قوة دافعة لذاته ونفسه، وبالرغم من نقد إقبال الشديد الذي وجهه لحافظ الشيرازي إلا أنه كان متأثراً جداً بشعره، يقول الأستاذ خليفة عبد الحكيم عن إقبال:«إنني أحس في بعض الأحيان أن روح حافظ قد

---

(١) الطريقة القادرية: طريقة صوفية تنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، واسمه عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله جنكي دوست بن أبي عبد الله بن عبد الله الجيلي، ثم البغدادي، عاش ببغداد، وتصدر للتدريس والإفتاء بها، وتوفي بها سنة ٥٦١هـــ، نسب إلى الجيلاني من الأمور العظيمة فيما لا يقدر عليها إلا الله تعالى من معرفة الغيب، وإحياء الموتى، وتصرفه في الكون حيّاً أو ميتاً، بالإضافة إلى مجموعة من الأذكار والأوراد والأقوال الشنيعة. انظر: سير أعـــلام النبـــلاء (٢٠/٤٣٩)؛ شذرات الذهب (٦/٣٣٠).

(٢) انظر: الاتجاه الإسلامي في شعر محمد إقبال ص (١٠٠).

(٣) انظر: أحلى قصائد الصوفية، مجدي كامل، الناشر:دار الكتاب العربي،دمشق، الطبعة الأولى١٤١٧هـــ/ ١٩٩٧م.

دخلت في جسمي...»[1]، كما أن هناك عدة منظومات فارسية لإقبال، لو وضعناها في ديوان حافظ لما أمكن للقارئ أن يعرف أنها من منظومات حافظ أو إقبال.

تأثر الشاعر محمد إقبال ببعض معتقدات الصوفية وآرائهم كالقول بوحدة الوجود [2] – على خلاف بين الباحثين –، واستغرق في مفهوم العشق المشهور عند الصوفية الحلولية، ووافق إقبال أقطاب الصوفية وغلاتهم حينما ادَّعوا أعمالاً خارقة، وحالات غريبة، كالطيران في الهواء، أو السير على سطح الماء، أو الاتصال بالملأ الأعلى، ودافع إقبال بكل ما أوتي من شاعرية وقوَّة بيانية عن مقولة الحلاج [3] المشهورة: **" أنا الحق"**، وسنناقش هذه المقولة على وجه التفصيل وتقرير المذهب الحق.

ومن الشواهد والأمثلة التي تدل على موافقة الشاعر محمد إقبال لكثير من آراء الصوفية ومعتقداتهم مايلي[4]:

---

(١) انظر: الاتجاه الإسلامي في شعر محمد إقبال ص (٨٩-٩٢).

(٢) وحدة الوجود مذهب فلسفي صوفي يقوم على القول بالاتحاد العام بين الخالق والمخلوق، فوجود المخلوق هو وجود الخالق، بل الخالق هو المخلوق والمخلوق هو الخالق، ولا وجود لموجودين خلق أحدهما الآخر، ومن أشهر من قال به: ابن عربي، وابن الفارض، ومن على منهجهما من أهل الاتحاد. انظر: الفتاوى (٢/١٤٠-١٤١؛ ٢/١٧٢، ٢/٣٦٤-٣٦٥)؛ الصفدية (١/١٦٠-٢٨٣)؛ عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، د. أحمد بن عبد العزيز القصير، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م. ص (٢٧) وما بعدها.

(٣) الحلاج: أبو مغيث الحسين بن منصور بن محمي الفارسي الصوفي الفيلسوف الزنديق المقتول على زندقته، وكان جده مجوسياً، تبرأ منه أكثر وأغلب الصوفية، وسائر المشايخ والعلماء، كان صاحب شعوذة وسحر، وادعى حلول الخالق تعالى في جسده – تعالى الله عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً –، فقتل على ذلك مصلوباً في أحد جسور بغداد، خدع الناس بسحره، وأتى بأشياء منكرة وتكلم بما يخرجه من الدين فأفتى العلماء بإباحة دمه فقتل سنة ٣١١هـ.انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/٣١٣)؛ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ طبعة (١/٥٤٨).

(٤) أرى أنه لا بد من مزيد البحث والدراسة لفكر الشاعر محمد إقبال الصوفي تحت عنوان: النــزعة الصوفية في فكر الشاعر محمد إقبال عرض ونقد، ولعل الله أن ييسر للباحث أو غيره من المتخصصين دراسته في ضوء عقيدة السلف، وفي هذا المقام آثرت الاختصار والإيجاز في عرض آراء إقبال الصوفية؛ لأن هدف البحث جاء لإعطاء صورة عامة وشاملة لأراء إقبال العقدية، وليس جمع وتتبع كل آرائه.

يقول إقبال عن وحدة الوجود [1]:« إن أصل نظام العالم هو الذات، وإن تسلسل الحياة في الوجود إنما يقوم على استحكام الذات ودعمها وحسب. فيعلن إن الذات واحدة، وإن ظهرت في الكون بمظاهر مُتعددة، ولكأن بعضها يصارع البعض الآخر، بل إن هذا الصراع في حقيقته ليس إلا مظهر من مظاهر الكون، ولتحقيق أهداف العمل، تصبح الذات هي العامل والمعمول والأسباب والعلل، فتقوم وتثير، وتطير، وتشع وتنفر أو تحرق وتشعل وتقتل وتميت، وتبرز. تتخذ من وسعة الأيام مكاناً لجولاتها، وتموج السماء من غبار طريقها»[2].

ويقول عن مفهوم العشق المشهور عند الصوفية الحلولية، وهو في معنى الفناء في الوجود، والاتصال والاتحاد:«من لحاظ العاشق ينشق الحجر، وآخر العشق الحق بلوغ الحق بتمامه»[3].

ويقول إقبالاً متأثر بفكرة الطيران في الهواء، والاتصال بالملأ الأعلى كما هو عند المتصوفة:«إنني أحلّق عالياً، بحيث أنه على ذرى الفلك الأعلى، تحوم حومي مخلوقات الضياء آلاف المرات. وموجع بيان الإنسان الفاني إنما إلى قدرته على الابتكار ... وبهذه الأبيات يعلن إقبال أن الرحمة الإلهية، قد أمدت فكره وادركه بنعمة هي ذلك التحليق الرفيع بحيث وصل إلى ذروة مرتفعات الجوهر الروحي، فيما وراء السماوات. وكان على الملائكة أنفسهم، وهي مخلوقات الضياء، أن تطوف به الآف المرات، لتتجسس عليه، وتتعرف على طريقته ومقصده وإلى أين هو ذاهب، وما هي أقصى الحدود التي

---

(١) تعددت الآراء ووقع الخلاف بين الباحثين والذين عاصروا محمد إقبال في رأيه بوحدة الوجود بين النفي والإثبات على خمسة أقوال، أحيل القارئ الكريم إلى مظان هذه المسألة. انظر: كتاب محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٨١-١٧٤-١٧٥-١٧٦-١٧٧)؛ الاتجاه الإسلامي في شعر محمد إقبال ص (٩٩-١٠٠)؛ أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، سيد بن حسين العفاني، الناشر: دار ماجد عسيري، السعودية، جدة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م. ص (٢/٢٩٦-٢٩٧).

(٢) انظر: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره ص (٣٤١-٣٤٢).

(٣) انظر: النـزعة المادية في العالم الإسلامي ص (٢٨٧).

يصل إليها تحليقه، وما هي تلك البقاع التي لم تزل بعيداً عن متناوله. وإن صعود الإنسان الفاني إلى مثل تلك المقامات الرفيعة، التي تخشى الملائكة ذاتها أن تطأها، وتكتفي بأن تحوم حومها، إنما يرجع إلى قدرة الإنسان على التفكير وقدرته على الابداع والابتكار»(1).

❖**رأي إقبال في مقولة الحلاج أنا الحق:** دافع الشاعر محمد إقبال بكل ما أوتي من شاعرية، وقوَّة بيانية، عن مقولة الحلاج المشهورة "**أنا الحق**"، وحاول تخريج هذه المقولة بأسلوب فلسفي محض، موافقاً فيها أكابر الصوفية، ويرى إقبال - كما جاء في كتابه تجديد التفكير الديني - أن معاصري الحلاج ومن جاءوا بعده فسروا هذه العبارة بأنها تتضمن الشرك، ولكن مجموعة نصوص الحلاج لاتدع مجالا للشك في أن الولي الشهيد لم يكن يقصد من عبارته أن ينكر على الله صفة التنـزيه. والتفسير الصحيح لتجربته إذن ليس هو أن القطرة لا تنـزلق في البحر، ولكنه إدراك حقيقة النفس الإنسانية وتأكيد جرئ لدوامها في شخصية أعمق بعبارة قوية (2). ويقول إقبال عن مدافعاً عن مقولة الحلاج، في ديوان هدية الحجاز تحت عنوان "أنا الحق" (3):

أنا الحـْق ذِي مَقَـام الكِبْـرِيَـاءِ ... أَكَـان لَهَـا الصليبُ مِـنَ الجَـزَاءِ ؟!

فَهَـذَا جَـائِزٌ فِـي رَأْيِ فَــرْدٍ ... وَيَبْطُـلُ عِنْـد قَـوْمٍ بِـالإِبَـاءِ

أَلَيْسَـتْ قَـوْلَـةً لاَقَتْ بِشَعْب ... يَجُـودُ دَمـاً لِغُصْـنٍ فِيـهِ رَطب

وجاء في ديوان زبور العجم قوله(4):

أتعرف مـا تضمَّنـه أنـا الحـقُّ ... أتحسبـه هـراء حين ينطـق

(1) انظر: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره (88-89).

(2) انظر: تجديد التفكير الديني ص (110).

(3) انظر: ديوان هداية الحجاز(462/2).

(4) انظر: ديوان زبور العجم (395/1).

دار الخلاف بين العلماء على حقيقة معناها – **أنا الحق** – ومراد الحلاج منها، وذهبت الصوفية فيها مذاهب شتى، فالصوفية يعبرون عن هذه المقولة الحلولية من تجربة دينية بلغوا القمة فيها، وذلك بما للإنسان من قدرة على إدراك ذاته في صلتها بذات الله، وخالف الشاعر محمد إقبال قول الأئمة الأعلام في هذه المسألة معتقداً أن الحلاج قال بالفصل بين الذات الإنسانية والذات الإلهية، فهذا زعم باطلٌ وافتراء محض، بل إن ما ذهب إليه الحلاج من الشطحات الكبيرة المخالفة لمنهج السلف الصالح. وقد أُفتِيَ بكفر الحلاج في محضر عدد كبير من علماء المسلمين في عصره ومن جاء بعدهم، وأقيم عليه الحد، وقتل بتهمة الزندقة بعد أن اعترف بكثير من الكفريات، وإن دافع عنه السهروردي وأبو حامد الغزالي، وجماعة من رموز الصوفية مثل محي الدين بن عربي، وعبد الكريم الجيلي وغيرهما.

وقد وجِّه لشيخ الإسلام بن تيمية – رحمه الله – سؤالاً عن الحلاج هذا نصه: ما تقول أئمة الإسلام في الحلاج ؟ وفيمن قال: أنا أعتقد ما يعتقده الحلاج ماذا يجب عليه ؟ ويقول: إنه قتل ظلماً كما قتل بعض الأنبياء ؟ ويقول: الحلاج من أولياء الله فماذا يجب عليه بهذا الكلام، وهل قتل بسيف الشريعة ؟.

فأجاب – رحمه الله – بقوله: من اعتقد ما يعتقده الحلاج من المقالات التي قتل الحلاج عليها فهو كافر مرتد باتفاق المسلمين؛ فإن المسلمين إنما قتلوه على الحلول والاتحاد، ونحو ذلك من مقالات أهل الزندقة والإلحاد كقوله: أنا الله. وقوله: إله في السماء وإله في الأرض.

وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا إله إلا الله، وأن الله خالق كل شيء. وكل ما سواه مخلوق و ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴾ (1)، وقال تعالى :﴿ ! " # $ % & ' ( ) ( )

(1) سورة مريم آية: (٩٣).

* + , . ﴾(1) الآيـــات ، وقـــال تعـــالى:﴿ h i j k l m n o p q r﴾(2)، فالنصارى الذين كفرهم الله ورسوله واتفق المسلمون على كفرهم بالله ورسوله: كان من أعظم دعواهم الحلول والاتحاد بالمسيح ابن مريم، فمـــن قال بالحلول والاتحاد في غير المسيح –كما تقوله الغالية في علي رضي الله عنه، وكمـــا تقوله الحلاجية في الحلاج، والحاكمية في الحاكم، وأمثال هؤلاء – فقولهم شر من قول النصارى لأن المسيح ابن مريم أفضل من هؤلاء كلهم

وهؤلاء من جنس أتباع الدجال، الذي يدعي الإلهية ليتبع، مع أن الدجال يقول للسماء أمطري فتمطر، وللأرض أنبتي فتنبت، وللخربة أخرجي كنوزك فتخرج معه كنوز الذهب والفضة، ويقتل رجلا مؤمنا ثم يأمر به فيقوم، ومع هذا فهو الأعور الكذاب الدجال، فمن ادعى الإلهية بدون هذه الخوارق: كان دون هذا الدجال.

والحلاج: كانت له مخاريق وأنواع من السحر، وله كتب منسوبة إليه في السحر. وبالجملة فلا خلاف بين الأمة أن من قال بحلول الله في البشر، واتحاده به، وأن البشر يكون إلهاً، وهذا من الآلهة: فهو كافر مباح الدم، وعلى هذا قتل الحلاج(3).

ويقول شيخ الإسلام في منهاج السنة:«وقد خاطبني مرة شيخ من هؤلاء، وكان ممن يظن أن الحلاّج قال: أنا الحق لكونه كان في هذا التوحيد، فقال: الفرق بين فرعون والحلاَّج أن فرعون قال:﴿ H I J K ﴾(4) وهو يشير إلى نفسه، وأما الحلاج فكان فانياً عن نفسه، والحق نطق على لسانه، فقلت له: أفصار الحق في قلب الحلاج ينطق على لسانه، كما ينطق الجني على لسان المصروع. وهو سبحانه بائن عن قلب الحلاج وغيره من المخلوقات، فقلب الحلاج أو غيره كيف يسع ذات الحق ؟ ثم الجنّي

---

(١) سورة النساء آية: (١٧١).

(٢) سورة المائدة آية: (١٧).

(٣) انظر: الفتاوى (٢/٤٨٠-٤٨١).

(٤) سورة النازعات آية: (٢٤).

يدخل في جسد الإنسان، لا يكون الجني في قلبه فقط، فإن القلب كل ما قام به فإنما هو عرض من الأعراض، ليس شيئاً موجوداً قائماً بنفسه ... وهؤلاء قد يدَّعون أن ذات الحق قامت بقلبه فقط، فهذا يستحيل في حق المخلوق فكيف بالخالق جل جلاله؟»[(١)].

ويقول الذهبي – رحمه الله – في شأن الحلاج:«فهو صوفي الزي والظاهر، متستر بالنسب إلى العارفين، وفي الباطن: فهو من صوفية الفلاسفة أعداء الرسل، كما كان جماعة في أيام النبي صلى الله عليه وسلم منتسبون إلى صحبته وإلى ملته، وهم في الباطن من مردة المنافقين، قد لا يعرفهم النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعلم بهم، قال تعالى:﴿ < = > ? @ B C D F G H I J L M O P Q R S T U ﴾[(٢)] فإذا جاز على سيد البشر أن لا يعلم ببعض المنافقين وهم معه في المدينة سنوات، فبالأولى أن يخفى حال جماعة من المنافقين الفارغين عن دين الإسلام بعده عليه الصلاة والسلام على العلماء من أمته»[(٣)].

❖**مدى تأثر إقبال بالصوفية وبأعلامهم.** كان لنشأة الشاعر محمد إقبال الأولى في بيئة التصوف والتي تنتشر في أرجاء شبه القارة الهندية الأثر الكبير في آرائه الموافقة والمتأثرة بالصوفية وأعلامهم، فقد رأى إقبال أن تغيير النفس وتنويرها بحقائق الإسلام وتبديد الظلمات من جوانبها، إنما يتم بسلوك نفس السبيل التي سلكها المتصوفة من قبل في تزيين أفكارهم للنفس المسلمة وحمل هذه الأفكار إليها على أجنحة الشعر، تلك الأداة السحرية الخلابة التي تفعل الأعاجيب بالإنسان من حيث كونها اللغة التي يفهمها الوجدان ويتأثر بها أيما تأثير.

---

(١) انظر: منهاج السنة (٣٧٨/٥ – ٣٧٩).

(٢) سورة التوبة آية : (١٠١).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٣٤٣/١٤).

ومن الرموز الصوفية الذين تأثر بهم إقبال وكان لهم الأثر الواضح في انحراف فكره وتناقض آراؤه العقدية، جلال الدين الرومي، والحسين بن منصور الحلاج، ومحي الـــدين بن عـــربي[1]، وأبو يزيد البسطامي[2]، فكان كثيراً ما يُشيد ويتغنى بهم في شعره، وسنذكر في هذا المقام بعض الأمثلة على ذلك.

أولاً تأثر إقبال بجلال الدين الرومي: كان إقبال شديد التأثر بجلال الدين الرومي، بل يعتبره المرشد الروحي والحقيقي له، فنجدُ صوته يجلجل صداه كثيراً في شعره، فمثلاً يقول في ديوان جناح جبريل تحت عنوان "المُرشِدُ والمُرِيد" [3]:

قـــالَ إقبـــالُ لـــرومـــيٍّ يـــا إمـــامَ العـــاشقيـــن

لـــم يـــزلْ يمـــلأُ سمعـــي ذلـــكَ القـــول المُبيـــن

فالطابع العام على هذه القصيدة أسلوب المحاورة بين الشاعر محمد إقبال وجلال الدين الرومي، فالمريد إقبال، والمرشد الرومي، فيسأل إقبال بالأُردية والرومي يجيب عن كل سؤال من المثنوي بالفارسية، وهذا كله من الصور الخيالية التي يمثلها إقبال في هذه الأبيات.

كان لمثنوي جلال الدين الرومي الدور الكبير في البناء الفكري والروحي لإقبال، ذلك المثنوي الذي قال عنه عبد الرحمن الجامي (ت٨٩٨هـــ) أنهُ القرآن في اللسان

---

(١) ابن عربي: أبو بكر محمد بن علي بن عربي الطائي الأندلسي المعروف بمحي الدين بن عربي، فيلسوف من غلاة الصوفية، قال عنه الذهبي: قدوة القائلين بوحدة الوجود، وقال عنه العز بن عبد السلام: شيخ سوء كذاب، يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجاً، أنكر عليه أهل الديار المصرية " شطحات " صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، له نحو أربعمائة كتاب ورسالة منها: روح القدس وشجرة الكون، ومفاتيح الغيب، ومن أخبث ما ألف ابن عربي كتاب الفصوص مليء بالكفر والطوام والباطنية والإلحادية. توفي بها سنة ٦٣٨هـــ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٩/٢٣)؛ الأعلام (٢٨١/٦).

(٢) البسطامي: أبو يزيد طَيْفور بن عيسى بن سَرُوشان، كان جده سَرُوشان مجوسياً فأسلم، أخذ أبو يزيد مذهب وحدة الوجود عن رجل هندي اسمه أبو علي السندي وكان حديث عهد بالإسلام، توفي ٢٦١هـــ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٨٦)؛ الأعلام (٢٣٥/٣).

(٣) انظر: ديوان جناح جبريل (٥٢٣/١).

الفارسي. والسبب الأساسي الذي دعا إقبال إلى التمسك بالرومي ومثنويه أنه رأي فيه صرخة مدّوية ضد العقليين الذين تمسكوا بزمام العقل وأهملوا الجانب الروحي، فالرومي كان قد كتب مثنوية ضد الموجة العقلية الإغريقية التي اجتاحت العالم الإسلامي في عصره، مما دعا إقبال إلى مواصلة هذه الثورة والتمسك بالجانب الروحي والوجداني من دون إهمال العقل. وكان إقبال يرى – كما رأى الرومي – أنه بالمحبة والعشق تدوم الحياة وتسمو الذات وتعلو، وأنه لا يحدث تطوراً إلا بهما (١).

لقد تأثر إقبال بكثير من الشعراء وحكماء الشرق والغرب إلاَّ أنه لم يتأثر بأحد منهم مثلما تأثر بجلال الدين الرومي، وهنا يبرز سؤال: **لماذا تأثر إقبال بجلال الدين الرومي لهذه الدرجة؟** نقول إن أول ما يبدو إلى الفهم في هذا الصدد وجه الشبه بين الطابع العام لعصر الرومي وعصر إقبال، ففي القرن السابع الهجري عصف الغزو المغولي بالعالم الإسلامي، فقوض معالم الحضارة، وأزعج الآمنين في ديارهم، وكان الغنم للغالبين والغرم على المغلوبين المنكوبين، وخيم على غرب آسيا جو عبوس يخلع القلب رعباً من المهالك والمظالم والخطوب ... كما أغار الصليبيون على العالم الإسلامي طامعين في مقدساته، وامتلأت أرجاء الأناضول بالزوايا والتكايا، حيث فر الخلق بأرواحهم من شرور دنياهم ووجدوا في التصوف سلوتهم ... وكان لجلال الدين أثر عظيم في إقامة ثورة صوفية في الأناضول، بفصاحة لسانه وسحر بيانه وما له من قدرة على الإقناع والإلزام بالحجة، وما أوتي من حدة في الفهم وسعة في العلم، ونحن نلمح بعض الشبه بين عهد جلال الدين الرومي وعهد إقبال، الذي غلب فيه المستعمرون على أرض الإسلام فاستأثروا بخيراتها وثمراتها، وساروا في أهلها سيرة الذئب، ودخلوا عليهم بحضارتهم المادية التي دمرت قيمهم الروحية، فقام إقبال فيهم لبعث هممهم وشحذ عزائمهم وتذكيرهم بدينهم وهدى قرآنهم... (٢).

(١) انظر: روائع إقبال ص (٥٩)؛ فلسفة الذات في فكر محمد إقبال ص (١٢٠)

(٢) انظر: الاتجاه الإسلامي في شعر محمد إقبال ص (٩٣-٩٤).

ومن شدة تأثر وإعجاب إقبال بجلال الدين الرومي فقد سُمِّيَ إقبال برومي هذا العصر وذلك عندما وضع كل قصائده الملحمية بنفس أسلوب ووزن قصائد الرومي[1]، بل إن إقبال يقتبس في أبياته كثيراً من مثنوي الرومي، فمثلاً افتتح منظومة أسرار الذات بمقطوعة للرومي تيمناً وإشارة إلى ما تحتويه المنظومة.

يقول إقبال في مستهل ديوانه الأسرار والرموز[2]:

رأيتُ الشَّيخ بالمصباحِ يسعى لـه في كلِّ ناحيةٍ مجال

يقول: مَللتُ أنعاماً وبَهْماً وإنساناً أريد، فهل يُنال؟

وكذلك أورد في القسم الثاني من ديوان الأسرار والرموز "رموز نفي الذات" بيتاً للرومي فيقول [3]:

جِدْ بنَفْيِ الذَّاتِ، لا تَهابْ

اجْتَهِدْ، واللهُ يَهْديكَ الصَّواب

واعترف الشاعر محمد إقبال صراحة بتأثير الرومي فيه إذ يقول في بيت يخاطب فيه أحد المأخوذين بسحر الغرب:« قد سحر عقلك سحر الافرنج، فليس لك دواء إلا لوعة في قلب الرومي، وحرارة إيمانه، لقد استنار بصري بنوره ووسع صدري بحراً من العلوم» [4].

(١) انظر: مجلة فكر وفن، عدد: (٣٢)، مقالاً بعنوان: إقبال في سياق حركات الإصلاح الهندية الإسلام، بقلم: آنا ماري شيمل ص (٤٧).

(٢) انظر: ديوان الأسرار والرموز (١/١٢٥).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/١٨٦).

(٤) انظر: روائع إقبال ص (٦٠).

ويقول في قصيدة له بعنوان في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم:«لقد أذنت في الحرم، كما أذن بالأمس جلال الدين الرومي، فقد تعلمت منه أسرار الروح والحب، لقد كان ثائراً على فتن عصره، وكنت ثائراً على فتن عصري»(١).

ويقول إقبال معترفاً بإمامة جلال الدين الرومي وأثره فيه في ديوان الأسرار والرموز(٢):

صيَّـــر الــــرومـــيُّ طـــيني جـــوهرا   مـــنْ غُبـــاري شـــاد كَونـــاً آخـــرا

ويذكر الدكتور خليفة عبد الحكيم أوجه الشبه بين الرومي وإقبال فيقول:« هناك تشابهاً كبيراً بين مولانا الرومي والعلامة إقبال، فكلاهما شاعر على أعلى مستوى، وكلاهما شاعر إسلامي، والشعر عند كليهما فلسفي، وكلاهما يفضل التجربة على العقل، وكلاهما يعمل على دعم الذات بدلاً من إنكار حقيقتها، وكلاهما أقتنع بأنه لا تعارض مطلقاً بين إثبات الذات ونفيها ... وكلاهما يؤمن بأنه لا حدود لرقي الإنسان وكلاهما يؤمن الخلود ... إلخ»(٣).

يقول الدكتور محمد السعيد جمال الدين – ويعد أحد المهتمين بالفكر الإقبالي – عند كلامه عن الرومي في ديوان رسالة الخلود:« إقبال لم يقف عند مجرد فهم الرومي فحسب، وإنما استوعب أفكاره وهضمها حتى أصبحت جزءًا لا يتجزأ من فكره»(٤).

❖**ثانياً: تأثر إقبال بالحسين بن منصور الحلاج:** بدأ تأثر الشاعر محمد إقبال بالحلاج من خلال دفاعه القوي عن مقولته المشهورة: **" أنا الحق"**، وكان يعدُّه العاشق الشهيد الذي فسر وحدة الوجود، ولكنه يعود فيما بعد ليكتشف فيه داعية إلى

---

(١) انظر: المصدر السابق ص (١٩٧).

(٢) انظر: ديوان الأسرار والرموز (١٣٠/١).

(٣) انظر رسالة دكتوراة بعنوان: رسالة الخلود أو جاويدنامه للشاعر والمفكر الإسلامي الكبير محمد إقبال، ترجمها عن الفارسية وشرحها وعلق عليها الدكتور محمد السعيد جمال الدين، المدرس بكلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٤م. ص (٣٠).

(٤) انظر: المصدر السابق ص (٢٩).

عقد علاقة ذاتية حركية وحيوية بين الإنسان والله عز وجل، وصوفياً أراد إيقاظ المسلمين من سباتهم الروحي، وتوجيههم إلى المعنى الداخلي للوحي الإلهي، وهو يدعو معاصريه من أهل الهند والمسلمين أن يتأسوا بقصة استشهاده وينفضوا عن أنفسهم غبار الخمول ويستيقظوا من سباتهم على الرغم من انتقاداته المريرة له أحياناً (١).

يقول محمد إقبال في ديوانه رسالة الخلود متأثراً بزهد الحلاج في الدنيا تحت عنــوان" الحلاج" (٢):

إنَّما الـــزَّهــدُ فـــي الـــدُّنـــيا الغَـــرِيبْ

ذلـــكَ العــــاشِقُ فـــي العُقبـــى الغَـــرِيبْ

يلتقي الشاعر محمد إقبال في ديوانه رسالة الخلود بأرواح ثلاثة ممن اتهموا في دينهم واعتبرهم معاصروهم من الزنادقة، وهم: حسين بن منصور الحلاج، والشاعر الهندي أسد الله غالب، وشهيدة المذهب البابي في إيران قرة العين الطاهرة، وقد أثار إقبال في هذه المنظومة عدة أسئلة في غاية الأهمية تتعلق بالوجود والعدم وبالقدر وبالحقيقة المحمدية وإبليس، وأجابه الحلاج عنها، واتفق إقبال معه في بعضها واختلف في بعضها الآخر(٣).

وآخيراً يرى الباحث أن وجه إعجاب إقبال بالحلاج – غير النـــزعة الصوفية – هو ما أوتي من بلاغة في البيان، وفصاحة في اللسان، ولين في الخطاب، ومظهر جذاب، فانخدع به إقبال، وفئام من المسلمين، فمالوا إليه وأصغوا إلى قوله وتدليسه عليهم بالإيمان والاهتداء.

(١) انظر: فلسفة إقبال ص (٣٩).

(٢) انظر: ديوان رسالة الخلود (٢/٢٦٥).

(٣) انظر: ديوان رسالة الخلود، ترجمة محمد السعيد جمال الدين، ص (٢٠٤-٢٠٥).

وفي ختام هذا المطلب فإنَّ الشاعر محمد إقبال في طرحه ومناقشته للفكر الصوفي لم يمثِّل مدرسة صوفية مرجعية في شبه القارة الهندية له أتباع ومريدون كأقطاب الصوفية، ولكنه يوافق الفكر الصوفي في كثير من المسائل ومنها التي أشرت إليها في بداية المطلب، فالنــــزعة الصوفية متأصلة في فكره وجملة من آرائه العقدية، فإقبال يرى التصوف الإسلامي كما عبر عنه كثيراً في تراثه الشعري والنثري؛ بيد أننا لا ننكر نقد إقبال القاسي في بعض المواضع للتراث الصوفي الأعجمي– كما سماه إقبال – الذي يرمي إلى تحقيق حالة السكر وإذلال النفس، وإنكارها، ومحوها، كما لم يقبل الشاعر النظرية القائلة بأن نظام الصوفي متقشف مهمل للعالم، ومحطم للاستقرار والحياة...وكذلك كان يرى أن الاتجاهات الصوفية التي تناولها شعراء الفرس هي أيضاً من الأسباب الضارة بقوة المسلمين العملية.

المطلب الثاني:

رأي محمد إقبال في الشيعة وتقويمه[1].

كان المسلمون في شبه القارة الهندية يعانون الذل والهوان من أولئك الشرذمة من الهندوس، ومما خلفه الاستعمار الانجليزي من دمار بشري وعقدي وفكري وسياسي، فأدرك الشاعر محمد إقبال ذلك كله وبدأ يبث بشاعريَّته وما يمتلكه من مكانة في قلوب المجتمع الهندي روح الحماس والمطالبة الشديدة باستقلال المسلمين في دولة تحكمها الشريعة الإسلامية الغراء، فحصل لهم ذلك بعد وفاة إقبال بعشر سنين تقريباً في ١٤أغسطس ١٩٤٧م، وفرحوا بذلك الاستقلال إلا أنه كان يخالطهم نسبة قليلة من الشيعة لا تتجاوز آنذاك خمسة بالمائة، وكان لهم التأثير الواضح في السياسة والاقتصاد والحركة الثقافية الإعلامية فقد تقلَّد أعيان من الشيعة العديد من المراكز الحساسة بدءاً بالوزارات، ومروراً بمراكز الدراسات والتخطيط والإعلام والجامعات والأحزاب السياسية وانتهاءً بالنفوذ الاقتصادي والتجاري والثقافي[2].

تحدث الشاعر محمد إقبال عن الفرقة الإسماعيلية بشيء من التفصيل، ووصفها بأنها حركة فارسية بوجه خاص، وأكد أن ثمة تشابهاً بين الإسماعلية وبين الجماعة المعروفة بإخوان الصفا، وأشار إلى مؤسس الإسماعلية في بلاد فارس.

(١) الشيعة هم الذين شايعوا علياً – رضي الله عنه – على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً، وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله. انظر: والملل والنحل (١٦٩/١- ١٧٠)؛ مقالات الإسلاميين (٦٥/١)؛ أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، د. ناصر بن عبد الله القفاري، الناشر: دار الرضا، مصر، الطبعة الثانية١٤٢١هـ.(١٣٧/١).

(٢) انظر تقرير قامت به مجلة البيان بعنوان: باكستان أقلية ساهرة وأكثرية نائمة، في عددها: (٤٣)، ربيع الأول ١٤١٢هـ / أكتوبر ١٩٩١م . ص (٩٥-١٠٣).

يقول إقبال:«كانت الحركة الإسماعيلية واحدة من سلسلة المعارك المتصلة التي شنها الفارسي المستقل الفكر ضد القيم الدينية والسياسية الإسلامية، وقد اكتسبت الفرقة الإسماعيلية، التي بدأت في الأصل شعبة من المذهب الشيعي، صبغة عالمية بجهود عبد الله بن ميمون القداح...»[1].

فإقبال يرى أن نشأة الإسماعيلية في بلاد فارس على يد عبد الله بن ميمون القداح[2]، الذي يعتبر من أبرز المؤسسين للفرقة الإسماعيلية [3] التي ظهرت في جنوبي فارس سنة (٢٦٠هـ)، وقام بنشر المبادئ الإسماعيلية هناك، وعمل على تدبير أمر هذه الدعوة ونشرها واستمالة الناس إليها، وظهرت بوادر هذه الفتنة ونبتت نواة هذه الطائفة في زمن الخليفة العباسي المأمون [4]، وممن سعوا إلى تأسيس الإسماعيلية ميمون

(١) انظر: تطور الفكر الفلسفي في إيران ص (٥٤).

(٢) القداح: عبد الله بن ميمون بن داود المخزومي بالولاء، المعروف القداح، كان مولى لجعفر بن محمد الصادق، يعتبره الإمامية من فقهائهم ورجال أسانيدهم، ومن دعاتهم، توفي سنة ١٨٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٩/٣٢٠) (١٤٨/١٥)؛ تهذيب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: خليل بن مأمون شيحا وآخرين، الناشر: دار المعروفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م. (٢٦٦/٣).

(٣) الإسماعيلية: تنسبت إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، وهي إحدى فرق الشيعة الباطنية، وتفرعت من الشيعة الإمامية، فالإسماعيلية في ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام، وتشعبت فرقها وامتدت عبر الزمان حتى وقتنا الحاضر، وحقيقتها تخالف العقائد الإسلامية الصحيحة، وقد مالت إلى الغلو الشديد لدرجة أن الشيعة الاثنى عشرية يكفرون أعضاءها، ومن معتقدات الإسماعيلية أن الظاهر من نصوص الوحي قشور، والتأويل هو اللب، ولا يصل إلى اللب إلا الخواص دون العوام، ويؤول أمر الإسماعيلية إلى تعطيل الشريعة وسقوط التكاليف. انظر: الفتاوى (١٦٢/٤-١٦٣)؛ الملل والنحل (٢٢٦/١-٢٢٨)؛ الموسوعة الميسرة (٣٨٦/١)؛ الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص (٣١) وما بعدها، الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، بدون تاريخ طبعة؛ مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د. ناصر بن عبد الله القفاري، الناشر: دار طيبة، الرياض، الطبعة السابعة ١٤٢٤هـ. ص (١٤٧/١-١٥٧).

(٤) المأمون: عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، سابع خلفاء بني العباس في العراق، وأحد أعاظم الملوك، كان فصيحاً مفوهاً، واسع العلم، محبا للعفو، سعى لترجمة كتب الفلاسفة مثل كتب أفلاطون، وأرسطوطاليس، وبقراط، وغيرهم، توفي ٢١٧هـ. انظر: الأعلام (١٤٢/٤).

بن ديصان [1] المجوسي الزنديق المتستر بالتشيع لآل البيت، والذي كان يظهر الرفض ويبطن الكفر المحض، وكذلك محمد بن الحسين المعروف بدندان المتفلسف المنجم الشعوبي، الذي كان يرى أن للكواكب تدبيراً في الكون، وكان يسعى لعودة دولة المجوس ويتنبأ بذلك ويتمنى أن يكون ذلك على يديه. وقد اجتمع الثلاثة في سجن في العراق، وهناك وضعوا قواعد المذهب الإسماعيلي، ولما خرجوا بدأوا بنشر دعوتهم في جبال الأكراد، وبلاد المغرب وفي أهل البحرين، ثم أهل اليمن، وقد تمكنت الدعوة الباطنية من الانتشار حتى دخل في دعوتهم بعض كبار الدولة آنذاك، ومن خواص الخليفة العباسي وهو القائد المسمى بالأفشين [2] [3]. والجدير بالذكر أن المذهب الإسماعيلي ما زال له بقية إلى يومنا هذا بين كثير ممن يدعون الإسلام.

كان الشاعر محمد إقبال شديد الحب والتعلق بآل البيت رضوان الله عليهم وعلى الصحابة أجمعين، فكثيراً ما تحدث في شعره عن علي بن أبي طالب وشجاعته، والحسين واستشهاده، وفاطمة الزهراء وطهارتها وعفتها، بيد أن هذا التعلق والحب لآل البيت لا يصل إلى الاعتقاد بأصول الرافضة الباطلة المنحرفة.

نشير في هذا المقام إلى بعض الأبيات التي نظمها الشاعر محمد إقبال في مدحه لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) ميمون بن ديصان: أبو شاكر ميمون بن داود بن سعيد القداح، اختلف في اسم أبيه فقيل ديصان وقيل غيلان وقيل داود، ويعتبر رأس الفرقة الميمونية من الإسماعيلية، يستتر بالتشيع، ويقال أنه كان مجوسياً زنديقاً، توفي سنة ١٧٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤٨/١٥).

(٢) الأفشين: حيدر بن كاوس، قائد تركي، كان بطلاً شجاعاً مقداماً مطاعاً، دخل في خدمة الخليفة المأمون ثم في خدمة المعتصم، لعب دوراً هاماً في إخماد الثورات التي اندلعت ضد الدولة العباسية، توفي سنة ٢٢٦هـ. انظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، لأبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣. (٩١/٢).

(٣) انظر: الملل والنحل (٢٢٨/١) وما بعدها؛ الموسوعة الميسرة (٣٨٦/١ - ٣٩٢)؛ الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، د.سعيد بن ناصر الغامدي، الناشر: دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الثانية١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م. (٦٩٣/٢-٦٩٥).

يقول إقبال في ديوان رسالة الخلود تحت عنوان "الحلاج" (١):

ويــلُ درويــشٍ بفيــه قــدْ جَــرَتْ ثــمَّ ضــمَّ شفتيـــه أوْ صَمــت

إنــَّه لـــم يُجـرِ حُكْـــمَ ربَّــه ما الشَّعيــرُ؟ حَيْدرٌ فــي حربــه؟

طلــب الــزُّهد تحــاشى خيبـــرا راهبــاً أضحى، مليكٌ يا تــرى

ويقول في ديوان صلصلة الجرس تحت عنوان "حديث الروح" (٢):

ومَنِ الأُلــى حَملُــوا بعزم أكُفِّهــمْ بابَ المدينةِ يــومَ غــزوَةِ خَيْبَــرا

فإن الشاعر يشير في الأبيات السابقة إلى أن أكل خبز الشعير رمزٌ إلى شدة التقشف والقناعة من الدنيا بأقلِّ قليلها. وحيدر هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب المشهور بالقوة وشدة البأس في القتال، ويعطي الشاعر مثالاً على قوته وشجاعته وبأسه بموقفه يوم غزوة خيبر – رضي الله عنه –.

ونظم الشاعر محمد إقبال في ديوان الأسرار والرموز أبياتاً يبينُ فيها أنَّ فاطمة الزهراء أسوة كاملة للنساء المسلمات فيقول (٣):

قـــرَّة العين لخيـــر الأوَّليـــــن خـــاتــمِ الــرُّسْلِ، وخيرِ الآخريــن

وهي زوجُ المرتــضى ذا البــطلِ أســـــد اللهِ الحكيـــــم الفيْصـــــلِ

وهـــي أمُّ السَّيـــدين الأكــرمَين حســـــــنٍ خيرِ حليـــــمٍ وحُسَـــين

زهـــرةٌ في روضة الصدق البتولْ أســـوةُ النَّســوة فــي الحــقّ البتــولْ

دمعُهـــا من خشية الله جــرى فـــي مصلاَّهـــا يفوقُ الجــوهــرا

---

(١) انظر: ديوان رسالة الخلود (٢/٢٦٤).

(٢) انظر: صلصلة الجرس (١/٩٥).

(٣) انظر: ديوان الأسرار والرموز (١/٢٣٥ – ٢٣٦).

وفي ختام المطلب فإن الشاعر محمد إقبال لم يكن له طرح شمولياً عن الشيعة وعقائدهم المنحرفة الباطلة – فيما وقفت عليه –، وإن كان لإقبال علاقات وزيارات مع دولة إيران الشيعية، والذي يظهر لي أن تلك الزيارات كانت لغرض الثقافة الأدبية والسياسية فقط، وليس لها صلة في جوانب عقدية وفكرية، فزيارته الأدبية كانت لمواكبة الثقافة الشعرية الفارسية، والعشق لأدابها ولغتها، وما تقدم من آثار فنية رائعة، وكان لتلك الزيارات الأثر الواضح في نتاجه الشعري وطرحه الفكري خاصة في رسالته للدكتوراه التي كانت بعنوان: " **تطور الفكر الفلسفي في إيران** "، كما أن لإقبال ستة دواوين بالفارسية وقد أشرنا إليها في بداية البحث، وصرَّح إقبال شخصياً في إحدى رسائله بولعه بالشعر الفارسي وبذل جهداً كبيراً ومعاناة في سبيل إحراز مكانة في الشعر الفارسي، فقد نزل إقبال ميدان الشعر الفارسي شاعراً فحلاً، وجارى شعراء إيران وقد ثبت بين شعراء إيران الكبار في عصره إنه واحد منهم، عبَّر عنه أحد الكُتَّاب بقوله: إقبال هو واحد من كبار شعراء الفارسية المعدودين فهو نجم من نجوم سماء العرفان اللامعة الذين نادوا بالمعرفة والحرية والنضال والجهاد، وحددوا أهداف الأمة الإسلامية ودفعوا الشعوب للحركة مثل حافظ – الشيرازي – والحلاج وغيرهما. وممن قوَّموا النفس الإنسانية عن طريق تحديد ذاتها وإمكاناتها وأهدافها الوجودية وحدائها إلى مقامها المحمود في الدنيا والآخرة (١).

---

(١) انظر: مجلة التراث العربي، مقالاً بعنوان: اليقظة الإسلامية في فارسيات إقبال، بقلم: صادق آئينه وند، العدد: (٢٣)، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م. ص (٢١).

المطلب الثالث:

رأي محمد إقبال في المعتزلة وتقويمه:

عرف العالم الإسلامي في تاريخه الحديث طبقة من المفكرين تسعى إلى إعادة النظر في تعاليم الإسلام وتأويلها تأويلاً جديداً، ومن هذا المفهوم قامت المدرسة العقلية الحديثة على أنقاض المدرسة العقلية القديمة وورثت العديد من أفكارها، وقد بدأت معالم هذه المدرسة بالظهور على يد السيد أحمد خان في شبه القارة الهندية، ثم على يد جمال الدين الأفغاني[1]، وأخذت تترسخ على يد تلميذه وصاحبه محمد عبده، وتأثر بهذه المدرسة وأفكارها كثيرٌ من العلماء والمفكرين والأدباء المعاصرين في العالم الإسلامي مثل محمد رشيد رضا [2] والشاعر محمد إقبال [3] وغيرهما.

---

(١) الأفغاني: جمال الدين بن صفدر بن علي بن محمد الأفغاني، (صفدر لفظ فارسي يطلقه الشيعة لقباً على الإمام علي)، وهناك حقائق يذكرها بعض الباحثين تدل على أن هذا المتأفغن ماسوني، إيراني مازنداني من أجلاف الشيعة نفذ كثيراً من المؤامرات الخطيرة في العالم الإسلامي بسرية تامة، وعملت الماسونية واليهودية على تصويره بطلاً وحكيماً من حكماء الإسلام، توفي الأفغاني ١٣١٤هـ. انظر: الأعلام (٦/١٦٨)؛ الموسوعة العربية العالمية (٨/٤٤٤).

(٢) رضا: السيد محمد رشيد بن السيد علي رضا بن السيد محمد شمس الدين بن السيد بهاء الدين بن السيد منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، صاحب مجلة المنار، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، لازم الشيخ محمد عبده، وتتلمذ عليه، وأصبح مرجع الفتيا، من أشهر آثاره: مجلة المنار أصدر منها ٣٤ مجلدا، وتفسير القرآن الكريم طبع اثنا عشر مجلداً منه، ولم يكمله، وشبهات النصارى وحجج الإسلام، وغيرها الكثير، توفي ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م. انظر: الأعلام (٦/١٢٦).

(٣) من الذين تأثروا بهذه المدرسة العقلية الحديثة خير الدين التونسي، وعبد الرحمن الكواكبي، وسعد زغلول، ومصطفى المراغي، ومحمود شلتوت، ومحمد فريد وجدي، وحسن الترابي، وفهمي هويدي، ومحمد عمارة، وغيرهم. انظر: التجديد في الفكر الإسلامي ص (٣٦٤).

تحدث الشاعر محمد إقبال في رسالته للدكتوراه "تطور الفكر الفلسفي في إيران" عن بداية ونشأة المعتزلة، وعن بعض أعلام الفكر الاعتزالي كواصل بن عطاء [1]، وأبو الهذيل العلاَّف [2]، و أبو إسحاق النظَّام [3]، وأبو علي الجبائي[4] وغيرهم.

يقول إقبال:«في خلال النصف الأول من القرن الثاني الهجري يقوم واصل بن عطاء بوضع أصول الاعتزال، تلك الحركة العقلية التي كانت واحدة من أعظم الحركات إثارة في تاريخ المسلمين...»[5].كانت نشأة الاعتزال ثمرة تطور تاريخي لمبادئ فكرية وعقدية وليدة النظر العقلي المجرد في فهم العقيدة الإسلامية، وقد نتج ذلك عن التأثر بالفلسفة اليونانية والهندية والعقائد اليهودية والنصرانية التي انحرفت عن عقيدة أهل السنة والجماعة. وقد نشأة المعتزلة في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وأمَّا ظهور المعتزلة فقد برزت كفرقة فكرية على يد واصل بن عطاء كما ذهب إلى ذلك إقبال، وواصل بن عطاء كان تلميذاً للحسن البصري، ثم اعتزل حلقة الحسن بعد قوله بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين أي ليس مؤمناً ولا كافراً ولكنه فاسق، هذه حاله في الدنيا أما في الآخرة فهو لا يدخل الجنة لأنه لم يعمل بعمل

(١) واصل بن عطاء: أبو حذيفة واصل بن عطاء الغَزَّال المخزومي البصري، رأس المعتزلة وإمامهم، ومن كبار نظارهم، كان تلميذاً للحسن البصري، ثم اعتزل حلقة الحسن بعد قوله بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، وتنسب إليه الواصلية، توفي سنة ١٣١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/٤٦٤)؛ شذرات الذهب (٢/١٣٦-١٣٧).

(٢) العلاف: أبو الهذيل العلاف، محمد بن الهذيل البصري، من كبار نظار المعتزلة، طالع كثيراً كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة، عرف بفرط ذكائه ودهائه، توفي سنة ٢٢٦هـ وقيل ٢٣٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١١/١٧٣)؛ شذرات الذهب (٢/١٦٥).

(٣) النَّظَّام: أبو إسحاق إبراهيم بن سيَّار بن هانئ النظام البصري، معتزلي متكلم، تأثر بالفلسفة اليونانية، رأس الفرقة النظامية، صاحب القول بالطفرة التي اشتهرت بطفرة النظام، له مؤلفات منها: الطفرة، والوعد، والجواهر والأعراض وغيرها، توفي سنة٢٣١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/٥٤١).

(٤) الجبائي: أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجُبَّائي، من أئمة المعتزلة في البصرة، كان ربيب أبو الحسن الأشعري، وتنسب له الطائفة الجبائية، له بعض الآراء المخالفة للمذهب الاعتزالي، من مؤلفاته: الأسماء والصفات، والتفسير الكبير، وغيرهما، توفي سنة ٣٠٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/١٨٣)؛ شذرات الذهب (٤/١٨).

(٥) انظر: تطور الفكر الفلسفي في إيران ص (٤٨).

أهل الجنة بل هو خالد مخلد في النار، ولا مانع عندهم من تسميته مسلماً باعتباره يظهر الإسلام وينطق بالشهادتين ولكنه لا يسمى مؤمناً (١). ونذكر في هذا المطلب أبرز معالم الاتفاق والاختلاف بين آراء محمد إقبال والمدرسة العقلية الحديثة عبر النقاط التالية:

❖**معالم الاتفاق:**

أولاً: إنَّ من أبرز ما في آراء الشاعر محمد إقبال موافقة للمدرسة العقلية الحديثة الموائمة والتوفيق بين النصوص الشرعية والفكر الغربي، وكما مر في بداية المطلب أن المدرسة العقلية الحديثة التي يعتبر إقبال من أبرز رجالاتها تقوم بإعادة النظر في تعاليم الإسلام وتأويلها تأويلاً جديداً. يعبـــر الدكتور محمد البهي عن تأثر إقبال بتلك الآراء بقوله:«إن محمد إقبال رغم جهوده المعروفة في الرد على الحضارة الغربية ظل متأثراً بالمفاهيم الغربية عند محاولة التوفيق بين الإسلام والفكر الغربي...» (٢).

ثانياً: وافق محمد إقبال المدرسة العقلية الحديثة في مسألة النبوة حينما وصفها بـــأنها:« ضرب من الوعي الصوفي »، فالمدرسة العقلية الحديثة تفسر النبوة والرسالة وتناقشها على أنها ظاهرة إنسانية تتعلق بالنشاط الإنساني، لا صلة له بقوى غيبية خارجية، كالملائكة ونحو ذلك.

ثالثاً: تابع محمد إقبال المدرسة العقلية الحديثة في عدم إيمانه بنـــزول عيسى ابن مريم – عليه السلام – آخر الزمان، فمثلاً من أرباب المدرسة العقلية الحديثة الشيخ محمد عبده ينكر أحاديث نزول عيسى ابن مريم آخر الزمان (٣).

---

(١) انظر: الملل والنحل (٥٦/١)؛ المعتزلة وأصولهم الخمسة ص (٢٢-٢٦)؛ الموسوعة الميسرة (٦٩/١-٨٠).

(٢) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص (٤٧٩).

(٣) ينكر الشيخ محمد عبده أحاديث نزول عيسى ابن مريم – عليه السلام – آخر الزمان وبنى إنكاره على طريقين: الأول: أنها أحاديث آحاد متعلقة بأمر اعتقادي والتي لا يؤخذ فيها إلا بالقطعي الذي يورث اليقين. والطريق الثاني: التأويل، وقد تأول محمد عبده نزول المسيح عيسى ابن مريم بغلبة روحه وسر رسالته على الناس. انظر: منهج الشيخ محمد رشيد رضاء في العقيدة، تامر محمود متولي، الناشر: دار ماجد عسيري، جدة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ص (٨٥٩-٨٦٠).

رابعاً: إن أخطر ما في فكر إقبال موافقة للمذهب الاعتزالي هي مسألة التجديد الديني، حيث يرى أنَّ التجديد تغيير بالأصول والثوابت والمسلمات، لا كما يفهمه المسلمون أنه إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة.

خامساً: موافقة إقبال لمذهب المعتزلة في مسألة حرية الإنسان، الذين يرون أن للإنسان مشيئته التامة دون ربطها بمشيئة الله، فإقبال يعتقد اعتقاداً جازماً في مبدأ الاختيار ويحتج به.

❖**معالم الاختلاف:** من أبرز معالم الاختلاف بين الشاعر محمد إقبال والاتجاه العقلاني، أنه لم يوافقهم في اعتمادهم المجرد على العقل في فهم العقيدة الإسلامية، فإقبال لم يجعل العقل الطريق الوحيد للوصول إلى الحقيقة بل التجربة الدينية الصوفية يعتبرها من مصادر المعرفة وليس العقل وحده.

يقول الشاعر محمد إقبال:«كان الاعتزال محاولة لقياس الحقيقة بمقياس العقل وحده...» [(١)].

وفي ختام المطلب فإن الشاعر محمد إقبال ثالث ثلاثة ممّن سعوا إلى النهل من الفكر الاعتزالي العقلاني، والدعوة إلى الحرية الإنسانية، واستنهاض العزائم قصد دفع المجتمع الإسلامي الحديث إلى اليقظة ومسايرة التيار الحضاري العالمي، وهؤلاء الثلاثة الذين سعوا إلى إحياء روح الفكر الاعتزالي مع مطلع القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد إقبال، ولعل هذا الاعتبار راجع إلى النـــزعة العقلية في فكر إقبال وذلك عند تناوله وتحليله لمختلف المسائل العقدية والفلسفية [(٢)].

---

(١) انظر: تطور الفكر الفلسفي في إيران ص (٥٩).

(٢) انظر: محمد إقبال فكره الديني والفلسفي ص (٤١٢-٤١٣).

المطلب الرابع:

رأي محمد إقبال في الأشاعرة وتقويمه:

اشتهر المذهب الأشعري بين كثير من الناس في العالم الإسلامي أنه هو مذهب أهل السنة والجماعة وأن اعتقادهم يمثل اعتقاد السلف، ومن المؤسف أن هذا المفهوم سائد إلى الآن في كثير من البلاد الإسلامية، وقد تصدى للاتجاه الأشعري جملة من العلماء والمحققين من أهل السنة والجماعة ومن أبرزهم شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –، وعمل الأئمة من السلف والخلف على بيان الحق وتمييز مذهب السلف عما يدعيه هؤلاء الأشاعرة من مخالفتهم للسلف الصالح.

تحدث الشاعر محمد إقبال عن أعلام الاتجاه الأشعري بداية بأبي الحسن الأشعري[(١)] حينما تكلم عن نشأته العلمية، وحين وصف حركته بأنها رد فعل قوي تصدَّى للمذهب الاعتزالي، وثنَّى بأبي حامد الغزالي حينما وصفه بالشاك الذي لم تجد روحه القلقة بعد حيرته وتساؤلاته الطويلة اليائسة في صحراء العقلانية القاحلة الخاوية، كما أشار إقبال إلى غيرهما من أكابر الأشاعرة [(٢)].

يقول إقبال:«...أبو الحسن الأشعري الذي درس على شيوخ المعتزلة وحدهم، ثم انطلق يهدم الصرح الذي شادوا بنفس المناهج والدعائم التي قام عليها. فتتلمذ على

(١) الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سالم بن إسماعيل الأشعري، ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري، تربى يتمياً على يد أبي علي الجبائي، ويعتبر الأشعري شيخ وإمام ومنظر المذهب الأشعري، مر بثلاثة أطوار: الاعتزال ثم سلك طرقة ابن كلاب، ثم سلك منهج أهل السنة والجماعة في الجملة، وله العديد من المصنفات منها: الإبانة عن أصول الديانة، ومقالات الإسلاميين، واللُّمَع، والموجز، وغيرها، توفي سنة ٣٢٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/٨٥)؛ شذرات الذهب (٤/١٢٩-١٣٣).

(٢) أشار الشاعر محمد إقبال في كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام، ورسالته للدكتوراه تطور الفكر الفلسفي في إيران إلى عدد من رجالات الأشاعرة غير مما ذكرت مثل الفخر الرازي، ونصير الدين الطوسي، والباقلاني وغيرهم.

الجبائي شيخ المدرسة الاعتزالية الجديدة بالبصرة، ودخل مع شيخه في مجادلات عديدة أنهت علاقتهما الحميمة وانتهت به إلى ترك الاعتزال نهائياً»[1].

نشأ أبو الحسن الأشعري وتتلمذ على عدد من نظَّار وأئمة المعتزلة، منهم شيخ وإمام المعتزلة في البصرة أبو علي الجبائي الذي أخذ عنه علم الجدل والنظر، وأبو بكر القفَّال الشاشي [2] الذي قال عنه ابن عساكر [3]:«كان في أول أمره مائلا عن الاعتدال قائلا بمذاهب أهل الاعتزال»[4]، ولم يشك أحد في أن الأشعري نشأ على مذهب المعتزلة، وأنه أقام على ذلك فترة طويلة من الزمن، وليس أدل على ذلك من اعترافه حين قال:«وألفنا كتابا كبيرا في الصفات سميناه كتاب: الجوابات في الصفات عن مسائل أهل الزيغ والشبهات، نقضنا فيه كتابا كنا ألفناه قديما فيها على تصحيح مذهب المعتزلة، لم يؤلف لهم كتاب مثله، ثم أبان الله سبحانه لنا الحق فرجعنا عنه فنقضناه وأوضحنا بطلانه» [5]. يقول ابن عساكر:«كان الأشعري تلميذ الجبائي يدرس عليه فيتعلم منه ويأخذ عنه، لا يفارقه أربعين سنة، وكان صاحب نظر في المجالس، وذا إقدام على الخصوم، ولم يكن من أهل التصنيف، وكان إذا أخذ القلم يكتب وربما ينقطع وربما يأتي بكلام غير مرضي، وكان أبو علي صاحب تصنيف وقلم،

---

(١) انظر: تطور الفكر الفلسفي في إيران ص (٥٨).

(٢) القفال: أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل بن الشاشي الشافعي القفال الكبير، فقيه أصولي لغوي، إمام وقته بما وراء النهر، يقول عنه أبو الحسن الصفار: سمعت أبا سهل الصعلوكي وسئل عن تفسير أبي بكر القفال فقال: قدسه من وجه، ودنسه من وجه، أي: دنسه من جهة نصره للاعتزال، من مؤلفاته: شرح الرسالة؛ دلائل النبوة؛ محاسن الشريعة، وغيرها، توفي ٣٦٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٨٣/١٦) ، شذرات الذهب (٣٤٥/٤).

(٣) ابن عساكر: أبو القاسم علي بن أبي محمد الحسن بن هبة الله أبي الحسن بن عبد الله بن الحسين المعروف بابن عساكر الدمشقي، الملقب ثقة الدين كان محدث الشام في وقته، ومن أعيان الفقهاء الشافعية، له مؤلفات من أشهرها تاريخ دمشق؛ الموافقات؛ مناقب الشبان، وغيرها، توفي سنة ٥٧١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥٥٤/٢٠)؛ شذرات الذهب (٣٩٥/٦).

(٤) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى١٤١٥هـ/١٩٩٥م. (٣٤٢/١).

(٥) انظر: المصدر السابق (٣٦٢/١).

إذا صنف يأتي بكل ما أراد مستقصي، وإذا حضر المجالس وناظر لم يكن بمرض، وكان إذا دهمه الحضور في المجالس يبعث الأشعري ويقول له نب عني، ولم يزل على ذلك زمانا» [1]، ويذكر ابن عساكر أن أبا القاسم حجاج بن محمد الطرابلسي قال:«سألت أبا بكر إسماعيل بن أبي إسحاق الأزدي القيرواني المعروف بابن عزرة عن أبي الحسن الأشعري فقلت له: قيل لي عنه: أنه كان معتزليا، وأنه لما رجع عن ذلك أبقي للمعتزلة نكتا لم ينقضها، فقال لي: الأشعري شيخنا وإمامنا ومن عليه معولنا، قام على مذاهب المعتزلة أربعين سنة، وكان لهم إماما، ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوما، فبعد ذلك خرج إلى الجامع فصعد المنبر وقال: معاشر الناس إني إنما تغيبت عنكم في هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة ولم يترجح عندي حق على باطل ولا باطل على حق فاستهديت الله تبارك وتعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه وانخلعت من جميع ما كنت اعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به ودفع الكتب إلى الناس فمنهما اللمع وكتاب أظهر فيه عوار المعتزلة سماه بكتاب كشف الأسرار وهتك الأستار»[2]. ويذكر أبو نصر السجزي [3] عن الأشعري قوله:« أقام الأشعري أربعين سنة على الاعتزال، ثم أظهر التوبة، فرجع عن الفروع وثبت على الأصول»[4]، أي أصول المعتزلة التي بنوا عليها نفي الصفات، مثل دليل الأعراض وغيره. فمن خلال النصوص السابقة تبين لنا المستوى الذي وصل إليه الأشعري في مرحلة الاعتزال، وكيف أنه صار يؤلف الكتب على مذهبهم.

---

(١) انظر: المصدر السابق (٣٧١/١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٣٦٣/١-٣٧٥).

(٣) السجزي: أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوايلي البكري السجستاني، من أئمة أهل السنة والجماعة، وشيخ الحرم المكي، له مؤلفات منها: الرد على من أنكر الحرف والصوت، والإبانة في الرد على الزائغين في مسألة القرآن، وغيرهما، توفي سنة ٤٤٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٦٥٤/١٧)؛ شذرات الذهب (٢٧١/٣).

(٤) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣٦٣/١).

يرى إقبال أن الاتجاه الأشعري الذي يمثله أبو الحسن الأشعري جاء رد فعل ضد المعتزلة، فيقول:«استمرت العقلانية أو الاعتزال مزدهرة في المراكز العلمية للعالم الإسلامي برعاية من خلفاء بني العباس حتى منتصف القرن التاسع الميلادي، حيث ظهر رد فعل محافظ قوي يتصدى لها بقيادة إمام جم النشاط والحيوية هو أبو الحسن الأشعري ...»[(١)].

أثنى العلماء على أبي الحسن الأشعري – وخاصة علماء الأشاعرة – وتركز ثناؤهم على ما قام به من الرد على المعتزلة والملاحدة وغيرهم [(٢)]. وكان الأشعري يعرف مذاهب المتكلمين وخاصة المعتزلة ولذلك فصل أقوالهم ومذاهبهم، وفروق أقوالهم الدقيقة، فيذكر بالتفصيل أقوال شيخه في الاعتزال أبوعلي الجبائي، ويعتبر من أهم المصادر لأقوال الجبائي، وهذا مما يدل على مدى تأثير الجبائي على الأشعري في المرحلة الأولى من حياته.

يقول الخطيب البغدادي [(٣)]:«أبو الحسن الأشعري المتكلم صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج، وسائر أصناف المبتدعة»[(٤)]. ويروى عن أبي بكر بن الصيرفي [(٥)] أنه قال:«كانت

(١) انظر: تطور الفكر الفلسفي في إيران ص (٥٨).

(٢) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣٣٨/١).

(٣) البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، أشتهر بالخطيب البغدادي، وصفه الذهبي بـ: " أنه الإمام الأوحد، والعلامة المفتي، والحافظ الناقد، محدث الوقت "، تعددت مؤلفاته منها: تاريخ بغداد، والفقيه والمتفقه، والرحلة في طلب الحديث، وغيرها، توفي سنة ٤٦٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٧٩/١٨)؛ شذرات الذهب (٢٦٢/٥).

(٤) انظر: تاريخ بغداد، لأحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. (٣٤٦/١١).

(٥) الصيرفي: أبو بكر محمد بن عبد الله الصيرفي الشافعي، فقيه أصولي، كانت له مناظرة مع الأشعري حول وجوب شكر النعم، له مؤلفات منها: شرح الرسالة، وكتاب في الشروط، وغيرهما، توفي سنة ٣٣٠ هـ. انظر: شذرات الذهب (١٦٨/٤).

المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الأشعري فحجرهم في أقماع السمسم»[1].

فإن هذه المقولات وغيرها من كلام الأئمة الأعلام دليل على ردَّةُ فعل عنيفة من أبي الحسن الأشعري تجاه المعتزلة إبَّان تحوله من مذهبهم. ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن لمرحلة الاعتزال عند أبي الحسن الأشعري الأثر الكبير في إكسابه للحجج والبراهين في المناظرات التي دارت بينه وبين أكابر المعتزلة مثل مناظراته مع شيخه أبي علي الجبائي[2].

يرى إقبال أن الكلام عن المذهب الأشعري بدون ذكر دور الغزالي ناقص، فيقول:«والواقع أن أي عرض للمذهب الأشعري يبقى ناقصاً ما لم يتضمن دور الغزالي ... »[3].

يعتبر أبو حامد الغزالي أحد أعلام الأشاعرة الذين دافعوا عن المذهب الأشعري ضد مناوئيه من مختلف الطوائف، ولذلك سمي أحد أشهر كتبه الأشعرية بالاقتصاد في الاعتقاد ليكون مقتصداً ووسطاً كما يقول بين الحشوية من جهة والمعتزلة والفلاسفة من جهة أخرى، والغزالي لم يأتِ بجديد فيما يتعلق بمذهب الأشاعرة، بل جاءت كتبه

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٨٦/١٥)؛ موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣٣٨/١).

(٢) تعددت المناظرات التي دارت بين الأشعري وخصومه من المعتزلة وغيرهم، فقد ناظر شيخه وزوج أمه أبا علي الجبائي مناظرات عدَّة، من أشهراها مناظرته حول الصلاح والأصلح فقد أوردها ابن خلكان في ترجمة الجبائي؛ وهناك مناظرة أخرى بين الأشعري والجبائي حول هل يسمي الله عاقلا ؟. فقد دخل رجل على الجبائي فقال: هل يجوز أن يسمي الله تعالى عاقلا ؟ فقال الجبائي: لا، لأن العقل مشتق من العقال، وهو المانع، والمنع في حق الله محال، فامتنع الإطلاق. قال الشيخ أبو الحسن فقلت له: فعلى قياسك لا يسمي الله سبحانه حكيما ؟ لأن هذا الاسم مشتق من حكمة اللجام، وهي الحديدة المانعة للدابة من الخروج ... فإذا كان اللفظ مشتقا من المنع، والمنع على الله محال لزمك أن تمنع إطلاق حكيم عليه سبحانه وتعالى قال: فلم يحر جوابا، إلا أنه قال لي: فلم منعت أنت أن يسمي الله سبحانه عاقلا، وأجزت أن يسمي حكيما ؟ قال: فقلت له: لأن طريقي في مأخذ أسماء الله الإذن الشرعي دون القياس اللغوي، فأطلقت حكيما لأن الشرع أطلقه، ومنعت عاقلا لأن الشرع منعه، ولو أطلقه الشرع لأطلقته. انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣٧٣/١-٣٧٤).

(٣) انظر: تطور الفكر الفلسفي في إيران ص (٦٢).

واستدلالاته ملخصة عمن سبقه من أعلام الأشاعرة مع صياغة جديدة وأسلوب سهل، وإنَّ الناظر والمتأمل في كلام أهل العلم، وكتب التراجم والسير، قلما يجد أحدا من العلماء والباحثين يكتب عن مذهب الأشاعرة ومنهجهم في العقيدة، ومراحله تطوره، وأعلامهم إلا ويذكر الغزالي ودوره الفاعل في الاتجاه الأشعري [1].

وفي ختام المطلب فإن الشاعر محمد إقبال ينحى منحى المذهب الأشعري في جملة من آرائه وأفكاره كما مر معنا في انتصاره لنظرية الجوهر الفرد، وإن وجَّه بعض النقد لأعلام الأشاعرة فمثلاً عندما نقد الغزالي – الذي شيَّد بدوره في عرض المذهب الأشعري – ووصفه بالشاك الذي لم تجد روحه القلقة بعد حيرته وتساؤلاته الطويلة اليائسة في صحراء العقلانية القاحلة الخاوية[2].

(١) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٦٢٦/١).

(٢) انظر: تطور الفكر الفلسفي في إيران ص (٦٥).

الفصل الثاني

موقف محمد إقبال من الاتجاهات الفكرية المعاصرة

وفيه ثمانية مباحث:

❖ **المبحث الأول:**
رأي محمد إقبال في القاديانية وتقويمه.

❖ **المبحث الثاني:**
رأي محمد إقبال في البابية وتقويمه.

❖ **المبحث الثالث:**
رأي محمد إقبال في الاستشراق وتقويمه.

❖ **المبحث الرابع:**
رأي محمد إقبال في الشيوعية وتقويمه.

❖ **المبحث الخامس:**
رأي محمد إقبال في القومية وتقويمه.

❖ **المبحث السادس:**
رأي محمد إقبال في الديمقراطية وتقويمه.

❖ **المبحث السابع:**
رأي محمد إقبال في الرأسمالية وتقويمه.

❖ **المبحث الثامن:**
رأي محمد إقبال في الحضارة الغربية وتقويمه.

المبحث الأول:

رأي محمد إقبال في القاديانية وتقويمه[(١)].

كانت شبه القارة الهندية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي موطناً خصباً للمتنبئين الذين تصف ألسنتهم الكذب وأفعالهم الغدر والخيانة، وذلك راجع إلى أن طبيعتها في الدين لا تختلف عن طبيعتها المناخية في تنوع الديانات والملل والمذاهب والنحل، وفي خضم هذا الزخم المتعدد الأطوار والأفكار ظهرت نحلة القاديانية.

تصدى لهذه النحلة الهدَّامة جمع من العلماء وقادة الفكر في شبه القارة الهندية، فحاربوها بأقلامهم وألسنتهم عن علم وبصيرة، وكان ذلك أقصى ما كان يمكن فعله وعمله في عهد الدولة الإنجليزية التي تبنَّت هذه النحلة، وكان في مقدمة هؤلاء العلماء الشيخ المحدث السيد نذير حسين الدهلوي (ت١٣٢٠هـ) وهو أول من أفتى بتكفير هذا المتنبئ الكاذب، والشيخ محمد حسين البتالوي (ت ١٣٣٨هـ) الذي جمع فتاوى العلماء على تكفير القادياني، والشيخ أبو الوفاء ثناء الله الأمْرِتْسَرِي [(٢)]، والشيخ محمد ابراهيم السيالكوتي(ت١٣٧٥هـ)، أما من جاء بعد هؤلاء من المعاصرين فهم

---

(١) القاديانية: نحلة هدامة وطائفة كافرة، تتخذ من اسم الإسلام شعاراً لستر أغراضها الخبيثة وعقائدها الفاسدة، وظهرت هذه الجماعة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وتنسب هذه الجماعة إلى غلام أحمد بن الميرزا غلام مرتضى بن عطاء محمد، الهالك سنة ١٩٠٨م الموافق ١٣٢٦هـ. انظر: القادياني والقاديانية دراسة وتحليل، لأبو الحسن علي بن الحسني الندوي، الناشر: الدار السعودية، جدة، الطبعة الخامسة١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م. ص (٢٤-٣١)؛ القاديانية دراسة وتحليل، لإحسان إلهي ظهير، الناشر: دار الإمام المجدد، القاهر، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م. ص (٢٤)؛ الموسوعة الميسرة (١/٤١٩-٤٢٣)؛ ختم النبوة والرد على البهائية والقاديانية، لأبي عبد الله متعب بن مقبل الشثان، الناشر: دار أطلس الخضراء، الرياض، الطبعة الأولى١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م. ص (٦٠-٧٢)؛ الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص (١٤٣)؛ رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، محمد الحمد ص (٢٩٧)، الناشر: دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

(٢) الأمرتسري: أبو الوفاء ثناء الله الأمر تسري، من علماء الهند، وأمير جمعية الحديث، اشتهر بمناظرة الطوائف والفرق، من مؤلفاته: تفسير القرآن بكلام الرحمن؛ البلاغة وإعجاز القرآن، وغيرها، توفي ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م. انظر: الأعلام (٢/١٠١).

كثر وبعضهم ألفوا بعض الكتب والرسائل عن القاديانية مثل أبو الأعلى المودودي، وأبو الحسن الندوي، واعتنى الشيخ إحسان إلهي ظهير [١] بتأليف كتب في بيان حقيقة الأديان والمذاهب المعاصرة ومنها القاديانية.

عاصر الشاعر محمد إقبال القاديانية وكان من أوائل من تصدى لها ورفضها، فقد صرَّح بأنَّ القاديانية ثورة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ومؤامرة ضد الإسلام، وديانة مستقلة، وأن القاديانية ليست جزءاً من الأمة الإسلامية العظيمة[٢].

يرى إقبال كغيره من علماء عصره ومفكريه أن القاديانية طائفة غير مسلمة. ظهر في عام ١٩٣٥م حركة إسلامية قوية ضد القاديانية في شمال الهند فكتب علماء المسلمين مقالاتهم وكتبهم وأقاموا سلسلة من الاجتماعات والندوات والتظاهرات ضدها، وشاركهم إقبال في مقالة بعنوان:"القاديانية والمسلمون" شرح فيها أن القاديانيين ليسوا مسلمين، فلا بد للحكومة من أن تعترف بكيانهم كأقلية غير مسلمة، فقام جواهر لال نهرو بالرد على إقبال ومعارضيه ضمن مقالات له نشرت في مجلـــة مودرن ريفيو "**modern review**" الصادرة من مدينة كلكتا، فرد عليه إقبال عن كل ما وجهه إليه نهرو من اعتراضات وانتقادات، ضمن مقالة نشرت في يناير عام ١٩٣٦م تحت عنوان: " الإسلام والأحمدية "حتى سكت نهرو واعترف بصحة ما قال إقبال حول القاديانية [٣].

---

(١) ظهير: إحسان إلهي ظهير بن ظُهور إلهي بن أحمد الدين بن نظام الدين بن ألطاف، من عائلة سيتي، وهم تجار ويطلق عليها اسم عائلة الشيخ، وهذه العائلة معروفة بتجارة الأقمشة، له مؤلفات كثيرة منها: البابية، والقاديانية، الاسماعلية، وغيرها، توفي سنة ١٤٠٧هـــ. انظر: الشيخ إحسان إلهي ظهير منهجه وجهوده في تقرير العقيدة والرد على الفرق المخالفة، د. علي بن موسى الزهراني، الناشر: دار المسلم، الرياض، الطبعـــة الأولـــى١٤٢٥هـــ / ٢٠٠٤م. ص (٣٥) وما بعدها.

(٢) انظر: القاديانية، لإحسان إلهي ظهير، دراسة وتحليل، ص (١٦)؛ الأعلام (١/٢٥٦).

(٣) انظر: محمد وموقفه من الحضارة الغربية ص (١٠٠-١٠١؛١٨٦-١٨٧).

كان إقبال على وعي تام وإدراك بصلة القاديانية مع الاستعمار الانجليزي. شهد إقبال تشجيع القادياني للإنجليز وتقديم التسهيلات لهم، وأوعز ذلك إلى سعيهم لتفتيت وحدة المسلمين.يقول إقبال في الصحيفة البريطانية ستيتسمان:«يعمل الروس على نشر المذهب البابي ويسمحون للبابية بإقامة أول مركز للدعوة لمذهبهم في عشق آباد في الوقت الذي تعمل فيه بريطانيا على نشر "الأحمدية" القاديانية وتسمح لهم بإقامة أول مركز للدعوة لمذهبهم في دوجنج، أن الفصل بين هاتين الظاهرتين عندي جدٌّ صعب، فما السبب الذي يدعو الروس وبريطانيا – رغم اختلاف المشارب – إلى الاتفاق في هذا الاتجاه ؟ وانتهى إقبال إلى أن هذا العمل ينطوي على محاولة لتفتيت وحدة المسلمين...» [(١)]؛ وجاء في ردٍ لإقبال على كلمة جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند الذي تساءل: لماذا يلح المسلمون على فصل القاديانية عن الإسلام وهي طائفة من طوائف المسلمين الكثيرة؟ فقال:«إن القاديانية تريد أن تنحت من أمة النبي العربي صلى الله عليه وسلم أمة جديدة للنبي الهندي، وذكر أنها أشد خطرا على الحياة الاجتماعية للإسلام في الهند من عقائد اسبنوزا **Spinoza** الفيلسوف اليهودي الثائر على نظام اليهود»[(٢)].

وعبَّر إقبال في شعره عن القادياني ومزاعمه الباطلة وولائه التام للإنجليز، فيقول في ديوان ضرب الكليم تحت عنوان "المسلم الهندي" [(٣)]:

قال البَرَهْمَنُ: خائنٌ أوطانه والإنكليزُ تقول : هذا مجتدي
ونُبُوَّةُ البَنْجاب قالت : كافر مستمسكٌ بقديمه لا يهتدي

(١) انظر: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأصداؤها في فكر محمد إقبال، بقلم د. محمد السعيد جمال الدين ص (٢١) – بتصرف –؛ مجلة فكر وفن، عدد: (٣٢)، مقالاً بعنوان: إقبال في سياق حركات الإصلاح الهندية الإسلامية، بقلم: آنا ماري شيمل، ص (٥٤).

(٢) انظر: ثلاث رسائل عن القاديانية، للندوي ص (١٠-١١).

(٣) انظر: ديوان ضرب الكليم (٢/٣٠).

أيَّـــانَ صوتُ الحَــقِّ يعلو ها هنا ؟ ويلٌ لقلبي في الصِّراع المُجْـــهد

يشير إقبال في هذه الأبيات إلى الميرزا غلام أحمد القادياني مدعي النبوة كذباً وزوراً أنه خائن للوطن ويعلن الولاء المطلق للإنجليز، والإنجليز يعتقدون أن القادياني فقير مُعْدَم. ويقول في موضع آخر تحت عنوان "النُّبُـــوَّة" (١):

لســـتُ المحـــدِّث والفقيـــهَ ولا الـــــوليَّ ولا المجــــــدِّد

لا علـم عنـدي بـــالنبـــوّة كيــف تــوصـــف أو تحــــدَّد

لكــن إلــى الإســلام فــي الأيام لــــي نظــــرٌ مســــدَّد

أوحــــى إلــيَّ بســره الفلــكُ المحيـــــطُ فـــــلا أفنِّــــد

فــرأيـــت فـــــي ظلمــات هـــذا العصــر ذا الحـــقِّ المــؤيَّد

عنـــدي حشيــش المسلمـــين نبـــــوّةُ فيهـــــم تجــــدَّد

مـــا إن لــــديهـــا دعـــــوة للبــأس والمجـــــد المخلَّـــــد

فإن إقبالاً يشير من طرف خفي في الأبيات السابقة إلى من ادعى النبوة، ودعا إلى المسالمة والكف عن الجهاد وهو الميرزا غلام أحمد القاياني.

إن من العقائد الباطلة المنحرفة عند القاديانية إلغاء عقيدة الجهاد حتى يتمكن المحتل الإنجليزي من نهب ثروات المسلمين بدون مدافعة، وتتفق على صحة ولاية المحتل، وأن طاعته أمر يوجبه الله عز وجل كي يستتب لهم الأمر. يقول القادياني إنَّ الله قال: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(٢)، فالمراد بولي الأمر ها هنا الملك المعظم – بريطانيا –

---

(١) انظر: ديوان ضرب الكليم (٢/٥١).

(٢) سورة النساء آية: (٥٩).

وأنا أنصح مريدي وأشياعي بأن يدخلوا الإنجليز في أولي الأمر ويطيعوه من صميم قلوبهم[١].

يرى إقبال أن النحلة القاديانية أسست على مبدأ المنافسة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. يقول في رسالة وجَّهها إلى كبرى صحف الهند الإنجليزية: (**statesma**) التي أثارت هذه المسألة ما يلي:«إن القاديانية محاولة منظمة لتأسيس طائفة جديدة على أساس منافسة لنبوَّة محمد صلى الله عليه وسلم»[٢]، بل يؤكد الشاعر محمد إقبال أن القاديانية لا تقف عند مبدأ المنافسة لنبوة محمد عليه الصلاة والسلام بل تتعدى إلى أنها تناقض فكرة ختم النبوة، فإقبال يؤمن بختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم، فيقول:«إن كل مجتمع ينفصل عن الإسلام وبه طابع ديني يقوم على أساس نبوة جديدة، ويعلن بكفر جميع المسلمين الذين لا يصدقون بهذه النبوة المزعومة، يجب أن ينظر إليه المسلمون كخطر جدي على سلامة الإسلام، وأن نهوض المجتمع الإسلامي لا يقوم إلا على عقيدة ختم النبوة...»[٣].

ويصف أبو الحسن الندوي إقبالاً عندما تكلم عن ختم النبوة بقوله:«وقد شرح الله صدر محمد إقبال لأهمية ختم النبوة وأنها حارسة لكيان المجتمع الإسلامي، ووحدة الأمة الإسلامية، أن الثورة على هذه العقيدة لا تستحق مسامحة وهوادة، لأنها تعمل كمعول هدام في أساس الصرح الإسلامي الشامخ...»[٤].

---

(١) انظر: القاديانية لإحسان إلهي ظهير ص (٣١)؛ ختم النبوة والرد على البهائية والقاديانية ص (٧١)، وللقادياني خدمات جليلة للاستعمار الإنجليزي مع بقائه في صفوف المسلمين، فكان من أعظم خدماته لهم فتواه بأنه لا يجوز لمسلم أن يرفع السلاح في وجه الانجليز لأن الجهاد قد نسخ ورفع، وأن الانجليز هم خلفاء الله في الأرض فلا يجوز الخروج عليهم، فسر المستعمرون أيما سرور وقدموا له كل المساعدات من الحماية والمال والأتباع.

(٢) انظر: ثلاث رسائل عن القاديانية ص (١٠).

(٣) انظر: المصدر السابق ص (١٢).

(٤) انظر: المصدر السابق ص (١١).

وبذلك نجد أن عقيدة ختم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم التي كتب عنها محمد إقبال كثيراً في شعره وكتاباته من أقوى الردود على مدعي النبوة الميرزا غلام أحمد القادياني [(١)].

والحاصل أن الشاعر محمد إقبال حارب هذه النحلة الضالة، والفرقة المارقة، وكشف زيفها للملأ، وأعلن بطلانها من أساسها، وأنها ليست من الإسلام في شيء مطلقاً، وقد أدرك إقبال تهافت ما نادت به القاديانية، وهذيان قائدها الميرزا أحمد غلام وما نادى به من إدعاء النبوة وعدم ختمها بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأن كل ما استدل به على ذلك إما باطل لا يثبت أصلاً، أو أنه متأوَّل تأولاً باطلاً.

يقول أبو الحسن الندوي واصفاً موقف إقبال من القاديانية:«ومن هؤلاء الموفقين الدكتور محمد إقبال الذي كان من كبار المثقفين المتنورين الذين أنجبهم العالم الإسلامي في العصر الأخير، ومن كبار الدعاة للاتحاد الإسلامي المتمسكين بمبدأ التسامح، ومع ذلك كان أول من دعا إلى فصل القاديانيين عن المسلمين واعتبارهم أقلية غير مسلمة»[(٢)].

ويقول مسعود عالم الندوي عن جهود إقبال في رده على القاديانية في كتابه تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند:«ولصاحبنا إقبال مأثرة جليلة أخرى في باب الدعوة الدينية والدفاع عن حرمة الدين المبين، ولا تنسى أبد الدهر. ولو لم يكن من أعماله الجليلة الخالدة إلا هذه المأثرة العظيمة لكفته فخرا في الدنيا وفخرا في الآخرة، ألا وهو موقفه الجليل المشهود بإزاء النحلة القاديانية الضالة المضلة في السنين الأخيرة من حياته، إن

---

(١) من أهم العقائد التي نادى بها إقبال كثيراً؛ إيمانه العميق بعقيدة ختم النبوة وأن الإسلام خاتم الرسالات، إلا أنه وقع في تناقض حينما رأي أن النبوة مكتسبة، ووصفها بأنها ممارسات رياضية، يحصل عليها كل من يجتهد ويكد ويتعب لينالها، ويمكن تخريج هذا التناقض بأن إقبالاً عندما وصف النبوة بالاكتساب فإنه جاء في سياق من هو النبي وما حده وتعريفه وما حقيقته، بينما رفضه لنـــزول عيسى ابن مريم – عليه السلام – جاء رداً على فكرة اشبنجلر الذي يؤمن بهذا الرأي. راجع مبحث: رأي محمد إقبال في إثبات النبوة وحقيقتها ص (١٠٣) وما بعدها.

(٢) انظر: القادياني والقاديانية دارسة وتحليل ص (١٠).

الزعيم جواهر لال نهروا كتب مقالتين ينكر فيها على الجمعيات المسلمة الدينية حركتها ضد القاديانية ويؤيد جانب القاديانية وفي مثل هذه الأحوال انبرى المسلم المؤمن محمد إقبال للدفاع عن فطرة الإسلام وردَّ كيد القاديانية في نحورها، وتطهير الدين المبين من أرجاسها وأدناسها، فنشرت تصريحات عديدة في الصحف بين فيها موقف الإسلام بإزاء هذه النحلة المارقة التي تؤمن بنبوة الغلام القادياني الكذاب، وكشف عن عورات القاديانيين وأماط اللثام عن خدماتهم للاستعمار البريطاني وتمسكهم بأذياله...» [(١)] [(٢)].

---

(١) انظر: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (١٨٧).

(٢) لخطورة القاديانية على الإسلام والمسلمين في أصقاع الأرض أصدرت فتاوى كثيرة من أكابر العلماء في أنحاء العالم الإسلامي يقضي بكفرهم، وشُكلت العديد من المجامع الفقهية والدورات العلمية ولجان الإفتاء في العالم الإسلامي وأصدر من خلالها عدد من القرارات في بيان كفر من انتسب إلى القاديانية أو الأحمدية. انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، رقم الفتوى: (١٦١٥؛ ٤٣١٧؛ ٨٥٣٦)، ترتيب أحمد بن عبد العزيز الدويش، الناشر: دار المؤيد، الرياض، الطبعة الأولى١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. (٢/٣١٢-٣١٤)؛ ختم النبوة والرد على البهائية والقاديانية ص (٩٩)؛ رسائل في الأديان والفرق والمذاهب ص (٣١٤-٣١٦).

المبحث الثاني:

رأي محمد إقبال في البابية وتقويمه[1].

ظهر في آراء الشاعر محمد إقبال وأفكاره ثقته العمياء ببعض الحركات المنتسبة للإسلام مثل البابية، حيث عدَّها حركة التجديد الفكري في الإسلام التي تمثل الرؤية المطلوبة للعالم الإسلامي أن يقتدي بها. من خلال التتبع لرأي إقبال في الحركة البابية سواءً الشعري أو النثري رأيت أنه مر بطورين هما:

❖**الطور الأول:** عندما وصف الشاعر محمد إقبال الحركة البابية بأنها من الحركات الإسلامية الإصلاحية التي تأثرت بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب– رحمه الله –[2]، يقول إقبال:«والحركة البابية ليست سوى صدى فارسي للإصلاح الديني العربي. ولد محمد بن عبد الوهاب المصلح المتطهر العظيم في سنة ١٧٠٠م، وتلقى العلم في المدينة...»[3]، فإقبال يدخل الحركة البابية ضمن حركات الإصلاح التي ظهرت في العالم الإسلامي مثل حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وظل ينظر إلى البابية

---

(١) البابية أو البهائية هي: فرقة ضالة كافرة انبثقت من الشيعة الاثنى عشرية، وظهرت في القرن الثالث عشر الهجري في إيران، على يد رجل شيعي يدعى الميرزا علي محمد الشيرازي، ونشأت البابية سنة ١٢٦٠هـ تحت رعاية الاستعمار الروسي، واليهودية العالمية، والاستعمار الإنجليزي، بهدف إفساد العقيدة الإسلامية، وتفكيك وحدة المسلمين، وصرفهم عن قضاياهم الأساسية، وسميت بالبابية نسبة لأول زعيم لها والذي لقب نفسه بالباب، وسميت البهائية نسبة لزعيمها الثاني والذي لقب نفسه بهاء الله. انظر: البابية عرض ونقد، إحسان إلهي ظهير، الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان، ١٩٨٤م.ص (٤٩)؛ البهائية نقد وتحليل، إحسان إلهي ظهير، الناشر: دار الإمام المجدد، بدون تاريخ طبعة. ص (١٣)؛ الموسوعة الميسرة ص (٤١٢/١-٤١٨)؛ ختم النبوة والرد على البهائية والقاديانية، ص (٤٧-٥٩).

(٢) محمد بن عبد الوهاب: الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، طلب العلم على يد والده وعلماء بلده، ورحل للحجاز والعراق لطلب العلم، حارب البدع والخرافات ودعاء إلى صفاء العقيدة، له مؤلفات كثيرة منها: كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وكشف الشبهات، والأصول الثلاث، وغيرها، توفي سنة ١٢٠٦هـ. انظر: الأعلام (٢٥٧/٦)؛ زعماء الإصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. ص (١١).

(٣) انظر: تجديد التفكير الديني ص (١٧٥).

باعتبارها حركة إصلاحية مُنذ عام ١٩٢٨-١٩٢٩م وذلك عند إلقائه لمحاضراته في تجديد التفكير الديني في الإسلام.

نظم الشاعر محمد إقبال أبياتاً في ديوان رسالة الخلود يتغنى بالشاعرة البابية قرة العين الطاهرة تحت عنوان "لحن الطاهرة" يقول فيها [1]:

آه لــــوْ كـــانَ اللّقـــاءُ بـــالعُيــــونْ
لَكَشَفْـــتُ لـــكَ مكنـــــونَ الشُّجُــــونْ
كـــي أراكَ مِثْـــــــلَ أنْســـــام الصَّبـــــا
بـــــالــدَّيــارِ ظُفْــتَ تــوَّاقَ الحَنيــــــن
مِـــنْ نـــواكَ فـــي عيـــونـــي ذابَ قلبـــي
مَـــنْ رأى بحـــراً جـــــرى بَيْـــنَ الجُفُـــونْ
إنَّ للـــــــرُّوح شُفُـــوفـــــاً خـــاطَهــــا
بـــهـــواكَ مِخْيـــــطُ القلـــب الحَـــزِيْـــن
طُفْـــتُ بـــالقلـــبِ طـــويـــلاً لـــمْ أجـــدْ
غَيـــرَ من أهـــوى، ويخفـــى بـــالكُمُـــونْ

إلى آخر الأبيات، والشاهد أن قرة العين الطاهرة شاعرة إيرانية مشهورة شايعت من يسمى بـــ: "علي محمد الباب" وكانت من كبار الدعاة للمذهب البابي، كما تعرفت هذه المارقة على أفكار الحركة الشيخية واقتنعت بها، ومن أهم ما دعت إليه حرية المرأة وحقها في نزع الحجاب عن وجهها ومساواتها بالرجل ودفاعها الحماسي عن معتقداتها دون وجل أو تردد، وقد صدر الحكم من المرجعية الدينية يقتضي بقتلها في إيران عام ١٨٥٢م.

---

(١) انظر: ديوان رسالة الخلود (٢/٢٥٣).

❖**الطور الثاني:** هو الطور الذي غيَّر فيه محمد إقبال نظرته إلى أصول الحركة البابية ودوافعها الباطنية، وقد وضع عام ١٩٣٣م خطة لتأليف كتاب جديد باللغة الإنجليزية بعنوان: **Introduction to the Study of Islam** (أي مقدمة لدراسة الإسلام) ليبين رفضه للحركة البابية وهو كتاب لم يقيض لإقبال أن يكتبه أصلاً، كما كتب مقالاً بعث به إلى صحيفة "ستيتسمان" البريطانية يقول فيه:«يعمل الروس على نشر المذهب البابي ويسمحون للبابية بإقامة أول مركز للدعوة لمذهبهم في عشق آباد في الوقت الذي تعمل فيه بريطانيا على نشر "الأحمدية" القاديانية وتسمح لهم بإقامة أول مركز للدعوة لمذهبهم في دوجنج، أن الفصل بين هاتين الظاهرتين عندي جدّ صعب، فما السبب الذي يدعو الروس وبريطانيا – رغم اختلاف المشارب – إلى الاتفاق في هذا الاتجاه ؟ وانتهى إقبال إلى أن هذا العمل ينطوي على محاولة لتفتيت وحدة المسلمين» [(١)].

ونظم إقبال في ديوان ضرب الكليم [(٢)] أبياتاً شعرية تتضمن معنى السخرية والتهكم بالباب عنوانها "علي محمد الباب" [(٣)]:

أجـــاب (البــابُ) فــي حفــل ... مفيضـــاً فـــي مقـــالاتِ

وفـــات الشيـــخَ توفيـــقٌ ... بـــإعـــراب (السَّمـــواتِ)

ســرَتْ فـــي الحَفْـــل غلطتُه ... فـــلا قـــوه ببسمـــاتِ

فقـــال (البـــاب): لم تَـــدْروا ... وفـــاتتكـــم مقـــامـــاتـــي

ثـــوى القـــرآنُ بـــالإعـــراب ... فـــي حَبـــسٍ وإعنـــاتٍ

---

(١) انظر: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأصداؤها في فكر محمد إقبال ص (١٥-١٨) – بتصرف–.

(٢) ديوان ضرب الكليم نشر قبل وفاة الشاعر محمد إقبال بسنة واحدة أي في سنة ١٩٣٧م، وهذا مما يدل على تراجعه عن رأيه في النحلة البابية بعد أن أدرك أغراضها وفهم حقيقتها.

(٣) انظر: ديوان ضرب الكليم (٢/٤٤).

وإنَّ إمـــــامتـــــي جـــــاءت بتحـــــريـــــرٍ لآيـــــاتِ

ومناسبة هذه الأبيات أن جماعة من العلماء في إيران ناقشوا علي محمد المسمى بالباب، فقرأ شيئاً من القرآن، فلحن في إعراب السموات فضحك الحاضرون، فقال: إنَّ بشرى إمامتي تحرير الآيات من الإعراب.

وبعد ما عرضت الطورين اللذين مر بهما الشاعر محمد إقبال عند حديثه عن النحلة البابية فإنه تبيَّن لي أنه ليست هناك أي صلة بين الحركة البابية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بل ليس هناك مجال للمقارنة في شيء بينهما على الإطلاق، ومن حاول أو زعم التوفيق بين الحركتين فقد أبعد عن الحق برمته وزعمه باطلٌ.

إنَّ الناظر والمتأمل في كلا الحركتين يلحظ أن حركة علي محمد الباب الذي زعم تارة أنه المهدي المنتظر، ثم زعم بعد ذلك أن الوحي غير منقطع وأنه جاء ناسخاً لشريعة القرآن وأحكامها، وادعى النبوة، وأنه أوحى إليه بكتاب أسماه "البيان" وأن معجزات الأنبياء وقصصهم، والملائكة، والجن، والوعد والوعيد، والحشر والنشر، واليوم الآخر، ليست على ما يعلمه الناس من مفاهيمها ومعاني كلماتها، ويؤول ذلك كله تأويلاً يذهب مذاهب شتى من الكفر والضلال والزور والبهتان، فما البابية في واقعها إلاَّ فرقة ضالة لا تمتُّ إلى الدين الإسلامي الحنيف بأية صلة، أما دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – فهي قائمة على النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة من العلماء المحققين الربانيين، كما أنه لم يُقَدَّر لعلي محمد الباب أن يتصل بدعوة الشيخ من أي طريق فيما أعلم، بل لم يشأ الله للباب أن يطأ الأراضي المقدسة، بعد أن كان قد عزم على الذهاب إلى مكة فغرقت السفينة التي أقلته ولكنه نجا هو ونفرٌ من دعاته وعادوا إلى ميناء بوشهر في إيران.

وفي الطور الثاني الذي غيَّر فيه إقبال رأيه ونظرته في الحركة البابية وذلك بعد أن أدرك أغراضها وفهم حقيقتها فانتقدها وهاجم مؤسسها، تلك الحقيقة التي كانت غائبة عنه يوم عدَّ البابية صدىً لحركة الإصلاح الديني العربي التي ظهرت على يد المصلح المتطهر العظيم محمد بن عبد الوهاب على حدِّ تعبير إقبال، إلا أننا نلاحظ من كلام إقبال أنه لم يكن يريد بإشارته إلى أن البابية صدى لحركة الإصلاح الدين العربي، أن يغض وينقص من شأن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية أو يقلل من أهميتها، بل على العكس من ذلك رأى أن هذه الدعوة لا تزال تحمل من عوامل القوة والتأثير ما يجعل أرجاء أخرى من العالم الإسلامي – غير الجزيرة العربية – تتجاوب مع أصدائها وتتأثر بها وتأخذ عنها، وأن تلك القبائل العربية في جزيرة العرب - التي استجابت للدعوة - ما تزال تتمتع بقوة الإيحاء والتأثير على جيرانها من الدول الإسلامية؛ لأن هذه القبائل لازالت مُستمسكة بمعنوياتها القوية ولم تفقد – بعامل التمدن – بداوتها القوية وفطرتها السليمة وقدرتها على التأثير في غيرها [1]، فإقبال إذاً لم يخطئ في حق هذه الدعوة بقدر ما أخطأ في بداية أمره من ثقته بالحركة البابية حيثُ عدَّها حركة إصلاحية وأشاد بها عندما تغنى بالشاعرة البابية قرة العين الطاهرة.

ومما يدعم القول بأن إقبالاً فهم الحركة البابية على غير مرادها وحقيقتها في بداية الأمر أمور كثيرة منها:

- أن البابية تتصادم مع أفكار إقبال في الجملة، وتعلن عصيانها على نفس المبادئ التي يؤمن بها ويدعو إليها، ومن ينظر نظرة عابرة لدعوة محمد علي الباب يدرك مُنذ الوهلة الأولى أنها تقول بأن الوحي غير منقطع، فهي بذلك تتعارض مع عقيدة من أهم العقائد الإسلامية هي "ختم النبوة" وهي عقيدة أفاض إقبال في شرحها في نفس الديوان – رسالة الخلود – الذي أشاد فيه بالحركة البابية، وبيَّن أنها عقيدة تنطوي على فكرة عظيمة لم تقدر قدرها ولم تعرف قيمتها في

(١) انظر: فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية في الهند وباكستان ص (٢١).

الثقافة الإسلامية. ولا يقتصر هذا الخلاف على عقيدة ختم النبوة فحسب، بل يمتد إلى أجزاء أخرى من العقائد فمثلاً إقبال مُسلمٌ يؤمن بالأنبياء والمرسلين، ويقر برسالاتهم السماوية ومعجزاتهم، والبابية ينكرون معجزات الأنبياء، كما أن إقبالاً يؤمن بعقيدة الجهاد في سبيل الله، والبابية يقولون بتحريم الجهاد وحمل السلاح وإشهاره ضد الأعداء خدمة للمصالح الاستعمارية [1].

- أن سبب الخلط في فهم إقبال لهذه الحركة وحسن الظن بها أنه لم يدرس هذه الفرقة الضالة المارقة من مصادرها، بل قرأ عنها من وصف المستشرقين إياها فصدَّق ما وصفوا، والمستشرقون إن وصفوا شيئاً في الإسلام أو في الحركات الإسلامية على أنه حسن فلأنه يصادف غرضاً خاصاً، يتصل بإضعاف المسلمين والجماعة الإسلامية [2].

وهذا الرأي – الطور الثاني – هو الذي استقر عليه الشاعر محمد إقبال وتراجع عن رأيه في البابية وغير نظرته إليها، ففي رسالته للدكتوراه تطور الفكر الفلسفي في إيران يصف البابية بقوله:«البابية: البهائية التي بدأت كفرقة شيعية على يد الميرزا علي محمد الباب الشيرازي المولود١٨٢٠م ... وترجع أصول الفلسفة الدينية التي تتبناها هذه الفرقة إلى فرقة أخرى سبقتها هي الفرقة الشيخية التي ظهرت في الوسط الشيعي وأسسها الشيخ أحمد الإحسائي...» [3]، فإقبال يرى أن البابية ترجع في أصلها إلى المذهب الشيخي الشيعي، والجدير بالذكر أن إقبالاً لم يقصر رأيه في البابية على الأصل الشيعي بل يقول في موضع آخر:«البابية التي تلفق بين جميع الاتجاهات الفلسفية والدينية» [4].

---

(١) انظر: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأصداؤها في فكر محمد إقبال – بتصرف- (١-١٨).

(٢) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار ص (٤٨٥-٤٨٧).

(٣) انظر: تطور الفكر الفلسفي في إيران ص (١٣٤-١٣٥).

(٤) انظر: المصدر السابق ص (١٤٢).

وما ذهب إليه إقبال من أن البابية ترجع في أصلها إلى المذهب الشيخي الشيعي صحيح، وذلك لأن البابية أو البهائية حركة نبعت من المذهب الشيعي الشيخي سنة ١٢٦٠هـ تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي بهدف إفساد العقيدة الإسلامية، وتفكيك وحدة المسلمين، وصرفهم عن قضاياهم الأساسية. وتأثرت الشيخية التي واكبت ظهور الباب بالعقائد الشيعية والأفكار اليهودية في القول بظهور المهدي المنتظر، فكان لها أثره في ترقب الإيرانيين لظهور المهدي وتهيئة نفوسهم لانتظاره. فلما أعلن علي محمد الباب بابيته تأثر بها الإيرانيون وأيدوها، مما ساعده على قيام نحلته الضالة الباطلة، فقد اعتبر الباب نفسه أول أمره واسطة وباباً إلى المهدي المنتظر(١).

أشار محمد إقبال عندما تحدث عن نشأة البابية إلى مؤسسها أحمد الإحسائي(٢) الذي يعتبر من علماء الشيعة، وله شهرة وأتباع أسَّسوا ما يُعرف بفرقة الكشفية ويقال لها أيضاً الشيخية المنسوبة له، وقد ارتحل الإحسائي إلى العراق، فحضر في كربلاء والنجف وأخذ العلم عن علماء وأئمة الشيعة هناك، ويعتقد أتباع الإحسائي من الشيخية أنه مؤمن كامل وباب من فيضان الإمام الغائب والأمة، وكان للإحسائي أتباع من أشهرهم كاظم الرشتي، والميرزا علي محمد الباب مؤسس البابية، ومن هنا اتضح صواب ما ذهب إليه إقبال من أنَّ أصل البابية يرجع إلى المذهب الشيخي الشيعي.

---

(١) انظر: بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات، د. محمد مجاهد نور الدين، الناشر: دار هجر، أبها، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م. (٧٩/١).

(٢) الإحسائي: أحمد زين الدين بن إبراهيم بن صقر بن إبراهيم الإحسائي المطيرفي البحراني كان فقيهاً، إمامياً، حكيماً، مشاركاً في فنون شتى؛ غير أن آخرين يرون بناءً على تقارير المستشرقين أن الإحسائي لم يكن من الإحساء وأنه لم يثبت ذلك تاريخياً، وإنما كان قساً غربياً أرسل من إندونيسيا إلى الشرق حسب خطة مرسومة لإفساد عقيدة المسلمين وتغيير أحكام الدين، له مؤلفات منها: جوامع الكلم، ومباحث الألفاظ في الأصول، وغيرهما، توفي ١٢٤١هـ. انظر: الأعلام (١٢٩/١).

وتعد الشيخية هي أحد إفرازات الشيعة فهم لا يختلفون في أُصول الدين وأُمهات المسائل الشرعية عن سائر الشيعة الإمامية، نعم لهم بعض الآراء والمعتقدات الخاصة بهم التي انحرفت عن مذهب الشيعة الاثنى عشرية منها: إن البعث روحاني لا جسماني لأن الروح جوهر الجواهر، أما الجسم فيلحقه الفناء الأبدي لأنه مؤلف من عناصر الأرض[(١)(٢)].

والحاصل أن الشاعر محمد إقبال تراجع عن رأيه في الحركة البابية بعد أن أدرك أغراضها وفهم حقيقتها، تلك الحقيقة التي كانت غائبة عنه يوم عدَّ البابية صدى لحركة الإصلاح الديني العربي التي ظهرت محمد بن عبد الوهاب، والمتأمل في الأصول التي قامت عليها البابية يجدها تتصادم مع أفكار إقبال وآرؤه في الجملة كالقول بختم النبوة وإيمانه بالأنبياء والرسل والجهاد في سبيل الله.

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة (١٠٩٣/٢-١٠٩٤)؛ بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات (٧٢/١) وما بعدها.

(٢) لقد كان موقف علماء المسلمين واضحاً وحاسماً لهذه الفرقة الكافرة فقد أصدرت عدد من المجامع الفقهية قرارات تقتضي خروج البابية والبهائية من الإسلام واعتبارها حرباً عليه، وكفر أتباعهما كفراً بواحاً. انظر: مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، السنة الثانية، العدد الثاني، بقلم: د. محمد عبده يماني، بعنوان: البهائية أكاذيبها ضلالاتها وكيف التصدي لها، ص (١٨٥-١٩٥)؛ رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، ص (٢٨٩-٢٩١)؛ ختم النبوة والرد على البهائية والقاديانية، ص (٩٣-٩٤).

المبحث الثالث:

رأي محمد إقبال في الاستشراق وتقويمه[1].

يعتبر العصر الذي عاش فيه الشاعر محمد إقبال – آخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين – عصر الازدهار الحقيقي للحركة الاستشراقية فقد لقيت شبه القارة الهندية اهتماماً بالغاً من الاستشراق والمستشرقين، ومازال الاستشراق يهتم بالشعوب الشرقية عموماً التي تضم بلاد الهند، وجنوب شرق آسيا، والصين، واليابان، وكوريا، وعند مراجعة النشاطات الاستشراقية نجد أن هذه المناطق نالت اهتماماً كبيراً في الدراسات الاستشراقية، ولكنها عندما بدأت دراسة المناطق أو الدراسات الإقليمية أصبحت تخصص بدراسات خاصة بها مثل الدراسات الصينية، أو الدراسات الهندية، أو الدراسات اليابانية [2].

يقول الدكتور خليل الرحمن عبد الرحمن واصفاً موقف إقبال من الاستشراق:«وفي شأن حركة الاستشراق يرى إقبال أنها جزء من سياسة الاستعمار الغربي، فإذا اقتحم الغربيون شعباً ينهبون ثرواته وخيراته بما فيها أهم مكتباته ونادر كتبه...» [3]، وقد تأملت كثيراً في دواوين إقبال فوجدته يؤكد صحة ما ذكره خليل الرحمن، فقد تطرق

---

(١) الاستشراق: هو اشتغال طائفة من الباحثين الغربيين بدارسة علوم الشرق وحضاراته وأديانه، وقد غلب إطلاق اسم المستشرقين على الكتاب الغربيين، الذين يكتبون عن الإسلام وعقيدته وتاريخه وحضارته وحركة الاستشراق حركة قديمة، ولدت في أحضان الكنيسة، ونشأت برعاية اليهود والنصارى، ووظفت لخدمة الاستعمار. انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص (٥٢- ٦٨)؛ الموجز في الأديان والملل والمذاهب المعاصرة ص (١٧٤)؛ أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها — التبشير، الاستشراق، الاستعمار- دارسة وتحليل وتوجيه، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص(١٢٠-١٢٢)، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة الثامنة١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م. ص(١٢٠-١٢٢)؛ الموسوعة الميسرة (٢/٦٩٧-٧٠٧)؛ الاستشراق، د مازن مطبقاني ص (٤-١٨)، نسخة إلكترونية، موقع صيد الفوائد، التصنيف العام، قاضايا معاصرة، راجع الرابط على الشبكة العالمية الانترنت: http://www.saaid.net/book/open.php?cat=83&book=891

(٢) انظر: الاستشراق، د مازن مطبقاني ص (١٢-١٣).

(٣) انظر: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٢٦٣).

إقبال للسياسة الاستعمارية وربطها بالحقد الصليبي، فيرى إقبالاً أن كلاً من المخططات اليهودية والنصرانية تعمل على إبادة المسلمين وتشتيتهم واغتصاب بلادهم المقدسة، فقد كان من ضمن مخطط الاستعمار الغربي إجلاء مسلمي فلسطين عن ديارهم لإسكان اليهود فيها واستيطانهم إياها.

وما ذهب إليه إقبال من أن حركة الاستشراق جزء من سياسة الاستعمار الغربي صحيح لأن المستشرقين يلتقون مع الاستعمار الغربي في الأهداف والمبادئ بجامع أن كلاً منهما يهدف إلى إدخال المسلمين في الديانة النصرانية، أو رد المسلمين عن دينهم، أو على الأقل تشكيكهم بعقيدتهم، كما حاولوا من تمكين الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية فكرياً بمجيد القيم الغربية النصرانية وتشويه قيم الإسلام ومبادئه، وإذا ألقينا الضوء على بعض أهداف ودوافع ومناهج الاستشراق وجدناها ذات ارتباط وثيق بالاستعمار الغربي كما ذهب إلى ذلك إقبال، وما إنشاء الجمعيات الاستشراقية مثلاً إلا خدمةً للاستعمار الغربي(١).

وأوجه العلاقة بين الاستشراق والاستعمار الغربي كثيرة منها (٢):

- أنَّ أكثر المستشرقين من رجال الكنيسة الذين يحملون في نفوسهم أهداف التنصير ومخططاته، كما أن المنصرين اعتمدوا على مؤلفات وكتب ورسائل المستشرقين واستفادوا منها في حملاتهم التنصيرية، وبذلك كان المنصرون والمستشرقون هم المقدمات النفسية والمعنوية لطوابير الجيوش الاستعمارية، وهم الممهدون للسيطرة الغربية على مقدرات الأمة المسلمة ومواردها وخيراتها.

---

(١) من هذه على هذه الجمعيات الجمعية الآسيوية في باريس تأسست عام ١٨٢٢م، والجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا وأيرلندا تأسست عام ١٨٢٣م، والجمعية الشرقية الأمريكية تأسست عام ١٨٤٢م والجمعية الشرقية الألمانية تأسست عام ١٨٤٥م.

(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاثة ص (١١١وما بعدها)؛ الاستشراق ص (٤٢-٤٣ /٤٥-٤٦).

- أنَّ حركة الاستشراق مُسخَّرة في خدمة الاستعمار، وفي خدمة التنصير، وفي خدمة اليهودية والصهيونية، التي يهمها إضعاف الشرق الإسلامي وإحكام السيطرة عليه بشكل مباشر أو غير مباشر، سواءً من الجوانب العلمية والفكرية أو القوة والهيمنة العسكرية.

والحاصل أن الاستعمار تمكن بالتعاون مع الاستشراق في إحداث تغيرات اجتماعية كبيرة في البلاد التي وقعت تحت الاحتلال الغربي، ففي الجزائر مثلاً حطم الاستعمار الملكيات الجماعية أو المشاعة للأرض؛ وذلك لتمزيق شمل القبائل التي كانت تعيش في جو من الانسجام والوئام، وقد تعاون الاستشراق والاستعمار على إحداث النــزاعات بين أبناء البلاد الإسلامية بتشجيع النــزعات الانفصالية، كما حدث في المغرب العربي أيضاً بتقسيم الشعب المغربي إلى عرب وبربر والتركيز على فرنسة البربر وتعليمهم اللغة الفرنسية ونشر الحملات التنصيرية في ديارهم، وقد أنشأت الحكومة الفرنسية الأكاديمية البربرية في فرنسا لتشجيع هذه النــزعة. ومما سبق تبين لنا الصلة والعلاقة بين الاستشراق والاستعمار الغربي، والباحث في دوافع وأهداف الاستشراق يستطيع أن يتلمس تلك الصلة في أعمالهم وأبحاثهم ومؤلفاتهم ومؤتمراتهم وجمعياتهم، ومن خلال تفحُّص أوجه الصلة بين الاستشراق والتنصير، وبين الاستشراق والدوائر الاستعمارية الغربية يجد صحة ما ذهب إليه الشاعر محمد إقبال من أن الاستشراق جزء من سياسة الاستعمار الغربي.

خالف الشاعر محمد إقبال جملة من آراء المستشرقين في الأحكام الشرعية، ومنها تعدد الزوجات ونزع الحجاب [١].

---

(١) لم يكن الغرض من إيراد هذه المسألة – تعدد الزوجات ونزع الحجاب – إلا من أجل بيان مخالفة الشاعر محمد إقبال لآراء المستشرقين في بعض آرائهم وأفكارهم، وإلا فهناك بعض من كلامه يحتاج تعليق.

❖ **أولاً مسألة تعدد الزوجات:** يرى الشاعر محمد إقبال أن تعدد الزوجات جائز ومباح في الإسلام، وليس واجباً مأموراً به على وجه العموم، فإن المجتمع الإنساني قد يواجه ظروفاً يلجأ فيها إلى استخدام نظام تعدد الأزواج، مثلاً إذا ازداد عدد النساء على الرجال بكمية كبيرة، إثر حرب أو مرض أو حادث ذهب ضحيته كثير من الرجال، فالشريعة الإسلامية التي نزلت لتكفل وتكمل جميع حاجات البشر إلى الأبد، تتضمن حلولاً لجميع الأحداث والمشاكل التي من المحتمل أن يواجهها المجتمع في يوم من الأيام، ومن بين تلك الحلول إباحة تعدد الزوجات.

يقول إقبال في مقابلة مع مندوب جريدة " ليفر بول بوست ":«إن تعدد الزوجات جائز طبعاً في شريعة الإسلام، وذلك هو السبيل الوحيد لإنهاء الرذيلة الاجتماعية التي تسمى " البغاء " فإن الزواج بواحدة هو الوضع الأمثل عندنا مثل ما هو عندكم...»(١).

ويقول إقبال في خطاب وجهه إلى سيدات مدراس:«إن الإسلام قد راعى التيسير في عموم أحكامه فلم يأمر بتعدد الزوجات بل سمح به وجوَّزه، فإنه قد نصادف في الحياة ظروفاً تلجئنا لاستخدام تعدد الزوجات، فالمجتمع الذي لا يملك مثل هذا النظام، يواجه في تلك الأحوال مشاكل صعبة ولستنَّ غافلات عن ذلك. فقد واجهت ألمانيا مثل هذه المشكلة، فأباحت تعدد الزوجات لكل رجل فيها لمدة عشرين عاما...» (٢).

ويقول ضمن مذكراته الخواطر الشاردة تحت عنوان " تعدد الزوجات ":« لم يكن القصد من نظام تعدد الزوجات أن يكون عاماً وشاملاً بل قد سمح بوجوده لمقاومة بعض المشاكل التي لا تخص المجتمع وحده. فإن أبغض المباحات في الإسلام الطلاق،

---

(١) انظر: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٢٨٥).

(٢) انظر: المصدر السابق ص (٢٨٥).

فتسامح الإسلام بتعدد الزوجات، جزئياً حتى لا يصبح الطلاق ظاهرة اجتماعية شاملة ...» [١].

وإذا نظرنا إلى مثل هذه الدعاوى عند المستشرقين من محاولة منع تعدد الزوجات أو نزع الحجاب أو ما يعبر عنه بـــ : "تحرير المرأة" ولكنهم – وإن نجحوا في ذلك – خابوا وخسروا، إذ امتد الوعي الإسلامي عند النساء المسلمات، فقد أصبحت المرأة المسلمة – ولله الحمد – تعرف حقيقة التآمر الغربي الصليبي واليهودي ضد بنات جنسها، وأصبحت تعلم بوعي أن الإسلام أعطاها من الحقوق ما لم تنله المرأة في ظل المبادئ والدساتير والأديان المصطنعة، وأصبحت تدرك أن كل من يتباكى على المرأة إنما يريد بها شراً، فالغرب يريد إفساد الأسرة المسلمة لأنها النواة الأولى في المجتمع الإسلامي، ويريد أن يحطم الأخلاق والقيم التي تقوم عليها المجتمعات القوية، وأُجراء الغرب يريدون سلبها أعزَّ شيء لديها، ألا وهو عرضها وعفافها، لتكون متعة رخيصة في سوق الملذات والشهوات[٢].

❖ **ثانياً مسألة الحجاب:** نادى الشاعر محمد إقبال بضرورة الحجاب للمرأة المسلمة، وأنه أفضل درع يقي المرأة أعين السوء فيجب عليها ارتداؤه للحفاظ على أنوثتها ولطافتها وكرامتها، ويؤكد إقبال أن المرأة ينبوع للحياة، ومن طبيعة منبع للحياة أن يبقى كامناً خفياً.

يقول إقبال مقابلةٍ مع مندوب جريدة "ليفر بول بوست":«لقد أخطأ الأوربيون في فهم عديد من تقاليدنا وبالأخص في شأن نفسية الحجاب، فإن منشأه ليس غيرة الرجل بل الشعور بأن المرأة محترمة فلا يقع نظر الأجنبي عليها... – إلى أن يقول في

(١) انظر: المصدر السابق ص (٢٨٦).

(٢) راجع أجنحة المكر الثلاثة ص (٥٦٥-٦٢١) فقد عقد المؤلف فصلاً كاملاً حول المرأة في الإسلام.

آخر المقابلة – فالحجاب هو المصدر والرمز للاحترام العظيم الذي تتمتع به المرأة الشرقية»[1].

ونظم الشاعر في ديوان ضرب الكليم تحت عنوان: " الخلوة "[2]، أبيات بيَّـــن فيها أن المرأة مصدر الحياة فيجب إخفاؤها:

فَضَـحَ العصرَ جِنّـةٌ بـالسُّفُـورِ   نُـورُ عَـيْنٍ وظُلمـــةٌ فـي الصُّـدورِ

إن تجُـز متعـةُ العيـون مَـداها   كـان فيهـا الشتـــاتُ فـي التفكـيرِ

قطـرةُ الماء لا تُحـــوَّل دُرّاً   دون أصـدافــها بقــاعِ البحـــورِ

تُمسكُ الذَّاتُ نفسَهـا حين تَخلو   لا خـــلاءٌ بمسجـــدٍ أو ديــورِ

فإقبال يقول في هذه الأبيات لماذا تخرج المرأة على أحكام الدين وتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم، وتبدي مفاتنها للقاصي والداني والقريب والبعيد ؟ لقد كشفت عن صدرها وَسَفُرَتْ، اقتداء بجنون الغرب عن نور عينيها، فهل للعين بعد تجاوز مدى رؤيتها سوى اختلال التفكير وتشتته، فالدرة في البحر تفقد معناها دون صدف.

حكى الأستاذ أبو الأعلى المودودي أن إقبالا كان يحب التزام الحجاب في حياة أسرته، وكان يدافع عن أحكام شريعة الله لا يخاف لومة لائم، فقد طلبت منه حكومة الهند الإنجليزية ذات مرة أن ترسله سفيراً لها إلى أفريقيا الجنوبية وقدمت له ذلك المنصب رسمياً، على شرط أن تكشف زوجته وجهها وتشارك معه في الحفلات ولكنه رفض ذلك العرض وقال للورد ويلينجدون (**LORD WILLINGDON**) الحاكم الإنجليزي بالهند آنذاك:«إنني رجل آثم، كثيراً ما أفرط في أحكام شريعة الله ولكنني لا أستطيع أن أقبل هذه المهانة، فأخالف حكم الشريعة لمجرد الحصول على منصب منكم...»[3].

(١) انظر: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٢٨٣ – ٢٨٤).

(٢) انظر: ديوان ضرب الكليم (٢/٨٠).

(٣) انظر: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٢٨٣-٢٨٤).

ولا يخفى على كل مسلم أن الحجاب الشرعي هو شعار أصيل للإسلام، ولهذا تقول عائشة – رضي الله عنها – :«**يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلَ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ o p q r ﴾**(1) **شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ**(2) **فَاخْتَمَرْنَ بِهَا**»(3)، ولهذا كان انتشار الحجاب أو انحساره مقياساً للوعي الإسلامي في المجتمع ومدى ارتباط الناس بالله سبحانه وتعالى، وكان انتشاره مغيظاً لأولئك المنافقين المبطلين من المستشرقين والمستغربين وأذنابهم من أبناء المسلمين.

إنَّ الباحث في الفكر الاستشراقي وعلاقته في الإنتاج الشعري والنثري الذي خلفه الشاعر محمد إقبال، يجد فيه بعض التأثر بالمستشرقين وأعلامهم، فمثلاً نجد أن إقبالاً تأثر كثيراً بأستاذه الفيلسوف المستشرق توماس آرنولد، حيث رحب هذا المستشرق بميل تلميذه إلى الفلسفة فكان له خير مرشد ومعين، وسرعان ما توثقت بينهما أواصر الصداقة، واستحكمت الألفة بينهما، وكثيراً ما كان توماس آرنولد يفخر بذكاء تلميذه إقبال، ويعتز بصداقته وظلت هذه العلاقة وطيدة الأركان. وهذا المستشرق هو الذي مهد لتلميذه الطريق للثقافتين الشرقية والغربية على السواء إبَّان وجوده في الهند، وأشار عليه بالسفر إلى ديار الغرب لمزيد من التخصص وإتمام الدَّراسة. وفي لندن التقى محمد إقبال بأستاذه توماس آرنولد مرة ثانية، وكان اللقاء أكثر حيوية وأكثر فائدة بعد أن ترقى إقبال في مدارج العرفان، وحاز تخصصاً متيناً في العلوم الفلسفية التي كان يشتغل

---

(1) سورة النور آية: (31).

(2) مُرُوطَهُنَّ: جمع مرط وهو الإزار. انظر: فتح الباري (8/627).

(3) الحديث أخرجه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى:﴿ o p q r ﴾، رقم الحديث: (4758)، من حديث عائشة. (6/109).

بها أستاذه، مما هيَّأه إلى أن ينوب عنه في تدريس الآداب العربية بجامعة كمبردج لستة أشهر عند غيابه [1].

إنَّ من أسباب تأثر الشاعر محمد إقبال بالمستشرق توماس آرنولد مسايرته كبار العلماء والأدباء في شبه القارة الهندية مثل شبلي النعماني [2] وغيره، بجامع التقدير والإعجاب. ومن باب إنصاف الشاعر فإن تأثره بالمستشرق توماس آرنولد لم يجعله يذكر حقيقته التي يضمرها من كونه نصرانياً وأنه يتربص بالمسلمين الدوائر، فلما سمع إقبال نبأ وفاة آرنولد في عام ١٩٣٠م حزن له حزناً بالغاً وقال متأسفاً: فقد إقبال صديقه وأستاذه، فأخذ السيد نيازي يذكر حبه للإسلام ودفاعه عن هجمات المسلمين المتعصبين للإسلام، ثم تساءل أخيراً أنه إذا كان السير آرنولد يدافع عن الإسلام وكان يعترف بصحته وحقيقته فلماذا لم يعتنق الإسلام؟ وأجاب إقبال عن ذلك أن سعة نظر آرنولد كان يجبره على التعاطف مع الإسلام والمسلمين ولكنه كان إنجليزياً ومسيحياً فكان يفرق بين الدين والدولة، وكان حبه وولاؤه سياسياً لصالح انجلترا فحسب فكان يرغب في إيجاد علاقات الصداقة والولاء بين انجلترا والبلاد الإسلامية، وبعبارة أخرى في إرضاء المسلمين لقبول الاستعمار البريطاني على أراضيهم[3].

إنَّ هذا التأثر من الشاعر محمد إقبال يعتبر من أخطر آثار الاستشراق لأن إقبال يمثل منــــزلة المفكر، والمربي، والسياسي، والقيادي للمسلمين في القارة الهندية، كما أن هذا التأثر الذي انطبع في فكره ستكون نتيجته إخلالاً بالثوابت والمسلمات عند المسلمين، وذلك بما سيواجه إقبال من فكر منحرف أو ما يخلفه من آراءٍ هي محل نقد واعتراض

---

(١) انظر: إقبال الشاعر الثائر، د. نجيب الكيلاني، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـــ /١٩٨٨م.ص (٢٩-٣٠)؛ مجلة فكر وفن، عدد: (٣٢)، مقالاً بعنوان: محمد إقبال وعلاقته بالثقافة الغربية، مانويل فايشر. ص (٥).

(٢) شبلي النعماني: باحث ومن رجال الإصلاح الإسلامي في الهند، برهمي الأصل، اعتنق الإسلام جده الثالث عشر، شارك في إنشاء دار العلوم التابعة لندوة العلماء في لكهنو، توفي ١٣٣٢هـــ / ١٩١٤م. انظر: الأعلام (١٥٥/٣).

(٣) انظر: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٦١-٦٢).

في الدين الإسلامي، فقبوله لمثل هذه الشخصيات اللامعة في الانحراف هي بعضٌ من السموم التي تلقَّها من الفكر الغربي باسم التجديد تارة أو باسم الحرية تارة أخرى، وهذا بالفعل ما أثر على فكره وآرائه العقدية.

ومن مظاهر تأثر إقبال ببعض أفكار المستشرقين وآرائهم عندما وصف الحركة البابية – في بداية أمره – من الحركات الإسلامية الإصلاحية مقارناً بها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – فإنَّ إقبالاً لم يدرس هذه الفرقة الضالة المارقة من مصادرها الأصلية، بل قرأ عنها من وصف المستشرقين الأوروبيين، وأخذ بكلامهم بتقليد وإتباع، فصدَّق ما وصفوا، والمستشرقون إن وصفوا شيئاً في الإسلام أو في الحركات الإسلامية على أنه حسن فلأنه يصادف غرضاً خاصاً يتصل بإضعاف المسلمين والجماعة الإسلامية.

يصف الدكتور محمد البهي تمجيد محمد إقبال للمستشرقين وتقليدهم بقوله:«إن السبب في تمجيد إقبال للحركة التجديدية في تركيا، إتباعه للمستشرقين في ذلك هو تقليد لهم في الرأي، وليس نتيجة مباشرة لدراسته هذه الحركة...»[(١)]، ويقول في موضع آخر:«ولأن إقبال يمجد نهضة تركيا الحديثة من جانب، ويشجع الرياضة الصوفية من جانب آخر: يمتدحه المستشرقون في حديثهم عند تعرضهم للحركات الإسلامية المعاصرة، ويذكرون له من حسناته فقط هذين الأمرين...»[(٢)]. وحسن ظن إقبال بالمستشرقين جعل فيه نقطة ضعف أخرى، وهي ثقته فيما يكتبون، وتقبله له دون تمحيص لما يكتبونه.

---

(١) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص (٤٩٣).

(٢) انظر: المصدر السابق ص (٤٩٤).

وفي الختام فإنَّ الشاعر محمد إقبال لم يكن له حديث مطول عن نشأة الاستشراق وبدايته، أو أهدافه ودوافعه، - فيما وقفت عليه - وإنما بعض الإشارات والنـــزر اليسير من مخالفته لبعض آراء المستشرقين، والتأثر ببعض أعلامهم. وثمة مسألة أختم بها الحديث وهي أنه قام عدداً من المستشرقين بترجمة أفكار إقبال ونشرها في البلاد الغربية، وذلك بهدف استغلال الانحرافات العقدية والفكرية عنده ونشرها في العالم على أنها الحق الذي لا يعدل عنه، وأنها تمثل الدين الإسلامي الصحيح.

المبحث الرابع:

رأي محمد إقبال في الشيوعية وتقويمه[١].

شهد العصر الذي عاش فيه الشاعر محمد إقبال صراعا فكرياً عقائدياً بين الدين الإسلامي الحنيف وبين تيارات أخرى مثل الشيوعية والقومية العربية وغيرهما، وفي خضم هذه التيارات الفكرية المنحرفة تأثرت شبه القارة الهندية بالثورة الماركسية وبعباراتها البراقة وأقنعتها المزيفة، وهذا التأثر يظهر في جور الرأسمالية واستغلالها الطبقة العاملة في الهند، كما ظهر عامل جديد في الحياة السياسية في الهند تحت وطأة الاحتلال البريطاني وهو بزوغ طبقة عمال الصناعة وأصبحت أفكارهم ومعتقداتهم عاملاً سياسياً جديداً يؤثر في طبيعة النضال من أجل التحرر. أثرت الأفكار الشيوعية بدرجات متفاوته على الشباب والجماعات في شبه القارة الهندية، وفي ظل هذه الظروف السياسية والعقائدية المضطربة حاول الشاعر محمد إقبال إبراز منهج الإسلام في حل مشكلات المجتمع الهندي، وأكد على العمل بمبادىء العدالة الاجتماعية في الإسلام والأخوة وخاصة ما تحقق منها في صدر الإسلام. والجدير بالذكر أن إقبالاً كان أول شاعر يتحدث عن معاناة الطبقة العاملة في الشعر الأُردي[٢].

بعد جمع آراء الشاعر محمد إقبال حول الشيوعية، وموقفه منها رأيت أنه مر بثلاث مراحل يمكن إجمالها في الآتي:

---

(١) تعرَّف الشيوعية بأنها مذهب اقتصادي سياسي يعتمد على أساس من الإلحاد والمادية والتاريخية الاجتماعية، والشيوعية نظام يقوم على إلغاء الملكية الفردية، وعلى حق الناس في الاشتراك في المال والنساء؛ فالناس في الشيوعية شركاء في المال، والنساء، وسائر الثروات والمكتسبات. انظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، الناشر: دار الشروق، الطبعة السادسة١٤١٢هـ/١٩٩٢م.ص (٢٥٩) وما بعدها؛ الموسوعة الميسرة (٢/٩٢٩-٩٣٤)؛ رسائل في الأديان والفرق والمذهب ص (٣٥٤-٣٥٥)؛ بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات (٢/٢٢٥-٢٣٥)؛ الموجز في الأديان والذاهب المعاصرة ص (٩٠).

(٢) انظر: فلسفة إقبال ص (١٦٤)؛ مجلة فكر وفن، عدد: (٣٢)، مقالاً بعنوان: الفكر الاجتماعي عند محمد إقبال، بقلم: يان ماريك، ص (٧٦).

❖**المرحلة الأولى:** يرى إقبال أن الحركة الشيوعية توقظ الشرق المضطهد على وجه العموم وتستفيد منها أمم آسيا التي يمثل المسلمون جزءاً كبيراً من بينها. فإقبال يصف الحركة الشيوعية بأنها مطلع لنهضة جديدة في تاريخ الإنسان المعاصر، وإن الثورة – أي البلشفية – التي قامت تعارض الاستعمار والرأسمالية وجميع أنواع الملكية والبرجوازية (١)، وتقوي اليد العاملة والبرولتارية (٢)، وتدافع عن حقوق المستضعفين والمضطهدين وتنادي بالحرية والمساواة، على ما ادعاه القائمون بتلك الثورة (٣).

يقول إقبال:«ولما كانت البلشفية مع الاقرار بالله تساوي الإسلام تقريباً، فإني لا أعجب لو رأيت في يوم من الأيام أن الإسلام قد احتوى الروس أو الروس قد اعتنقوا الإسلام. وتتوقف النتيجة إلى حد كبير، فيما أرى على المكانة التي تعطي لمسلمي الهند في الدستور الجديد» (٤).

❖**المرحلة الثانية:** موقف إقبال في هذه المرحلة مختلط، يستنكر ما في الشيوعية من الإلحاد والمادية والمساواة المبنية على أساس الطعام والبطن استنكاراً صريحاً بالغاً، بينما يستحسن معارضتها للرأسمالية والاستعمار ومناداتها بحقوق العمال والمضطهدين.

يقول إقبال في ديوان ضرب الكليم تحت عنوان "فلكُ عُطارد":«أما الشيوعية يا

---

(١) البرجوازية: كلمة فرنسية الأصل أطلقت أصلاً على سكان بعض المدن الفرنسية ثم أطلقت بعد ذلك على طبقة التجار، وأصحاب الأعمال، والمحلات العامة، ولقد قاومت الإقطاع وأصحاب الحق الإلهي في أوروبا وقامت على أنقاضهما، وتطلق البرجوازية أحياناً على كل روح خالية من صفات الإقدام وحب المخاطرة والعزة والأنفة. انظر: المعجم الفلسفي ص (٣٣)؛ الموسوعة الميسرة (٢/٩٩٥-٩٩٦).

(٢) البروليتارية: طبقة العمال الكادحة، أوطبقة الصعاليك التي تمنيها الماركسية بملك زمام الحكم، واستحقاق المكاسب دون سائر الطبقات، والبروليتارية تعبير قانوني روماني يطلق على المواطن الذي ليست له صفة سوى إنجاب الذرية وأطلقه المفكر الاشتراكي الخيالي "سان سيمون" على من لا يملكون نصيباً من الثروة ولا يتمتعون بأي ضمانات في الحياة وقد استخدمت النظرية الاشتراكية العلمية " الماركسية " مفهوم البروليتاريا في إنشاء مجتمع الملكية العامة اللاطبقي الذي ادعت إمكانية إنشائه، وكذبها الواقع والتاريخ في ذلك. انظر: بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات (٢/١٦٧-١٦٨)؛ والموسوعة الميسرة (٢/٩٩٨-٩٩٩).

(٣) انظر: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٢٣٤).

(٤) انظر: المصدر السابق ص (٢٢٧).

عزيزي ! فإنَّ مصدرها ذلك الإسرائيلي – كارل ماركس[1] –، الذي خلط الحق بالباطل، وآمن قلبه وكفر عقله، إن الغربيين فقدوا القيم الروحية، والحقائق الغيبية، وذهبوا يبحثون عن الروح في "المعدة" إن الروح ليست قوتها وحياتها من الجسم، ولكن الشيوعية لا شأن لها إلا "بالمعدة والبطن"، وديانة ماركس مؤسسة على مساواة البطون، إنَّ الأخوة الإنسانية لا تقوم على وحدة الأجسام والبطون، وإنما يقوم على محبة القلوب، وألفة النفوس... إنَّ "المُلوكيَّة" و "الشيوعية" تلتقيان على الشَّره والنَّهامة والقلق والسآمة، والجهل بالله والخداع للإنسانية...»[2]، فإقبال في هذه المرحلة يصف ماركس بأنه آمن قلبه وكفر عقله، بمعنى آمن بمبدأ العدل والمساواة، وكفر بإنكاره لوجود الله وإلحاده في نظريته الماركسية، كما ينقد إقبال في هذه المرحلة الفكر الماركسي المادي الذي حمل لواءه كارل ماركس ويعيب عليهم إهمال الجوانب الروحية وتقديم الأسس المادية.

❖**<u>المرحلة الثالثة</u>:** أدرك إقبال أن الشيوعية قناع من أقنعة الاستعمار الغربي وشبكة من شباك إبليس ونوع من أنواع الفاشية[3]. أوضح إقبال موقفه من الاشتراكية ضمن خطابه إلى رئيس تحرير جريدة "زميندار" الذي نشر في يونيو عام ١٩٢٣م، رداً على ما نسب إليه بعض الناس من اتجاه إلى البلشفية قائلاً:((سعادة رئيس تحرير جريدة زميندار المؤقر. السلام عليكم : لقد سمعت الآن أن بعض الناس نسب إليَّ في جريدتكم

(١)كارل ماركس: مؤسس الشيوعية الحديثة، ويذكر الباحثون في شخصيته أنه رجل فاشل معقد يحمل كل خصائص اليهود، من الحقد والكراهية لجميع البشر، إضافة إلى أنه كسول فقير معوز، لذلك استغل اليهود أوضاعه النفسية والمادية الصعبة، كل ذلك جعل ماركس ينادي بالنظرية الشيوعية، توفي ماركس١٨٨٣م. انظر: أعلام الفلسفة الحديثة، د. علي عبد المعطي محمد، الناشر: دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩٧م. (٢٩/٢).

(٢) انظر: تجديد التفكير الديني ص (٢١٦)؛ ديوان رسالة الخلود (١٩٦/٢)؛ ديوان ضرب الكليم (١١١/٢).

(٣) الفاشية ويقال الفاشستية: هي نظام، أو حركة أو فلسفة سياسية تمجد الدولة، والعرق، وتدعو إلى إقامة حكم أوتوقراطي مركزي على رأسه زعيم دكتاتوري، وإلى السيطرة على كل شكل من أشكال النشاط القومي. ومن أبرز زعماء هذه الحركة الزعيم الإيطالي موسوليني. انظر: الشيوعية، محمد بن ابراهيم الحمد، الناشر: دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى١٤٢٣هـــ / ٢٠٠٢م. ص (٢٢) حاشية رقم (٢).

الاتجاهات البلشفية (وإنني لم أر الجريدة إلى الآن) فمن الواجب عليّ أن أردّ على هذا المقال، نظراً إلى أن الاعتقاد بالبلشفية في نظري، يرادف الخروج عن عقيدة الإسلام. فالحمد لله أنا مسلم، ومن عقيدتي القائمة على أساس الأدلة والبراهين، أن القرآن الكريم يعالج المشاكل الاقتصادية بأحسن الأساليب. ولا شك أن قوة رأس المال إذا تجاوزت الاعتدال، فهي لعنة ومصيبة للعالم، ولكن سبيل التخلص من أضرارها ليس أن تفني هذه القوة، كما يقرره البلشفيك. فإن القرآن الكريم يقرر نظام الإرث والزكاة ومثل ذلك لاستغلال هذه القوة في حدود مناسبة. والواقع أن هذا الطريق هو الصالح للعمل نظراً إلى جبلة الإنسان. إن بلشفية الروس رد فعل شديد ضد رأسمالية أوروبا القائمة على الحمق والاعجاب بالنفس. ولكن الحقيقة أن كلا من رأسمالية الغرب وبلشفية الروس نتيجة حتمية للأفراط والتفريط، وأن طريق الاعتدال هو ما هدى إليه القرآن الكريم ... وإنني على ثقة أن الروس بعد العثور على نقائص نظامهم الحالي بالتجربة، سيجدون أنفسهم مضطرين للرجوع إلى نظام يكون إما إسلامي الأساس بتمامه أو شبيها به. وفي الهيئة الحاضرة للبلشفية لا يمكن للمسلم أن يستحسن ما أقدموا عليه، مهما حسن هدفهم الاقتصادي. ولا بد للمسلمين أن يتعمقوا في دارسة التعليم الاقتصادي القرآني، فإنني على ثقة أنهم يجدون حل مشكلاتهم في ذلك الكتاب...»[(١)].

وكتب إقبال إلى السيد خواجه غلام السيدين في أكتوبر عام ١٩٣٦م:«إن الاشتراكيين في جميع العالم يعادون مسلك الروحانية ويتصورونه أفيوناً. وأول من استخدم كلمة أفيون في هذا الخصوص هو كارل ماركس. إنني مسلم وإن شاء الله سوف أموت مسلماً وفي رأيي أن التفسير المادي للتاريخ الإنساني خطأ على الإطلاق، إنني أعتقد بالروحانية ولكن بتلك الروحانية التي نطق بها القرآن الكريم والتي شرحتها

(١) انظر: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٢٢٩-٢٣٠).

في أقوالي بين حين وآخر... أما الروحانية المبغضة عندي – وهي تملك خصائص الأفيون – فقد أنكرهما في أكثر من موضع...»[1].

وكذلك كتب إلى الأستاذ آل أحمد سرور في عام ١٩٣٧م:«وفيما أرى أن الفاشية والاشتراكية أو أي مذهب حديث ليس بشيء، فإن ما أعتقده أن الإسلام هو الحقيقة الفريدة التي تضمن نجاة البشر من جميع الوجوه»[2].

ويقول إقبال في كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام:«لا أسلوب التصوف في العصور الوسطى ولا القومية ولا الاشتراكية الإلحادية بقادرة على أن تشفي علل الإنسانية اليائسة...»[3].

والحاصل أن هذا الرأي هو الذي استقر عليه إقبال في موقفه من الشيوعية، ومما يؤيد ذلك عِدة أمور منها:

- أن الشاعر محمد إقبال ندد بالاشتراكية في خطابه الذي ألقاه من محطة الإذاعة لعموم الهند – **all India redio** –، يقول بصراحة بالغة:«إن البشرية التي نراها اليوم محبوسة في أيدي المصائب والمشاكل تتقدم إلى الانهيار والهلاك بسبب نظامها وقوانينها الوضعية»، وبعد سنتين من إلقاء ذلك الخطاب ظهر بالفعل ذلك الانهيار والدمار على صفحة العالم كله في شكل نشوب الحرب العالمية الثانية، وقد بين إقبال في بيانه أن النظم والقوانين الوضعية التي وضعها الإنسان بنفسه، هي المنبع الأساسي الأصيل لمصائب البشر، والإنسان يواجه اليوم كثيراً من مشاكله الرئيسة بسببها لأنها هي التي هيئت المناخ الملائم للوصول إلى طريق الانهيار والدمار والهلاك، وندد إقبال في بيانه أن جميع النظم الوضعية مثل

(١) انظر: المصدر السابق ص (٢٣٠).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢٣٠).

(٣) انظر: تجديد التفكير الديني ص (٢١٧).

الرأسمالية والملكية والدكتاتورية والنازية الفاشية، وأخذ قراراً نهائياً في شأنها قائلاً: «إنها مدمرة للبشرية جمعاء»(١).

- من ضمن الرسائل التي وجهها إقبال إلى القائد محمد علي جناح عند تأسيس دولة الباكستان، تكوين دولة إسلامية أو أكثر في المناطق ذات الأغلبية المسلمة، حتى يتمكن مسلموها من أن يطبقوا نظام الشريعة الإسلامية، وأن إقامة تلك الدولة هو أفضل ردٍّ على الاشتراكية الإلحادية التي نادى بها جواهر لال نهرو الزعيم الهندوسي(٢).
- أن إقبال لا يريد للمسلم المعاصر أن يكون في وضع الأوربي المعاصر، وإنما يريد له أن يبقى مؤمناً بإسلامه، على أن يلائم نفسه مع أوضاع الحياة العصرية وأحوالها وأن يكون يقظاً لتلك التجربة الاقتصادية الجديدة "الاشتراكية الشيوعية" التي تجرَّب على مقربة من آسيا الإسلامية، وأن نفتح أعيننا على ما ينطوي عليه الإسلام من معنى وعلى مصيره (٣).
- اهتم إقبالاً اهتماماً كبيراً بوضع الطبقة العاملة ودافع عن حقوقها ومن ضمن أقواله في المطالبة بأداء حق العامل ويرفع مكانة المستضعف ما جاء في ديوان جناح جبريل تحت عنوان "أوامر الله للملائكة" :«أيها الملائكة قوموا وأيقظوا المساكين والفقراء من دنياي، وهزوا وزلزلوا البيبان والجدران من قصور الأمراء والأثرياء. وأدفئوا دم المستعبدين بحرارة اليقين والإيمان ليتمكن العصفور المسكين من مقاومة الصقر. ويوشك في هذا الحين أن يتولى الجماهير الحكم، فامحوا كل أثر قديم ترونه واحرقوا كل سنبلة قمح من حق لا يستطيع الفلاح تحصيل قوته

---

(١) انظر: الاتجاه الإسلامي في شعر محمد إقبال ص (٢٨٧-٢٨٨).

(٢) انظر: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره ص (٢٨٧) - بتصرف -.

(٣) انظر: تجديد التفكير الديني ص (٢٠٧)؛ الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص (٤٣١).

منه وأنني لست راضياً عن هذه القطع الرخامية فاصنعوا لي حرماً جديداً من تراب» [1].

وبهذا تبين لنا أن الشاعر محمد إقبال حارب الشيوعية، وموقفه واضحٌ جلي لا كما ظن بعض النقاد – بسؤ ظنه أو سؤ فهمه للسياق والتعبير الشعري – أن إقبال كان اشتراكياً وهو يستدل بقول الشاعر فيما معناه: لو لم يجد الفلاح قوتاً لنفسه من الأراضي الزراعية فأحرقوا جميع مستودعات القمح، وفي الحقيقة فإن إقبال لم يقصد بقوله هذا الدعوة إلى النظام الاشتراكي المادي ولا يدعو إلى الثورة الفوضوية بل يريد أن يقول: أن الإنسان إذا لم ينل شيئاً من ثمار كده وتعبه فلا خير في هذه الثمار، ثم إن هذه تمثل لحظة انفعال من شاعر ولا تدل على نظرية ثابتة[2][3].

---

(١) انظر: موقف محمد إقبال من الحضارة الغربية (٢٢٦)؛ وانظـــر الأبيات منظومة في ديوان جناح جبريل (٤٩٣/١-٤٩٤).

(٢) انظر: الاتجاه الإسلامي في شعر محمد إقبال ص (٢٨٨).

(٣) الشيوعية مذهب كفري باطل، بل يعد أحط المذاهب الكفرية على مدار التاريخ؛ وقد أصدر المجمع الفقهي فتوى تقتضي حكم الانتماء إلى الشيوعية، حيث عرض موضوع الشيوعية على مجلس المجمع في دورته الأولى المنعقدة في ١٠-١٣٩٨/٨/١٧هـــ . انظر: رسائل في الأديان والفرق والمذهب ص (٤٦٤-٤٦٨).

المبحث الخامس:

رأي محمد إقبال في القومية وتقويمه(١).

في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين الميلادي تدهورت أحوال المجتمع الهندي تدهوراً كبيراً، فقد عمَّها الاضطراب الذي ساد معظم بلاد الشرق، وبذلك انتشرت عوامل النزعة العنصرية والتعصب القومي، وترددت أصوات المنادين من بعض طبقات المجتمع الهندي بالوطن والقومية، وهذا بالفعل كان من ثمرات الاستعمار الغربي الذي استطاع تشتيت العالم الإسلامي بزرع النعرات القومية فيما بينهم. عند الحديث عن رأي وموقف الشاعر محمد إقبال من القومية، فإننا نقول أنه مر بطورين هما:

❖**أولاً:** قبل ذهابه إلى الغرب – أوروبا عام ١٩٠٥م – كان شديد التحمس لخدمة الوطن والمواطنين، بتعدد أطيافهم ومشاربهم ومللهم ونحلهم، وكان إقبال عميق التأثر بالنزعة القومية الوطنية، لأنه رأى وطنه مقهوراً بضغط الاستعمار الغربي ومضطهداً بالاستبداد الأجنبي، فكان جل شعره في تلك الحقبة وخاصة ديوان رنين الجرس متمسكاً بخالص حبه وكامل ولائه لوطنه، ومثيراً للكراهة والعداء في قلوب إخوانه المواطنين نحو أعدائهم المستعمرين، ولكن لم يكن مبعث تلك النزعة لديه عواطف التعبد للأرض أو تقديس المادة والتراب، بل على عكس ذلك حيث رأى توحيد كلمة إخوانه المواطنين الذين تفرقهم الملل والأجناس واللغات والتقاليد بدعوتهم إلى الوحدة الوطنية، لتمهد بذلك سبيل تخليصهم من قبضة الاستعمار الغربي الذي سلب منهم رفاهية العيش وعافية الحياة وحرية الجهد والعمل.

---

(١) القومية: تطلق هذه الكلمة " القومية"، ويراد بها أن أبناء الأصل الواحد واللغة الواحدة ينبغي أن يكون ولاؤهم واحداً، وإن تعددت أرضهم وتفرقت أوطانهم، كما يراد بها أيضاً: السعي للوصول إلى توحيد الوطن بحث تجتمع القومية الواحدة في وطن واحد شامل، فيكون الولاء للقومية مصحوباً بالولاء للأرض، ولكن يظل الولاء للقومية هو الأصل حتى وإن لم تتحقق وحدة الأرض. انظر: بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات (٢٧٣/٢)؛ الموسوعة الميسرة (٤٤٨/١).

يقول إقبال في ديوان رنين الجرس تحت عنوان "صورة الألم" مستحثاً أبناء وطنه على أن يستعدوا لمواجهة الأخطار التي تستقبلهم:«أيها الأخوة المواطنون، فكروا في معالجة مشاكل وطنكم قبل أن يفوت الأوان، فإن أعداءنا لازالوا يخططون لتحطيمنا وتدميرنا، ففكروا فيما يجري أمامكم حالا من الأحداث وما ستواجهونه مستقبلاً، لأن الماضي قد انتهى، فلا حاصل في بيان ما فاتكم من الفرص دون استغلال. فيا أهل الهند بادروا إلى تدبير الأمور ومعالجة المشاكل وإلا فلن يبقى أثر من حياتكم وذكراكم»(١).

❖**ثانياً:** بعد رجوعه من أوروبا – عام ١٩٠٨م – نجد أنه تراجع كلياً عن رأيه الأول، وحاول أن يوقظ الشرق بأكمله بدلا من الشعوب الهندية فحسب، إذ شاهد هناك كيف استغلها المستعمرون لزرع بذور الخلاف والعناد في قلوب الأمم المستعمرة لتفريقها ثم استبعادها، فانصرف إقبال عن تلك الفكرة وحاول أن يوحد صفوف العالم الإسلامي، فإنه كان أكبر ضحية للاستعمار، وأكثر البلاد عرضة للخطر والدمار، كما أن الأمة المسلمة كانت في أشد الحاجة إلى جمع كلمتها والرجوع إلى دينها الحنيف، وإلى توعية أبنائها وتقوية بنائها من جديد.

نظم إقبال أبياتاً في ديوان رنين الجرس تحت عنوان "القومية" تبين موقفه من القومية بعد تراجعه، أقتطف جزءاً منها، يقول:«إن هذا الصنم الذي نحت من الحضارة الجديدة، ينهب عُش الدين النبوي .. (غير أن) أيديك (أيها المسلم) قوية من قوة التوحيد، والإسلام وطنك .. إن الدمار (والهلاك) هما النتيجة (الحتمية) للتقييد في مكان، فكن محرراً من الوطن (القومية) كالسمك في البحر» (٢). يشير إقبال في القصيدة السابقة إلى أن الحضارة الغربية هي الطريق إلى الجور والظلم على الأمة

---

(١) انظر: ديوان رنين الجرس من الأعمال الكاملة لشاعر الإسلام محمد إقبال، ترجمة د. حازم محفوظ، ص (٨٢)، وأوسع تحليل قام به إقبال لفكرة القومية ما جاء في صحيفة "إحسان" في ٩ مارس عام ١٩٣٨م. انظر: كتاب محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٢٥٤-٢٥٨).

(٢) انظر: ديوان رنين الجرس من الأعمال الكاملة لشاعر الإسلام محمد إقبال، ترجمة د. حازم محفوظ، ص (١٦٥).

الإسلامية بخطرها المحدق من كل حدب وصوب، فقد نحتت الحضارة الغربية صنماً يدعى القومية والوطنية، كما شبه إقبال الذين يدعون إلى النـــزعة القومية ولا يدعون إلى القومية الإسلامية بالذين سجنوا في مكان لا يعرف !! لأن وطن المسلم في كل مكان.

ويقول إقبال في ديوان رسالة الخلود تحت عنوان: "الأفغانيُّ الدِّين والوطن "[1]:

مَكْــرُ لــوردِ الغَــرْبِ كمْ أعيا الفطَنْ — فطَّــنَ القــومَ بمعــــنىً لِلْــوَطــن

مــركزاً يبغــي وأنــت فــي النفــاق — انسَ حتَّى الشَّام، دَعْ أمْــرَ العراق

قَبْضَــةُ الطِّيــنِ تسمَّيهــا الــوطــن — دَعْكَ مِــنْ مِصْرَ وفُــرْسٍ واليَــمنْ

فهذه القصيدة جاءت على لسان جمال الدين الأفغاني فيقول إقبال: إن اللورد الغربي المجبول على المكر والخداع قد علم الوطنية أبناء الأديان، فهو يفكر في تأسيس مركز عالمي لنفسه، بينما المسلم بدأ يشك في دينه وثقافته، فلا بد للمسلمين أن يهجروا فكرة القومية، ويتعدوا حدود البلاد من الشام وفلسطين والعراق، فإنهم لو عرفوا الحق من الباطل وميزوا الطيب من الخبيث لما أخلصوا ولاءهم للأحجار والتراب، فحقيقة الدين أن يتعالى الإنسان عن التراب ويتعرف على حقيقة نفسه، فإن الذي يؤمن بلا إله إلا الله لا يسعه هذا الكون ولا تشغل قلبه الوطنية، فإن الذي يسمي الوطن مصر وإيران واليمن مثلاً معناه أن الإنسان الذي ولد ونشأ في قطعة من الأرض، ينسب إلى مولده ليتعارف من أخوته من بني أدم فحسب، وذلك على مثال الشمس التي تطلع من الشرق فينسب طلوعها إلى الشرق ويقال شرقية مولداً ومطلعاً، لكنها تملأ الآفاق بإشراقها وإشعاعها وتتعدى قيود الجهات والحدود، فطبيعتها ليست شرقية ولا غربية،

(١) انظر: ديوان رسالة الخلود (٢/١٩٥-١٩٦)؛ وانظر الأبيات نثراً: في كتاب محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٢٥٣-٢٥٤).

وكذلك نسبة المسلم إلى البلاد والوطن فإنها ليست إلا للتعارف بين إخوانه، فهو لا يقيد ولاءه بالأحجار والتراب ولا يعامل معاملة دينه وعقيدته.

ويوضح إقبال موقفه القاطع من الوطنية بقوله:«أنا لا أقبل الوطنية كما تعرفها أوروبا، وليس إنكاري إياها خوفاً من أن تضر بمصالح المسلمين في الهند، ولكني أنكرها لأني أرى فيها بذور المادية الملحدة، وهي عندي أعظم خطراً على الإنسانية في عصرنا، لا ريب أن الوطنية لها مكانها وأثرها في حياة الإنسان الأخلاقية، ولكن العبرة بإيمان الإنسان وثقافته وسننه التاريخية، هذه في رأيي الأشياء التي تستحق أن يعيش لها الإنسان ويموت من أجلها، لا بقعة الأرض التي اتصلت بها روح الإنسان اتفاقاً»[(١)].

ويقول أيضاً:«كنت أرى أن الوطن هو أساس لاتحاد المجتمع، ولذلك كنت أعتقد أن في كل ذرة من أرض الوطن معبود لي، وكانت أفكاري تميل إلى النواحي المادية آنذاك، ولم تكن أمامي وسيلة لاتحاد الإنسان سوى الوطن، ولكن الآن أرى أن يتحد الإنسان على أساس المبادئ الروحية الأبدية فحسب...»[(٢)].

وكذلك يقول:«إن معنى الإسلام أهم وأوسع عندنا من أن يكون دينا مجرداً، بل إنه يحتوي على مفهوم وطني خاص، حيث لا يمكن تصور حياتنا بدون التمسك الشديد بالمبادئ والقيم الإسلامية، فالعقيدة الإسلامية هي بيتنا الأبدي، وهي الوطن الذي نعيش فيه ونتحرك ونحقق وجودنا، فهو لنا أرفع وأفضل من كل شيء سواه...»[(٣)].

ونخلص أنَّ ما قاله الشاعر عن القومية والوطنية وموقفه من التمييز العنصري ضمن كتاباته النثرية ومقالاته ومحاضراته فهو أوضح أسلوباً واستدلالاً، وأكمل إحاطة بجوانب القضية من شعره ومنظوماته، وما ذكرناه آنفاً يمثل بعض المقالات التي كتبها إقبال تجاه موقفه من القومية، وإلا فالمقام لا يتسع لاستقصاء كل ما كتبه.

---

(١) انظر: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، د. محمد رجب البيومي، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م. (١/١٥٧-١٨٥) – بتصرف –.

(٢) انظر: الاتجاه الإسلامي في شعر محمد إقبال ص (٢٥٥).

(٣) انظر: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٢٥٤).

وفي ختام المبحث فإنَّ الشاعر محمد إقبال يرفض فكرة التعصب للوطن لأنها تشوه الإحساس بالإخاء وتزرع بذور الحرب والتفرقة، فمن هذا المنطلق بدأ ينشر دعوته الجديدة القومية الإسلامية، أو الاتحاد الإسلامي بكل قوة وحماس فنجده يشرح ذلك في جل دواوينه وخطاباته ومعظم مقالاته فيقول:«لقد قضيت نصف عمري في شرح القومية الإسلامية، وبيان معنى الملة المسلمة، وذلك أنني رأيت القومية الوطنية بالمصطلح الفرنجي خطراً كبيراً على آسيا وبالأخص على الإسلام والمسلمين»(١)، والمتأمل في تراث إقبال يجد أنه رفع شعاراً ضمَّنه بـــ : "لا للتمييز العنصري"، والشاعر محمد إقبال لا يؤمن بالقومية الأوروبية، حيث يراها تبعة من تبعات التمزق الديني التي تمثل خطراً كبيراً على مستقبل الدول الإسلامية، وأنها دخيلة على مبادئ الإسلام إذ أن الإسلام كله وطن واحد، وأن الهندي أخ المغربي، والفارسي والعربي والإفريقي والأوربي، إذ جمعتهم عقيدة واحدة، ولن يقوم مقامها ما يصطنعه الناس من حدود جغرافية تسيطر عليها الجبال والصحاري والأنهار أو تفرضها السياسة، كما مزقت بلاد الشام إلى أقطار مختلفة تمثل سوريا ولبنان وفلسطين(٢).

---

(١) انظر: مجلة فكر وفن، عدد: (٣٢)، مقالاً بعنوان: الفكر الاجتماعي عند محمد إقبال، بقلم: يان ماريك، ص (٧٣)؛ محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٢٥١-٢٥٢).

(٢) من المعلوم من دين الإسلام بالضرورة أن الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات، دعوة باطلة وخطأ عظيم، ومنكر ظاهر، وكيد سافر للإسلام وأهله، والمتأمل في النصوص الشرعية يجد أن الإسلام يحارب القومية باعتبارها عصبية جاهلية، أنكرها الإسلام وحذر منها وسد منافذها، فلا بقاء للدين العالمي والأمة الواحدة مع هذه العصبيات الممقوتة. انظر: بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات (٢/٢٧٩-٢٨٦)، فقد بين المؤلف موقف الإسلام من الدعوة إلى القومية.

المبحث السادس:

رأي محمد إقبال في الديمقراطية وتقويمه[1].

أدى انتشار الفكرة الديمقراطية بين المفكرين وتغلغلها في بلاد المسلمين إلى مناداة عدد من الكتاب والمفكرين بتبني الديمقراطية، وقد قدم هؤلاء حججاً لتأييد هذا التبني، منها القول أن الديمقراطية لا تعارض الشريعة الإسلامية، أو أنها لا تعدو كونها ترتيباً إجرائياً لحل مشكلة الاستبداد السياسي، وتعميق مفهوم الحرية والمشاركة السياسية، أو بربطها مباشرة بالإسلام وذلك بالقول بالديمقراطية الإسلامية، أو بربط بعض مظاهر الديمقراطية بالإسلام [2]. فما رأي الشاعر محمد إقبال في الديموقراطية وما موقفه منها.

يري إقبال أن الديمقراطية سرطان أصيب به الغرب، كما أن العبودية والتقليد مرض أصيب به الشرق. يقول في ديوان ضرب الكليم تحت عنوان "الشرق والغرب"[3]:

علَّـــة الشَّـــرق ذِلَّـــةٌ واقتـداءُ   ونظامُ الجمهـور فـي الغـرب داءُ

مَــرضُ القلب والبصيــرةِ فـاشٍ   مـا بشـرقٍ ولا بغَـربٍ شفاء

ويذم إقبال نظام الديمقراطية، فيقول:«كن تلميذاً لرجل صالح خبير، واهرب من نظام ديمقراطي، فإن مخ مائتي حمار لا تنتج مخ إنسان واحد»[4]. فإقبال يشير هنا إلى مخالفته للنظام الديمقراطي الذي خدع به فئام كثيرة من المفكرين والأدباء

---

(١) الديمقراطية كلمة مشتقة من لفظتين يونانيتين: (الشعب و السلطة)، ومعناها الحكم الذي تكون فيه السلطة للشعب، وتطلق علي نظام الحكم الذي يكون الشعب فيه رقيبا على أعمال الحكومة بواسطة المجالس النيابية، ويكون لنواب الأمة سلطة إصدار القوانين. انظر: مذاهب فكرية معاصرة ص (١٥٠).

(٢) انظر: نقض الجذور الفكرية للديمقراطية الغربية، تأليف أد. محمد أحمد علي مفتي، الناشر: فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م . ص (٦٩).

(٣) انظر: ضرب الكليم (١٢١/٢)؛ محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٢٢٢).

(٤) انظر: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٢٢١).

والسياسيين، فالشاعر حينما قال: " كن تلميذاً لرجل صالح خبير " يريد بذلك أن يتسلم زمام الأمور والقيادة والرئاسة لرجل صالح تقي نقي عادل مثل خليفة المسلمين عمر بن الخطاب فإنه اختير بالشورى لا بكثرة الأصوات من المائجين الضائعين وسقط المتاع من عامة الناس.

إن الناظر والمتأمل في واقعنا المعاصر يجد كثرة الأصوات جعلت بناظير بوتو تصعد على الملايين من المسلمين في انتخابات باكستان، وفيهم العلماء والأدباء وأهل الحل والعقد، وتتولى القيادة عليهم؛ لأنها أخذت مجلس الرئاسة بالأصوات الجماهيرية، لكن لو كان هناك مجلس شورى، والعلماء يختارون الرجل السديد الحصيف العاقل لما وقع هذا. فإقبال ينادي بترك الكذب على الناس فيقول:" كن تلميذاً لرجل صالح خبير، واهرب من نظام ديمقراطي، فإن مخ مائتي حمار لا تنتج مخ إنسان واحد".

والحاصل أن إقبال يرى أن النظام الديمقراطي فيه ثلاث سلبيات:

الأولى: أن الديمقراطية تجعل لك حرية مطلقة حتى فيما بينك وبين الله، فهم يريدون أن يوصلوا بك إلى أن الانحلال من كل القيم الإسلامية، كإباحة الزنا وشرب الخمر وغيرهما، فليس بينك وبين أحد علاقة، ولا تخف من أحد حتى من الله، وهذا بلا شك زيغ وضلال والعياذ بالله.

الثاني: أن الديمقراطية تأتي بالإنسان الوضيع بكثرة الأصوات فيصبح رئيساً، فإقبال يرفض هذا المبدأ والاختيار، وهذا ليس من هدي الرعيل الأول من الصحابة الكرام والسلف الصالح، والدين الإسلامي يرفض هذه الهمجية والحشد الهائل من الأصوات، ويؤكد على مبدأ الشورى كما فعل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه والخلفاء الراشدون من بعده وهو أن يجتمع علماء الناس وخيارهم فيختارون رجلاً واحداً من أحزمهم رأياً وأحسنهم خلقاً وديناً، أما أن تجعل التصويت سارياً لكل أحد فيدخل فيه عامة الناس، مثل المغني والمعربد وشارب الخمر له صوت فيختارون من شاءوا فإنه من الممكن أن يسقط ذاك الشريف ويرفع هذا الدنيء.

الثالث: أن الديمقراطية في نظر الشاعر محمد إقبال موهومة فيقـــول أنا عشتهـــا – وقد كان محامياً – ووجدهم يخدعون الناس، فليس بصحيح ما يدَّعون في الظاهر ديمقراطية، لكني بحثت عن حقي كهندي مسلم فلم يعطوني حقي لأنني لست إنجليزياً ولا أمريكياً ... ولو عشت أنت عربياً في أمريكا ثم تشاجرت مع يهودي، لنصروا اليهودي عليك ولو أنهم يزعمون أنهم أهل الحرية وأهل الديمقراطية (١).

وفي ختام المبحث فإنَّ الشاعر محمد إقبال يرفض الديمقراطية الغربية ونظامها الزائف وذلك من خلال نقده للحضارة الغربية، وقد حذر من الديمقراطية في مواضع كثيرة من شعره وكتاباته، بشتى أصولها وفروعها الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، التي نشأت على الأسس المادية والإلحادية وابتعدت عن الإيمان بالله، والقيم الإنسانية النبيلة والأخلاق الحميدة، وأكد على مبدأ الشورى في الدين الإسلامي الحنيف، وإن أشكل على بعض المثقفين والمطلعين على فكر إقبال ترديده كلمة الجمهورية والديمقراطية، فالذي يظهر لي من خلال تتبع كلامه وآرائه أنه يستخدم هذا اللفظ من باب مسايرته للفكر السائد في ذلك العصر، لا من باب شرح الإسلام بأنه ديمقراطية، والحقبة التي عاشها إقبال وعاصرها كانت الانهزامية والتأثر بالمصطلحات الوافدة من الغرب لها نصيب كبير لدى بعض العلماء والمفكرين الذين اعتقدوا بسوء فهمهم إضفاء التناغم والتوافق والبعد الحضاري بين الإسلام والديمقراطية.

---

(١) هذه الثلاث سلبيات مفرغة – بتصرف – من محاضرة بعنوان: محمد إقبال شاعر الإيمان والحب والطموح، د.عائض القرني، انظر: تسجيلات الشبكـــة الإسلامية على الإنترنت عبر الرابط:
http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid=19425

المبحث السابع:

رأي محمد إقبال في الرأسمالية وتقويمه(١).

معظم من تناول الفكرة الرأسمالية من الغربيين وأضرابهم عدَّها أفضل أنواع النُّظم الاقتصادية، وأنها هي أسلوب الحياة الوحيد الصالح للبشرية، والمتأمل في النصوص الشرعية يجد خلاف ذلك، فالمجتمع الإسلامي يمتلك تعاليم اقتصادية ناجحة وتميزت بها عن كل من الرأسمالية والشيوعية، وإن حاولوا تثبيت أسس العدالة وحرية الإنسان المطلقة بتلك التيارات المنحرفة بغية الوصول إلى الاقتصاد الناجح.

يقول إقبال في ديوان ضرب الكليم تحت عنوان "فلكُ عُطارد" :«إنَّ المُلوكيَّة – الرأسمالية – سمنٌ يطرأ على الجسم، صدرها مظلمٌ خاوٍ، ليس فيها قلب خفاق...»(٢). ويقول أيضاً:«أن الملوكية تستحوذ على الشعوب والأفراد، وتمتص منها دماءها وتتركها أجساداً هامدة، إنَّ "المُلوكيَّة" و "الشيوعية" تلتقيان على الشَّره والنَّهامة والقلق والسآمة، والجهل بالله والخداع للإنسانية...»(٣).

ويقول إقبال في ديوان رسالة الخلود تحت عنوان "الشيوعية والرأسمالية"(٤):

يَمْلِكَانِ الرُّوْحَ نَدَّ صَبْرُها تَخْدَعُ النَّاسَ وَيَبْدُو كُفرُها
لهما العيشُ الخروجُ والخَرَاجْ حَجَرانِ، والورى هذا الزُّجَاجْ

---

(١) الرأسمالية: نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية، يقوم على أساس إشباع حاجات الإنسان الضرورية والكمالية، وتنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها، متوسعاً في مفهوم الحرية، معتمداً على سياسة فصل الدين نهائياً عن الحياة. ولقد ذاق العلم بسببه ويلات كثيرة نتيجة إصراره على كون المنفعة واللذة هما أقصى ما يمكن تحقيقه من السعادة للإنسان. وما تزال الرأسمالية تمارس ضغوطها وتدخلها السياسي والاجتماعي والثقافي وترمي بثقلها على مختلف شعوب الأرض. انظر: الموسوعة الميسرة (٢/٩٢٠-٩٢٨).

(٢) انظر: ديوان رسالة الخلود (٢/١٩٠).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢/١٩٠).

(٤) انظر: المصدر السابق (٢/١٩٧).

فإقبال يشير هنا إلى أن الشيوعية والرأسمالية تخدعان الناس بعباراها البراقة، وأقنعتها المزيفة المنحرفة، فحكم بكفرها عند قوله: **"ويَبْـــدُو كُفــرُها"**، ويقصد إقبال بالخروج والخراج الإنتاج ودفع الضريبة من الرأسمالية.

وبعد هذا العرض المُجمل لرأي الشاعر محمد إقبال في الرأسمالية فإن الباحث سيضعُ آثار الرأسمالية السلبية على الفرد والمجتمع كما يراها إقبال عبر النقاط التالية:

١- **إباحة الملكية الفردية:** تعتبر الملكية الفردية أساس الفكر الرأسمالي، فهي تفتح لها كل الطرق والسبل لأن يستغل كل إنسان قدراته في زيادة ثروته وحمايتها وعدم الاعتداء عليها، وتوفير القوانين اللازمة لنموها واطرادها، وعدم تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية إلا بالقدر الذي يتطلبه النظام العام وتوطيد الأمن[1]، وقد تحدث الشاعر محمد إقبال عن الملكية الفردية في المال والعقار.

يقول في ديوانه رسالة الخلود تحت عنوان "الأرضُ ملكٌ لله"[2]:

إنَّمـا الإنسانُ فـي شرقٍ وَغَـرْب ... لامتلاكِ الأرض فـي حـربٍ وَضَرْب
كـعروسٍ ولـها كُنَّـا الـرَّجالا ... سَحرَتْنـا، قطُّ مـا نلنـا الوِصـالا
ضمَّنـت كـلَّ خـداعٍ دَلَّهـا ... فـي هـواهـا إنَّنـا لسـنا لهـا
مالكَ الأرضُ إليكَ القـولُ عَنْهـا ... اتَّخـذ رِزْقـاً وقبـراً ثُمَّ دَعْهَا
طُفْ بـأفلاكِ السَّمـاءِ كـالعقَاب ... كـنْ طهـوراً واجْتَنِبْ رِجْسَ التّـُراب
إنَّمـا الأرضُ لـربِّـي، ذاكَ ظـاهر ... كـلُّ مـن أنْكَـرَ هـذا فَهوَ كـافر

(١) انظر: الموسوعة الميسرة ص (٢/٩٢٢) وما بعدها.

(٢) انظر: ديوان رسالة الخلود (٢/٢٠٤-٢٠٦)؛ انظر الأبيات نثراً في كتاب: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٢٦٥).

يشير إقبال في هذه القصيدة إلى أن الإنسان دائماً في حرب وصراع لامتلاك هذه الأرض وهي أصلاً ملك لله. وشبه الأرض بالعروس التي سحرت عقول الرجال، فكل رجل يتمنى الوصال بها وامتلاكها، وهي ذات جمال ودلال لا تقبل العشاق. ويؤكد الشاعر في هذه القصيدة أن الأرض باقية والإنسان هو الذي سيرحل عنها مهما دعا الرأسماليون الغربيون لامتلاكها وجمع الثروات منها بأي وسيلة، فهذه الأرض ستجمع منها ثرواتك ورزقك، وهي مكان لقبرك، وستذهب وتتركها، فلا تحاول التمسك بها والاستيلاء عليها. ويدعو في هذه القصيدة المسلم أن يلتزم ويتمسك بدينه ويتطهر من الذنوب والأقذار، وفي آخر الأبيات يقرر إقبال أن الأرض ملك لله تبارك وتعالى، وقد أقتبس العنوان من قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ © لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] ومن أنكر أن الأرض لله فقد كفر.

٢- **الربا:** يقوم النظام الرأسمالي على أساس ربوي، والربا هو جوهر العلل التي يعاني منها العالم أجمع، وإذا نظرنا إلى الرأسمالية من الجانب الاقتصادي فهي مؤسسة بكل معاملاتها المالية والاقتصادية على التعامل الربوي، مما كان له الأثر في الطبقية بين أفراد المجتمعات.

يقول إقبال في ديوان جناح جبريل على لسان لينين[2]، تحت عنوان "لينين أمـــام الله "[3]:

---

(١) سورة الأعراف آية: (١٢٨).

(٢) مناسبة ذكر هذه القصيدة على لسان لينين بهذا العنوان: "لينين أمام الله"، لأن إقبال كان يدافع عن حقوق العمال، وذلك برفضه للرأسمالية ولينين يمثل الدولة الاشتراكية في شعر إقبال ويرفض الرأسمالية.

(٣) انظر: ديوان جناح جبريل (٤٩١/١-٤٩٢)؛ وانظر الأبيات نثراً في كتاب: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٢٦٦)، وقد علّق الأستاذ عبد المعين الملُّوحي الذي ترجم ديوان جناح جبريل من الفرنسية إلى اللغة العربية نثراً على هذه القصيدة "لينين أمام الله"بقوله:«هذه القصيدة العجيبة كتبها إقبال في آخر سني حياته، ويخطئ من يرى فيها تغيُّراً في وجهة أفكار إقبال والصحيح أنها تعميق لهذا التفكير، فليست هي المرة الأولى التي يفضح فيها إقبال مساوئ الرأسمالية..». انظر: ديوان جناح جبريل (٤٩٠/١)؛ ومجلة فكر وفن، عدد : (٣٢)، ص (٧٩) وما بعدها.

فــــي درب أوربَّــــــة التــي ائتمــــرتْ علــى الشَّـــرق الجــريــح
فــــي درب أوربَّــــــة التــــي تبـــدو منــــــاراً للحيــــــاة
والحـــــقُّ أنَّ النَّبــــع فـــي ظلمـــــاهـا نبـــــعُ الممــــات
تـــــاهـــت بـــأبنيـــةِ المصــــارف فـوق أبنيـــةِ الكنـائس
وأتَـــتْ لهيـكلِيهـا الجــــديـــدِ بكـــــلِّ أنــواع النفـــائـس
قــالــوا تجـــــارات تـــــدارُ وكــــلُّ مـــا فيهـــا قمـــــار
ومصــــادفــاتٌ تجعــــل البُلـــدان فـــي جيـــب الكِبــــار
أيُّ السيـــــاسـةِ والحكـــــــومةِ والـكنيســـةِ والسَّمـــــاء
رفعـــــوا مســـــاواةً تقــــال وأشــــربــوا حـبَّ الدمـــاء

يشير إقبال في الأبيات السابقة إلى أن التجارة في النظام الرأسمالي يبدو في الظاهر أنها تجارة ولكنه قمار في الحقيقة، إذ يستفيد بها قليل من الناس بينما يخسر ويذهب ضحيتها الكثيرون، فهذه العلوم والفلسفات والحكومات تدعي الأخوة والمساواة، ولكنها تمتص دماء الشعوب في الواقع. فما أكثر إنجازات المدنية الفرنجية من البطالة والإفلاس والسفور وشرب الخمور. ويقول أن أوروبا لا تعرف الحلال من الحرام، فحكمتها فاسدة وأعمالها ناقصة، فإن الشعب يستغل وينهب جهود الآخرين، وليس مفهوم الحكمة لديها إلا اختلاس الخبز من يد الفقراء الضعفاء وسلب الروح منهم، فشعار الحضارة الحاضرة ووظيفتها افتراس بني آدم، ولكن تستر هذه الوظيفة وراء ستار التجارة والاقتصاد، فهذه البنوك التي أنشأتها الفكرة اليهودية الماكرة، قد ذهبت بنور الحق من صدور بني آدم، فلا يتصور الدين ولا الحكمة ولا الحضارة إلا بالقضاء على النظام، ويقول إقبال كذلك لا تبحثوا عن الخير عند رجل ينهب الأموال ويجمعها فإن الله تعالى قال: ﴿ ! " # $ % & ') * + , - . /

0 ﴾[1]، والربا يكثر الفساد والفتن ويجعل الروح مظلمة، والقلب قاسيا كالحجر، فيعود الرجل المرابي حيوانا مفترسا بدون أسنان ومخالب[2].

ويقول إقبال في آخر هذه القصيدة [3]:

ربَّـــــاه! أنـــت القـــادرُ الحـــــقُ الـــرَّحيــــم العـــادِلُ

مـــن ذاق مـــن مــــــرٍّ المعيشـــــة مـــــا يـــذوقُ العـــامِـــلُ

الــــرأسمــــاليون مـــــركبُهـــــم يُعَـــربــــدُ فــــي بحــــاركْ

فمتـــــى تُغَـــــرِّقُـــــه وتــــأخــذ مــــن مظـالمهـم بثـارك

فالشاعر يتوجه في آخر هذه الأبيات إلى ربنا جل وعلا، ويدعوه بالقضاء على هذا النظام الفاسد – الرأسمالية – الذي أذاق الناس مر الحياة، وانتشار الطبقية في المجتمعات ونشر الفساد، كما يطلب منه سبحانه القضاء على الرأسمالية وأخذ الثأر منهم.

٣- **الاستعمار:** اتجهت الدول الرأسمالية إلى الاستعمار لتحقيق الربح والمنفعة المادية، مما أدّى إلى استعباد البشر الآمنين، وتسخيرهم في خدمة الإنتاج الرأسمالي، من خلال ظاهرة التجارة بالرقيق لكي يكونوا قرابين للعملاق الرأسمالي، وبعد ذلك اتجهت إلى احتلال أراضي الغير بالقوة [4].

يقول إقبال:«إلى الآن ما يزال الناس واقعين تحت القهر من طغيان الاستعمار والرأسمالية. فالإنسان يصطاد أبناء جنسه، وتلك هي الطامة الكبرى. إن النظام القائم

(١) سورة آل عمران آية: (٩٢).

(٢) انظر: روائع إقبال ص (١٨٦)؛ مقدمة ديوان محمد إقبال الأعمال الكاملة (١٩١/٢)؛ محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٢٦٦).

(٣) انظر: ديوان جناح جبريل (٤٩١/١-٤٩٢).

(٤) انظر: اقتصادنا، محمد باقر الصدر، الناشر: دار التعارف، بيروت، الطبعة السادسة، عام ١٩٨٢م – بتصرف-. ص (٢٧٧-٢٧٨).

على الرأسمالية لا يخضع لحكمة العقل»[1]، وذلك أن الرأسمالية بدافع البحث عن المواد الأولية، والأسواق الجديدة، لتسويق المنتجات تدخل في غمار استعمار الشعوب والأمم استعماراً اقتصاديّاً وفكريّاً وسياسيّاً وثقافيّاً، فضلاً عن استرقاق الشعوب وتسخير الأيدي العاملة فيها لمصلحتها، ومن هنا رأى إقبال أن الاستعمار والرأسمالية وجهان لعملة واحدة هي نهب المجتمعات واسترقاق العمال، والاستعمار الغربي الذي ذمه إقبال في مواطن متعددة من شعره يلجأ إلى احتكار المواد الأولية وتخزين البضائع لبيعها بأسعار مرتفعة جداً، ويعتبر هذا من أهم مطالب الرأسمالية لأنها تقوم على المنفعة المادية، وفكرة الاحتكار متأصل في النظام الرأسمالي بهدف الزيادة في الربح والكسب.

٤- **<u>استغلال جهود العمال</u>:** جعلت الرأسمالية الأيدي العاملة سلعة خاضعة لمفهومي العرض والطلب، مما يجعل العامل معرضاً في كل لحظة لأن يُستبدَل به غيره، فهو كالعبد ممن يأخذ أجراً أقل، أو يؤدي عملاً أكثر، أو خدمة أفضل، أو كالبهيمة في استغلالها في البيع والشراء.

يقول إقبال في شأن المطالبة بأداء حق العامل ويرفع مكانة المستضعف:«أيها الملائكة قوموا وأيقظوا المساكين والفقراء من دنياي، وهزوا وزلزلوا البيبان والجدران من قصور الأمراء والأثرياء. وأدفئوا دم المستعبدين بحرارة اليقين والإيمان ليتمكن العصفور المسكين من مقاومة الصقر. ويوشك في هذا الحين أن يتولى الجماهير الحكم، فامحوا كل أثر قديم ترونه واحرقوا كل سنبلة قمح من حق لا يستطيع الفلاح تحصيل قوته منه وأنني لست راضياً عن هذه القطع الرخامية فاصنعوا لي حرماً جديداً من تراب»[2].

---

(١) انظر: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٢٦٤).

(٢) انظر: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٢٢٦-٢٢٧).

ويقول أيضاً:«يصنع الأمير جواهر كريمة ويواقيت ثمينة من دم عروق العامل، وقد فسدت زراعة الفلاح بمظالم أصحاب الأراضي، فلا بد من تغيير هذا النظام ومرحباً بالانقلاب»(١).

وأخيراً يقول:«لقد ظلّ العمل مستغلا من قبل أصحاب المصانع والأراضي منذ قرون، فأكلوا جهوده بمكرهم وظلمهم، وأعطوه أجرة عمله، كأنهم يعطونه زكاة أموالهـــــم»(٢).

وفي ختام المبحث فإنَّ الشاعر محمد إقبال يرفض الرأسمالية ويستنكرها لما يترتب عليها من آثار سلبية ونتائج خطيرة على الفرد والمجتمع، فقد أكد أن الرأسمالية والشيوعية فرعان في دوحة المادة، وأسرتان من عائلة الحضارة الغربية، ويعتبر الشيوعية الشرقية والرأسمالية الغربية تلتقيان على الأساس والتفكير المادي والنظر المحدود إلى الإنسان (٣). وقد ظهر للباحث من خلال تتبع النصوص والشواهد الشعرية أن إقبالا حارب النظام الرأسمالي، وكل ما يحمله من أفكار مادية وأسس اقتصادية واجتماعية، واهتم اهتماماً كبيراً بوضع الطبقة العاملة ودافع عن حقوقها، وقادته مشاعره إلى رفض التفاوت بين الطبقات، وأدان بشدة ذلك التناقض الشديد المتمثل في عوز العمال وإسراف السادة، وتحقق من بؤس استغلال العمال من جهة ومن رفاهية رجال الأعمال من جهة أخرى، وكانت اللامساواة تثير معارضته بشدة (٤)، وكما ذكرت في مبحث الشيوعية أن إقبالاً ألقى خطاباً في محطة الإذاعة لعموم الهند يؤكد أن جميع النظم الوضعية مثل الرأسمالية والملكية والدكتاتورية والنازية الفاشية مدمرة للبشرية جمعاء.

---

(١) انظر: المصدر السابق ص (٢٢٦-٢٢٧).

(٢) انظر: المصدر السابق ص (٢٦٥-٢٦٦).

(٣) انظر: روائع إقبال ص (٨١-٨٢ ؛ ١٧٩-١٨٧).

(٤) انظر: مجلة فكر وفن،عدد (٣٢)، مقالاً بعنـــوان: الفكر الاجتماعي عند محمد إقبال، بقلم: يان ماريك، ص (٧٨-٧٩).

المبحث الثامن:

رأي محمد إقبال في الحضارة الغربية وتقويمه.

كانت أوضاع العالم الإسلامي السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العصر الذي عاش فيه إقبال في تدهور وتخبط، فقد استولت النهضة الأوربية فكرياً وسياسياً واقتصادياً على العالم المعاصر، مما أثر ذلك على فئات كثيرة من طبقات المجتمع في العالم الإسلامي، وعلى وجه الخصوص شبه القارة الهندية في الجوانب العقدية والفكرية، فهذا السيد أحمد خان زعيم حركة التعليم الحديث في شبه القارة الهندية ممن تأثر بالحضارة الغربية، وسعى جاهداً لبث سمومها في القارة الهندية كما فعل رفاعة الطهطاوي [(١)]، وقاسم أمين في مصر[(٢)].

كان للشاعر محمد إقبال جهود كبيرة في نقد الحضارة الغربية، وأسسها التي قامت عليها من جوانب عِدَّة، فمثلاً نقدها في السياسة، والاجتماع، والاقتصاد، ونقد مناهج التعليم، والأدب، والفن، والجدير بالذكر أن إقبالاً عاش الحضارة الغربية في ديارها كما عاناها في بلده المستعمره فعرفها عن خبرة ودراية ورأى أنها لا يمكن أن تستمر وذلك لعدة أمور منها [(٣)]:

(١) رفاعة الطهطاوي: رفاعة بن رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي، يعتبر من المدافعين عن الحضارة الغربية، فهو يحاول تلبيس القواعد العقلية الاعتزالية الغربية لباس الشرع؛ ويدعوا إلى تحرير المرأة والسفور والاختلاط فهو يقول: إن السفور والاختلاط ليس داعياً إلى الفساد، من مؤلفاته: تخليص الإبريز في تلخيص باريز؛ نهاية الانجاز في تاريخ سكان الحجاز، وغيرهما. توفي ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م. انظر: الأعلام (٢٩/٣).

(٢) قاسم أمين: قاسم بن محمد أمين المصري، كردي الأصل، اشتهر بالدعوة إلى تحرير المرأة ودفاعه عن حريتها، ويرى أن الإسلام يمكن أن يتلاءم ببساطة مع كل التطورات، له مؤلفات منها: تحرير المرأة؛ المرأة الجديدة، وغيرهما، توفي ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨م. انظر: الأعلام (١٨٤/٥).

(٣) انظر رسالة دكتوراه بعنوان: مشكلة الحضارة دراسة نقدية في ضوء الإسلام، إعداد عبدالله بن حمد العويسي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية، عام١٤١٢هـ، فقد أعطى الباحث فكرة موجزة عن موقف كل من محمد إقبال، وأبي الأعلى المودودي، ومالك بن نبي، وأبي الحسن الندوي، وسيد قطب، من الحضارة الغربية ص (٣٣٦-٣٤٠).

أولاً: قيام الحضارة الغربية على الإلحاد: ينقد الشاعر محمد إقبال الحضارة العصرية التي كان مصدرها أوروبا الثائرة الحائرة بقوله:«إن الحياة الإنسانية لا تستقيم، ولا تتزن إلا إذا جمعت بين النفي والإثبات، بين الجحود بالزائف الباطل وبين الإيمان بالحق الثابت، وتلك هي الكلمة الجامعة التي أصبحت شعار الإسلام وعقيدته " **لا إله إلا الله** "»[(١)]. فالشطر الأول – الذي هو النفي – إنكار لجميع الآلهة الباطلة من أصنام، ومادة، وسلطان، والشطر الثاني – الذي هو الإثبات – إقرار للحق الذي لا حق غيره، وقد قطعت أوروبا الشوط الأول بشجاعة وقوة، وأنكرت الوسائط بين الله وبين العبد، وثارت على الاحتكار الديني الذي مثلته الكنيسة اللاتينية في القرون الوسطى، وألحت عليه رجال الدين والكهنوت، وثارت كذلك على الحكومات الجائرة المستبدة، فأحسنت، ولكن خذلها التوفيق في قطع الشوط الثاني الأخير، شوط الاثبات، والتقرير، والإيمان الجازم، والإنسان لا يعيش على النفي فقط، ولا يتكون المجتمع، ولا تقوم الحضارة على النفي وحده، فلذلك بقيت أوروبا – التي أخضعت العالم لعلمها وتنظيمها، وسخرت الطبيعة لمقاصدها ومصالحها – حائرة مضطربة تائهة لا تملك العاطفة، ولا تملك الغايات الصالحة، وأصبحت مهددة في الزمن الأخير بالانهيار أو الانتحار...[(٢)].

ثانياً: إفلاس الحضارة الغربية في القيم وتكالبها على المادة: يقول إقبال في ديوان رسالة الخلود: «إن الغربيين فقدوا القيم الروحية والحقائق الغيبية وذهبوا يبحثون عن الروح في «المعدة» إن الروح ليست قوتها وحياتها من الجسم، ولكن الشيوعية لا شأن لها إلا «بالمعدة والبطن»، وديانة «ماركس» مؤسسة على مساواة البطون، إن الإخوة الإنسانية لا تقوم على وحدة الأجسام والبطون، إنما تقوم على محبة القلوب وألفة النفوس... إن «الملوكية» و «الشيوعية» تلتقيان على الشَّره والنَّهامة،

(١) انظر: روائع إقبال ص (١٥٣).

(٢) انظر: المصدر السابق ص (١٥٤).

والقلق والسآمة، والجهل بالله، والخداع للإنسانية، الحياة عند الشيوعية «خروج» وعند الملوكية «خراج»، والإنسان البائس بين هذين الحجرين قارورة الزجاج، إن الشيوعية تقضي على العلم، والدين، والفن، والملوكية تترع الروح من أجسام الأحياء، وتسلُبُ القوت من أيدي العاملين والفقراء، لقد رأيت كلتيهما غارقتين في المادة جسمهما قوى ناضر، قبلهما مظلم فاجر...» [1].

ويقول: «لقد تضخم العلم وتقدمت الصناعة في أوروبا، ولكنها بحر الظلمات ليس فيه عين الحياة، إن أبنية مصارفها تفوق أبنية الكنائس في جمال البناء، وحسن المظهر والنظافة، إن تجارتها قمار يربح فيه واحد ويخسر ملايين، إن هذا العلم والحكمة والسياسة والحكومة التي تتبجح به أوروبا مظاهر جوفاء، ليست وراءها حقيقة، إن قادتها يمتصون دماء الشعوب وهم يلقون درس المساواة الإنسانية والعدالة الاجتماعية، إن البطالة والعري وشرب الخمر، هي فتوح المدينة الافرنجية، إن الأمة التي لا نصيب لها في توجيه السماوي والتتريل الألهي، غاية نبوغها تسخير الكهرباء والبخار، إن المدنية التي تتحكم فيها الآلات، وتسيطر فيها الصناعة، تموت فيها القلوب، ويقتل فيها الحنان والوفاء، والمعاني الإنسانية الكريمة» [2].

ويقول: « إن شعار الحضارة الغربية الحديثة الفتك ببني آدم الذي تقوم عليه تجارتها وتنفق سلعتها ليست هذه المصارف العظيمة إلا وليدة دهاء اليهود الأذكياء الذي انتزع نور الحق من صدور بني آدم، إن العقل والحضارة والدين حلم من الأحلام ما لم يعد هذا النظام رأساً على عقب، إنها حضارة شابة – بحداثة سنها، والحيوية الكامنة فيها – ولكنها محتضرة تعاني سكرات الموت وإن لم تمت حتف أنفها فستنتحر وتقتل نفسها

(١) انظر: ديوان رسالة الخلود (٢/١٩٠).

(٢) انظر: روائع إقبال ص (٧٩).

بخنجرها ولا غرابة في ذلك فإن كل وكر يقوم على غصن ضعيف ليس له استقرار...»[1].

ثالثاً: اتسام الحضارة الغربية بالعنصرية والاستخفاف بالإنسانية: إنَّ من ضمن المثالب التي رآها الشاعر محمد إقبال في الحضارة الغربية الاستخفاف بالإنسانية وقتله وانتهاك حقوقه، وهمها الأول الأمور المادية.

يقول:«إن شعار هذه الحضارة الغارة على الإنسانية، والفتك بأفراد النوع البشري، وإن شغلها الدائم التجارة، إن العالم لا يسعد بالسلام والهدوء، وبالحب البريء النـــزيه، والإخلاص لله إلا حين تنهار هذه الحضارة الجديدة...»[2]، ويقول في ديوان ضرب الكليم تحت عنوان "نشر الإسلام في بلاد الإفرنج"[3]:

هــذي الحضــارةُ مــا تديَّــن قلبها فــأخــوَّة الإفـــرنج بــالعَصَباتِ

فلئـــن تنصَّـــر بـــرهـــميٌّ لم يـــزل لـــلإنكليـــز إليـــه نظـــرةُ عـــات

ولو انَّهـــم قد أسلمـــوا لم يـــرفقوا بـــالمسلـــم المنكـــودِ من إعنات

فإقبال الشاعر في هذه الأبيات يؤكد أن الحضارة الغربية اتسمت بالعنصرية والاستخفاف بالبشرية، ويضرب مثلاً بأحد البراهمة لو انتحل النصرانية لنظروا إليه نظرة عتو وتكبـــر، كما لو أنهم أسلموا لم يسلموا من النكد والاعنات.

رابعاً: فصل الدين عن السياسة: من ضمن الأمور التي يرى إقبال أنها سببٌ لزوال الحضارة الغربية فصل الدين عن السياسة، لأن هذا الانفصال يقود إلى تحكيم الهوى والعقل. يقول إقبال:«فلما انفصل الدين عن الدولة، جاءت الشهوة وشاع الهوى...، هذا الانفصال شؤم على الدولة والدين، هو لا يدل إلا على ضعف بصر

---

(١) انظر: المصدر السابق ص (٧٨).

(٢) انظر: المصدر السابق ص (٧٧-٧٨).

(٣) انظر: ديوان ضرب الكليم (٥٤/٢).

هذه الحضارة وفساد ذوقها»[1]. ويقول:«إذا تخلت السياسة عن الدين صارت سماً ناقعاً وإذا صارت في خدمته صارت ترياقاً [2] واقعياً...» [3]. ويقول في ديوان ضرب الكليم تحت عنوان "السَّياسةُ اللاَّدينيَّة"[4]:

مـا الحـقّ مخفٍ عـن فـؤاديَ سِرَّه   فلقـد حبـانـي الله قلبـاً مُبصـرا

فسياسـةُ الـلادينِ عنـدي خِسَّـةٌ   مات الضميرُ بـها وإبليسُ افتـرى

لّمـا قلَـى حكمُ الفـرنج كنيسـةً   ساسـوا كشيطانٍ بـلا قيدٍ جـرى

شَـرِهَتْ لأمـوالِ العبـاد كنيسـةٌ   فـإذا الخَميس سفيرُها بين الورى

فالشاعر محمد إقبال في هذه الأبيات يقول إن الله سبحانه وتعالى أعطاني قلباً وضميراً واعياً لحقيقة العلمانية. ووصف إقبالاً سياسة اللادين بالخسة والدناءة وموت الضمير. ويرى إقبال أنه لما حكم الغرب الكنيسة كانوا مثل الشيطان في أفعالهم وأقوالهم بدون شروط وقيود.

وأذكر في هذا المقام بعض المقولات والآراء لمن عاصر إقبال، أو كتب عنه من القارة الهندية، ليعبروا عن رأيه وموقفه من الحضارة الغربية.

أولاً: يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي:«إن أكبر عمل قام به إقبال أنه ضرب ضربة قاسية قاصمة على الحضارة الغربية المادية، وإن كان علماء الإسلام وخطباؤه ومدرسوه يومذاك قد قاموا بواجبهم التحذيري، ولكن الناس لم يصغوا إليهم بحجة أن هؤلاء لا يعرفون علوم الغرب وفلسفته وحضارته وحياته حق المعرفة، وعلى عكس أمرهم كان محمد إقبال أكثر معرفة منهم بالغرب وعلومه، فعندما قام هو بانتقاد

---

(١) انظر: مقدمة ديوان محمد إقبال الأعمال الكاملة (١/٤٩)؛ روائع إقبال ص (٢١٧).

(٢) الترياق: ما يُستعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجين ويقال دِرْياق بالدال. انظر: لسان العرب (١٠/٣٢).

(٣) انظر: روائع إقبال ص (٢٢٧).

(٤) انظر: ديوان ضرب الكليم (٢/١١٧).

حضارة الغرب وماديته وأفكاره بدأ المسلمون يتخلصون من الرعب الذي تمكن في قلوبهم من أهل الغرب. وفي الواقع أن العمل الذي قام به إقبال بمفرده في تحطيم هذا الرعب أكبر من الآخرين مجتمعين»(1).

ثانياً: يصف أبو الحسن الندوي موقف إقبال من الحضارة الغربية فيقول:«يعتبر بحق أنبغ عقل أنتجته الثقافة الجديدة التي ظلت تشتغل وتنتج في العالم الإسلامي من قرن كامل، وأعمق مفكر أوجده الشرق في عصرنا الحاضر، ولم نرى من نوابغ الشرق أذكيائه – على كثرة من أم الغرب منهم ودرس هناك – أحداً نظر في الحضارة الغربية هذا النظر العميق، وانتقدها هذا الانتقاد الجريء» (2).

ثالثاً: تناول الدكتور خليل الرحمن في كتابه: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية رأي إقبال في الحضارة الغربية من جميع جوانبها السياسية، والاقتصادية، الاجتماعية، ومناهج التعليم في الغرب، والأدب والفن، فقد أجاد وأفاد حفظه الله ولخَّص موقف إقبال من الحضارة الغربية عبر النقاط التالية:

- إلحاد أهل الغرب وكفرهم بالله وبرسله، وثورتهم على الدين والشريعة السماوية والقيم الخلقية الروحية.
- اختيارهم العقلانية والعلمانية الناتجة عن كفرهم بالله وإلحادهم مصدراً أساسياً لاكتساب العلم والمعرفة، ولوضع القوانين والنظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بدلاً من الشريعة المنـــزلة من الله تعالى، واعتمادهم كلياً على العقل والمكر والتجربة الحسية، والإغماض عن السمع والطاعة كلياً وعن الرجوع إلى فطرة النفس السوية وإلى التجربة الروحية.

---

(1) انظر: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (216-217).

(2) انظر: روائع إقبال ص (76)؛ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، أبو الحسن الندوي، الناشر: دار الندوة، لبنان، الطبعة الثانية 1388هـ / 1968م. ص (98).

- ماديتهم وإيمانهم بمظاهر الطبيعة وجريانهم وراء الجسم والجنس والربح المادي والتلذذ الحسي المؤقت.
- السياسة والاقتصاد القائمان على أسس المكر والخداع، والاستعمار، والاستعباد، ونهب الأموال، وسلب الحرية من الشعوب، ونشر التفرقة بين الأمم والأفراد على أساس الوطن والجنس واللغة واللون وغيرها(١).

وفي ختام المبحث فإن من أجل الأعمال التي قام بها الشاعر محمد إقبال هو رفضه للحضارة الغربية ونقده إياها، حيث وصفها بالانهيار والتدهور في جميع أنظمتها. ومن خلال التتبع والاستقراء في النصوص والشواهد الشعرية من تراث الشاعر محمد إقبال وجدت أنه يؤكد على عجز الحضارة الغربية عن بث روح الطمأنينة والسكينة في النفس حيث عدَّ إقبال المجتمع الغربي رغم إمكانياته المادية أكثر الدول فوضى واضطراباً؛ لأنها لا تقوم على الإيمان بالله سبحانه وتعالى، ولا بالإيمان بالنبوات، ولا بالغيبيات الواردة في نصوص الوحيين، بل قامت على المكر والخداع والتشكيك، واستغلال نظامها السياسي والاقتصادي في السيطرة المادية والفكرية على المجتمعات التي من خلالها تفقد المسلمين عقيدتهم وكيانهم الحقيقي.

وثمة أمر مهم لا بد من التنبيه إليه في هذا المقام وهو أن رفض الشاعر محمد إقبال للحضارة الغربية وما قامت عليه من أسس ومبادئ لا يعني عدم التأثر بها، وأدق عبارة وُصِفَ بها إقبال في هذا الشأن ما قاله الدكتور محمد البهي:«إن محمد إقبال رغم جهوده المعروفة في الرد على الحضارة الغربية ظل متأثراً بالمفاهيم الغربية عند محاولة التوفيق بين الإسلام والفكر الغربي، وإنه مفكر غربي في الصياغة والمنهج لأن طريقة تفكيره الديني يغلب عليها الطابع الغربي» (٢).

---

(١) انظر: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (٢١٧).

(٢) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص (٤٧٩) بتصرف.

الفصل الثالث

موقف محمد إقبال من الفلسفة

وفيه ثلاثة مباحث:

❖ المبحث الأول:

مدى تأثر محمد إقبال بالفلسفة والفلاسفة.

❖ المبحث الثاني:

آراء محمد إقبال الفلسفية ومراحل تطورها.

❖ المبحث الثالث:

تقويم آراء محمد إقبال الفلسفية.

المبحث الأول:

مدى تأثر محمد إقبال بالفلسفة والفلاسفة.

تمثل الفلسفة عند الشاعر محمد إقبال مصدراً أساسيّاً في ثقافته وفكره مما أثر على آرائه العقدية والفكرية، بل إنه أكد في كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام سيطرة الفلسفة على الدين بقوله:«فللفلسفة من غير شك حق الحكم على الدِّين ...»(١).

تبدأ قصة إقبال مع الفلسفة في كلية لاهور حين التقى بأستاذه الفيلسوف المستشرق توماس أرنولد وقد أشرف هذا المستشرق على تربيته على منهج الفلسفة، وسرعان ما توثقت بينهما أواصر الصداقة، واستحكمت روابط الألفة، وتخرج إقبال من كلية لاهور ونال شهادة الفلسفة ثم عين أستاذاً للفلسفة واللغة الإنجليزية فيها، ثم قصد إنجلترا والتحق بجامعة كمبردج ونال منها شهادة في الفلسفة والأخلاق، ثم قصد ألمانيا ودرس في جامعة ميونخ ونال منها درجة الدكتوراه في الفلسفة بعنوان:"تطور الفكر الفلسفي في إيران" عام ١٩٠٨م. وفي هذا المقام يجدر بنا المرور على أبرز الفلاسفة الذين تغذى إقبال منهم، وتأثر بهم، وبيان مدى التشابه والاختلاف بينهُ وبينهم.

❖من أبرز الذين قرأ لهم إقبال، وتأثر بهم من رواد وعمالقة الفكر، والفلسفة الغربية هما:

١ - <u>فردريك نيتشه</u>(٢): اهتم بعض الباحثين والدارسين لفلسفة إقبال بمقارنتها مع فلسفة نيتشه، فهناك أوجه اتفاق واختلاف بينهما، فاتفقوا في فكرة الإنسان الكامل

---

(١) انظر: تجديد التفكير الديني ص (٧).

(٢) نيتشه: فردريك نيتشه، فيلسوف، وأديب ألماني ملحد، مجنون ومصاب بداء العظمة إلى حد تأليه النفس، آراؤه مليئة بالتخبط والخلط والتحريف، وتقوم على الإلحاد وجحود وجود الله تعالى والأديان والغيبيات، له مؤلفات من أشهرها: هكذا تكلم زرادشت، العلم المرح، وغيرهما، توفي ١٣١٧هـ /١٩٠٠م. انظر: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر (١٨٤-١٩٣).

على قول لبعض الباحثين، ولا حظوا أن هناك أثراً نيتشوياً في فكر الشاعر محمد إقبال ولا سيما في فكرة الإنسان الكـــامل التي تسمى عند نيتشه بـــ: (**super man**) – السوبر مان – الإنسان الأعلى، واختلفوا في مسألة وجود الله سبحانه وتعالى، فإقبال يثبت وجود الله، ونيتشه ينكر وجود الله وذاته، كما اختلفوا في إيصال الأفكار والآراء إلى الناس، فإقبال يوجه فكره وفلسفته إلى الناس جميعاً، بينما نيتشه يختص به عدداً من الأفراد والمتفوقين.

يقول إقبال في ديوان ضرب الكليم تحت عنوان "الحكيم نيتشه" [(١)]:

أي قـــدرٍ لـــذا الحكيـــم ولكـــن ... لـــم يكـــن أهـــلَ نكتـــةِ التَّـــوحيـــدِ

ليـــسِ إلا لـــذي البصيـــرة يبـــدو ... ســـــرُّ معنـــىً بـــ (لا إلـــه) بعيـــدِ

أرســـلَ الفكـــرَ أسهمـــاً فـــي سمـــاءٍ ... وحْـــوى الشمسَ بـــالخيـــال المـــديدِ

طـــاهرُ الطِّـــين فـــي التـــرهُّب لكن ... لـــذةُ الإثـــم نُصب طَرْفِ حديدِ

فإقبال معجب بنيتشه وفلسفته، ولكنه يأخذ عليه أنه عرف العقل لا القلب، وأدرك العلم لا العشق. وهنا يقول: لم يكن نيتشه من أهل التوحيد والعارفين لمعنى الألوهية، ولكنه كان يتشوف إلى لذة الإثم، فيكثر الحديث عنها.

٢- <u>هنري برجسون</u>[(٢)]: إن المطَّلع على فلسفة برجسون وفلسفة إقبال يجد أن هناك توافقاً واختلافاً، فاتفقوا في مسألة الذات والخلق المستمر في الكون وعدم اعتباره ثابتاً أو متجمدا، واختلفوا في مسألة الإنسان الكامل، فإقبال يوافق الصوفية في فكرة الإنسان الكامل، وبرجسون يرى أن الإنسان الكامل عنده المتشرب للأخلاق والعقيدة المسيحية.

---

(١) انظر: ديوان ضرب الكليم (٧١/٢).

(٢) برجسون سبق ترجمته ص (٤٤).

المبحث الثاني:

آراء محمد إقبال الفلسفية ومراحل تطورها.

إن الباحث في شعر وفكر محمد إقبال يجد الشمولية في الأفكار والتعدد في المشارب والرؤى، ففكر إقبال يحيط بكافة مجالات البشر، سواء كانت في الدين أو العقيدة، الأخلاق أو الحضارة، الثقافة أو السياسة. فهو يجمع بينها جميعاً ويضمنها أشعاره ومحاضراته وبحوثه الفلسفية [1].

وقبل أن نبدأ الحديث عن بعض آراء إقبال الفلسفية يجدر بنا أن نوضح مسألة مهمة وهي أن دراسة إقبال للفلسفة تقوم على التراث الصوفي والفلسفة الغربية معاً، وضمَّن عند حديثه عن الفلسفة مسألتين هما:

❖**فلسفة إثبات الذات**: فكرة إثبات الذات (الذاتية) [2] تناولها إقبال في مواضع كثيرة من شعره، بل خص ديواناً أسماه ديوان الأسرار والرموز تحدث فيه عن الذاتية بشكل مفصل، وناقش إقبال الذات بأسلوب فلسفي صوفي مستخدماً الأغراض الشعرية المعروفة من إيجاز وإطناب، وتمثيل وتشبيه، وغيرها من الأساليب البلاغية. فكرة الذات عند الشاعر محمد إقبال تقوم على الاعتقاد بقدرة الإنسان على السمو بقواه الذاتية، ويؤدي هذا القول إلى الاعتقاد بأن الإنسان قادر على خلق القيم واختيارها من نفسه دون النظر إلى عنصر خارجي كالدين مثلا [3].

---

(١) انظر: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره ص (٣٢٩).

(٢) مصطلح الذات يعرفها الجرجاني بقوله: ما يخصه ويميزه عن جميع ما عداه، وقيل: ذات الشيء نفسه وعينه، وهو لا يخلو عن العرض، والفرق بين الذات والشخص: أن الذات أعم من الشخص، لأن الذات تطلق على الجسم وغيره، والشخص لا يطلق إلا على الجسم. انظر: التعريفات ص (٧٣-٧٤).

(٣) انظر رسالة دكتوراه بعنوان: الإنسانية في فكر المسلمين المعاصر، ص (١٩١-٢١٥)، إعداد: محمد إدريس عبد الصمد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، قسم الثقافة، العام الجامعي ١٤١٧هـ؛ فقد تناول الباحث مفهوم الإنسانية عند الاتجاه التوفيقي، وذكر نماذج من المفكرين المهتمين بالتوفيق، مثل: رفاعة الطهطاوي، وخير الدين التونسي، وعبد الرحمن الكواكبي، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، والشاعر محمد إقبال.

يقول إقبال في ديوان الأسرار والرموز تحت عنوان "في بيان أنَّ حياة الذات بتخليق المقاصد وتوليدها" [1]:

إنَّمـا يُبقـي الحيـاة المقصـدُ	**جَـرَسٌ فـي ركبها ما تَقصد**
سِرُّ عيشٍ في طِلابٍ مُضمَر	**أصلُـه فـي أمـل مستتـر**
أُحـيِ فـي قلبكَ هـذا الأملا	**لا يَحُـل طينُـك قبـراً مُهمَـلا**
يخفِـق القلـب به بين الصدورْ	**هـو فـي صـدرك مـرآة تُنيـر**

تشير الأبيات السابقة إلى فكرة الذات عند محمد إقبال التي تكون بخلق المقاصد والسعي إليها، وعلى قدر عظم تلك المقاصد تعظم، وعلى قدر ما تلاقيه من مشاق تقوى، وأن الأمل أساس استمرار الحياة. ويؤكد إقبال أن عشق الأمل وعشق المثل العليا ينير الذات، ويبرز ما فيها من قوى.

❖ **فلسفة نفي الذات:** يُضَمِّنُ إقبال في فلسفة نفي الذات (اللاذاتية) أهمية الجماعة وضرورة بناء المجتمع وتنظيمه على أسس سليمة بنظام ثابت رشيد، فإنه لا مجال لارتقاء الفرد ونموه إلا من خلال وجوده في الجماعة وارتباطه معها وتقويته إياها. فإن القطرة ذات قيمة ومكانة في اليم ولا قيمة لها خارجه ولا لوجودها وحدها.

يقول إقبال:«وإنها لحقيقة سيكولوجية أن الاجتماع ينمي قوى الإدراك عند الرجل العادي، ويعمق شعوره، ويحرك إرادته إلى درجة لا يعرفها في عزلته ووحدته»[2].

ويقول في ديوان الأسرار والرموز تحت عنوان " في معنى ارتباط الفرد والأمَّة " [3]:

رحمـةٌ للفـرد حِجْـرُ الأمَّـة	**كـاملٌ جـوهـرُه فـي المِلَّـة**
فـالْزَمَنَّ الجمعَ جهْدَ المستطاعْ	**فـي ذُرا الأحرار كـنْ مثـلَ الشعـاعْ**

---

(١) انظر: ديوان الأسرار والرموز (١٣٦/١).

(٢) انظر: تجديد التفكير الديني ص (١٠٧).

(٣) انظر: ديوان الأسرار والرموز (١٩٠/١).

يشير الشاعر محمد إقبال في هذه المنظومة إلى فلسفة نفي الذات، وأن ارتباط الجماعة رحمة للفرد، فكمال جوهره من الأمة، فيا أيها المخاطب رافق الجماعة بقدر استطاعتك [١].

تحدث الشاعر محمد إقبال في رسالته للدكتوراه عن أساطين فلاسفة اليونان مثل أفلاطون [٢] وأرسطو [٣]، والفلاسفة المنتسبين إلى المسلمين كابن رشد الحفيد [٤]، وابن سينا [٥]، والفارابي [٦] وغيرهم، وقدم إقبال عرضاً موجزاً لمذاهبهم الفلسفية وبعضا من آرائهم، نأخذ على سبيل المثال ابن سينا. يقول إقبال:«يولي ابن سينا في – دراساته الطبيعية والطبية – اهتماماً خاصاً للبحث في النفس وطبيعتها، وفي عصره كانت فكرة

(١) انظر: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص (١٥٧).

(٢) أفلاطون: أفلاطون بن أرستون، من فلاسفة اليونان، تعلم الفلسفة على يد سقراط، أنشأ أول جامعة في أوروبا، له مؤلفات منها: طيماوس؛ السياسة؛ الدفاع عن سقراط، وغيرها، توفي سنة ٣٥٤ق.م. انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم ص (٧٥)، الناشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م؛ الموسوعة العربية العالمية (٢/٤٠٠).

(٣) أرسطو: أرسطو طاليس بن نيقوماخس بن ماخازن، من أشهر فلاسفة اليوناني، واخترع الطب لليونانين، ويعرف بالمعلم الأول، من أهم أفكاره الهيولى والصورة، له مؤلفات كثيرة في الفلسفة والمنطق من أشهرها: كتاب ما بعد الطبيعة، توفي سنة ٣٢٢ ق. م. انظر: الموسوعة العربية العالمية (١/٥٠٦).

(٤) ابن رشد: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الحفيد القرطبي الأندلسي، الفيلسوف، اهتم بكلام أرسطو وترجمه إلى اللغة العربية، له مؤلفات كثيرة منها: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، توفي سنة ٦٠٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/٣٠٧)؛ شذرات الذهب (٦/١٠٢).

(٥) ابن سينا: أبو علي البلخي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا، من أكابر الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام، كان والده ممن ينتسب إلى الطائفة الإسماعيلية، له مؤلفات ورسائل كثيرة في الفلسفة والمنطق والطب منها: الشفاء؛ النجاة؛ الإشارات والتنبيهات، وغيرها، توفي سنة ٤٢٨هـ. انظر:سير أعلام النبلاء (١٧/٥٣١)؛ شذرات الذهب (٥/١٣٢).

(٦) الفارابي: أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، تركي الأصل، من أكابر الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام وأكثرهم اطلاعاً على الفلسفة اليونانية، ويلقب بالمعلم الثاني على اعتبار أن أرسطو المعلم الأول، له مؤلفات كثيرة منها: المدينة الفاضلة؛ ما بعد الطبيعة، وغيرهما، توفي سنة ٣٣٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/٤١٦)؛ شذرات الذهب (٤/٢٠٩-٢١٥).

التقمص أو التناسخ تشيع بصفة متزايدة، فحرص هو على البحث في طبيعة النفس مع نزوع إلى بيان فساد هذه الفكرة – فكرة التناسخ –»[١].

والمعروف عن ابن سينا أنه ينكر القول بتناسخ الأرواح، حيث يرى أن كل نفس إنما تتعلق ببدن معين، ولهذا فإن وجود نفس ثانية إلى جوار النفس الأصلية، يعني وجود نفس معطلة، قاصرة عن التدبير [٢].

من آراء الشاعر محمد إقبال الفلسفية: السعي إلى التوفيق بين الدين والفلسفة، فيقول:«ولقد حاولت في هذه المحاضرات، التي أعددتها بناء على طلب الجمعية الإسلامية بمدراس، وألقيتها في مدراس وحيدر أباد وعليكرة. بأن أحاول بناء الفلسفة الدينية الإسلامية بناءاً جديداً، آخذاً بعين الاعتبار المأثور من فلسفة الإسلام، إلى جانب ما جرى على المعرفة الإسلامية من تطوُّر في نواحيها المختلفة»[٣].

ويرى إقبال أن الإنسان هو نائب الحق في الأرض، موافقاً رأي الفلاسفة والصوفية. سنذكر بالتفصيل رأي الشاعر محمد إقبال في مسألة النيابة الإلهية في المرحلة الثالثة من مراحل تربية الذات [٤].

❖**مراحل تربية الذات عند محمد إقبال:** أراد إقبال أن يصل إلى حقيقة عالية وغاية عظمى من إثبات الذات ألا وهي الوصول إلى درجة الإنسان الكامل، هذا الإنسان ذو الشخصية القوية والطاقات الخلاَّقة المبدعة، الذي يكون نائب الحق [٥].

---

(١) انظر: تطور الفكر الفلسفي في إيران ص (٤٢).

(٢) انظر: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الفلاسفة ومنهجه في عرضها، د. صالح الغامدي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م. ص (١١٤).

(٣) انظر: تجديد التفكير الديني ص (٢).

(٤) راجع هذه المسألة بالتفصيل ص (٢٧٢-٢٧٥).

(٥) انظر: فلسفة الذات في فكر محمد إقبال ص (٩٦).

يقول في مقاله الذي بعثه إلى الأستاذ المستشرق نيكلسون:«أشرت في فصول هذا المثنوي – يقصد ديوانه الأسرار والرموز – إلى أصول الأخلاق الإسلامية، وبيَّنت أن لكمال الذات ثلاث مراحل: الطاعة، وضبط النفس، والنيابة الإلهية» [1].

❖**المرحلة الأولى الطاعة:** يوجه إقبال حديثه للإنسان ويدعوه إلى طاعة الله تعالى التي هي أول مراحل الذات، وإنما تكون الطاعة بالانقياد للأوامر الإلهية ونواهيها، وعلى المؤمن أن يعلم أن كل ما أتى به الله تبارك وتعالى، إنما هو لمصلحة البشر والإنسانية أجمع، وضرب مثلاً عن الإنسان المطيع بالجمل الذي يسير بأثقاله صابراً متحملاً، ولا يحسب ذلك ألماً بل هو لذة. يقول في ديوان الأسرار والرموز تحت عنوان "الطاعة" [2]:

ألْفَـة الكـدِّ شعـارُ الجمـلِ   شيمـةُ الصَّبـر وَقـارُ الجمـلِ

صامتَ الأخفافِ يمشي ما ضيـا   زَورقـاً فـي البيدِ يَسـري هـاديا

فـاحمـل الفَرضَ قـوياً لا تهابْ   وارجونْ منْ عنده حُسْـنُ المـآب

لا شك أن طاعة المولى سبحانه وتعالى تبعث في النفس النور والقوة وتغمرها حيوية وطاقة لا توصف. والمجتمع الذي يتمسك أفراده بطاعة الله تعالى والعمل في حدود شرائعه وأحكامه سيكون مجتمعاً عادلاً متفاهماً يعيش في ظل المودة والسلام، ويدعو الإسلام إلى بناء المجتمع الفاضل الذي تسود فيه القيم الأخلاقية التي تضبط سلوك الإنسان وتبقيه في إطار إنسانيته [3].

---

(١) انظر: ديوان الأسرار والرموز (١/١١٩-١٢٣)، وقد كتب عن مراحل تربية الذات عند إقبال د. عبد الوهاب عزام في كتابه: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره ص (٨٣-٨٤)؛ د. أحمد معوض في كتابه: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره ص (٣٤٩-٣٥٩)؛ د. خليل الرحمن عبد الرحمن في كتابه: موقف محمد إقبال من الحضارة الغربية ص (١٥٤-١٥٦)؛ د.نجيب الكيلاني في كتابه: إقبال الشاعر الثائر ص (٦٧-٧٦)؛ د. محمد العربي بوعزيزي في كتابه: محمد إقبال فكره الديني والفلسفي ص (٤٥٦-٤٥٧)؛ د. رائد كاظم في كتابه: فلسفة الذات في فكـر محمد إقبال ص (٩٥-٩٩) وغيرهم.

(٢) انظر: ديوان الأسرار والرموز (١/١٥٣).

(٣) انظر: فلسفة الذات في فكر محمد إقبال ص (٩٧).

❖**المرحلة الثانية ضبط النفس:** يعد إقبال ضبط النفس المرحلة الثانية لتربية الذات التي شبهها بالجمل، ويدعو إلى قيادتها وضبطها حتى يبلغ الإنسان أعلى مقام، وردعها عن كل ما حرمه الله، فالنفس لها نوازع وأغراض وتحتدم فيها مشاعر ومطالب وتعمل فيها شهوات ورغبات، فلو سارت وراء هواها لأُلقيت في التهلكة، لهذا فمن الضروري ضبط النفس وكبح جماح شهواتها ونوازعها الشريرة. يقول في ديوان الأسرار والرموز تحت عنوان "ضبط النفس" [(١)]:

جَمـلٌ نفسُك تربو بالعلَف | في إباءٍ وعنادٍ وصلَفْ

فكُن الحرَّ وقُدْها بزمامْ | تبلُغن من ضبطها أعلى مَقامْ

منْ يَمسَّك بعصاً من لا إله[(٢)] | فلتحطَّم طِلْسم الخوف يداه

كلُّ منْ بالحقِّ أحيا نَفْسَهُ | لا ترى الباطلَ يُحني رأسَه

يشير إقبال في الأبيات إلى النفس حيث شبهها بالجمل المعتز بنفسه، المتكبر الجريء العنيد. فكن رجلا، وقد زمامها بالكف، حتى تصبح جوهراً، وخير سبيل لضبط النفس هو في الحفاظ على الفرائض الدينية، فالصلاة درة التوحيد والحج، والصوم وإن كان فيه جوع وعطش إلا أنه خير ضابط للجسد [(٣)].

❖**المرحلة الثالثة النيابة الإلهية (الخلافة في الأرض):** أما المرحلة الثالثة في تربية الذات فيراها إقبال في "النيابة الإلهية" اتساقاً مع قوله تعالى:﴿% & ') (﴾[(٤)]، فإقبال يرى أن للإنسان قدرا عالياً ومنزلة

---

(١) انظر: ديوان الأسرار والرموز (١٥٤/١).

(٢) كلمة "لا إله" في هذا البيت اختصاراً لكلمة "لا إله إلا الله" وكثيراً ما يستعملها إقبال في شعره، والمعنى في الشطر الثاني إنما السبيل إلى إبطال طلسم الخوف أن تمسك عصا من التوحيد كعصا موسى عليه السلام التي أبطلت السحر.

(٣) انظر: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره ص (٣٥١- ٣٥٢).

(٤) سورة البقرة آية: (٣٠).

سامية جعلها الله له عندما استخلفه في الأرض(١)، إلا أنه تباينت آراء الباحثين حـــول فكرة النيابة الإلهية في رأي الشاعر محمد إقبال على قولين:

القول الأول: من يرى أن الفكر الصوفي كما ظهر عند محي الدين ابن عربي، وعبد الكريم الجيلي، وجلال الدين الرومي وغيرهم من غلاة الصوفية أثراً في فكر الشاعر محمد إقبال وتصوره لنائب الحق، وهذا الرأي أشار إليه الدكتور أحمد معوض(٢)، وألمح إليه الدكتور علي حسون (٣)، ومال إليه الأستاذ عادل التل(٤)، واستدل أصحاب هذا القول بشواهد عديدة منها قول إقبال في ديوان الأسرار والرموز تحت عنوان "النيابة الإلهية" (٥):

نائـــبُ الحـــقِّ على الأرض سعيدْ ... حـــكمُه فـــي الكـــون خُـــلْدٌ لا يبيدْ

هـــو بـــالجزءِ وبـــالكـــلِّ خبيـــر ... وبـــأمـــر الله فـــي الأرض أميـــــر

هـــو فـــي الناس بشيـــرٌ ونـــذيـــرْ ... وهـــو جُنـــديٌّ وراعٍ وأميـــــرْ

أعطى الشاعر محمد إقبال الإنسان مترلة إلهية، كنائب للحق في الأرض باعتباره ينتمي مع الله إلى ذات واحدة، فقد وصف الإنسان بأنه:«سيد مصيره، وهو محور الحياة وهدفها المطلق، ويمكنه أن يكيف حياته بحيث يرتفع إلى تلك الذرى التي يتساءل فيها الله عما يريده الإنسان قبل أن يتم التقدير»(٦).

---

(١) انظر: المصدر السابق ص (٣٥٣- ٣٥٤).

(٢) انظر: المصدر السابق ص (٣٥٤وما بعدها).

(٣) انظر: فلسفة إقبال ص (٥٥).

(٤) انظر: النـــزعة المادية في العالم الإسلامي ص (٢٨٣).

(٥) انظر: ديوان الأسرار والرموز (١٥٦/١).

(٦) انظر: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره (٣٣٧).

ويعتبر إقبال الإنسان نائب الحق في الأرض فيقول:«فإن نائب الحق مثله كمثل الروح للعالم، ووجوده ظل للاسم الأعظم، فهو مطلع على رموز الجزء والكل، وهو في الدنيا قائم بأمر الله...»(١).

ويبالغ إقبال في وضع مواصفات الإنسان الكامل على الطريقة القدرية الصوفية الحلولية:«ويكون للنوع الإنساني بشيراً ونذيراً، فهو جندي وقائد وأمير، إنه مقصود علم الأسماء، وهو سر: سبحانه الذي أسرى ... فمن عصا يده البيضاء هو ملم، والقدرة الكاملة توأم لعلمه، وعندما يمسك ذلك الفارس العنان باليد يزداد فرس الزمان بالإسراع، وتجعل هيبته النيل جفافاً، ويحمل إسرائيل من مصر، ومن "قوله" قم تنبعث الأجساد في القبور، وتصبح موات الدنيا مثل الصنوبر في الخميلة، وإن ذاته جبير لذات العالم، ويعطي لهذه الرؤيا تعبيراً جديداً »(٢).

القول الثاني: من يرى أن إقبال أراد بالنيابة الإلهية أو الإنسان الكامل الكمال النسبي أو الإنسان المثالي، وإلى هذا الرأي ذهب أبو الحسن الندوي(٣)، والدكتور نجيب الكيلاني(٤)، والدكتور مصطفى عشوي(٥)، واستدل أصحاب هذا القول بمقطوعات شعرية ترجمها أبو الحسن الندوي في كتابه روائع إقبال.

يقول إقبال:«أخاف أن أفاجئكم بما لا تقدرونه ولا تنتظرونه إذا أخبرتكم أن الإنسان الكامل الذي وجده محمد إقبال، فوجد فيه ما كان ينشده، من معاني الإنسانية والقوة والحياة والجمال والكمال هو "المسلم" لا أقل ولا أكثر»(٦).

---

(١) انظر: المصدر السابق ص (٣٥٤).

(٢) انظر: الترعة المادية في العالم الإسلامي ص (٢٨٣).

(٣) انظر: روائع إقبال ص (٨٧-٩٠).

(٤) انظر: إقبال الشاعر الثائر ص (٧٢-٧٦).

(٥) انظر: الإنسان والكمال في فلسفة إقبال لمصطفى عشوي ص (٣)، وهذا البحث غير مطبوع، ومصطفى عشوي عضو هيئة التدريس في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، قسم الإدارة والتسويق. انظر البحث على الإنترنت عبر هذا الرابط: http://www.dahsha.com/viewarticle.php?id=31277/

(٦) انظر: روائع إقبال ص (٨٩).

وفي موضع آخر يقول إقبال:«إنك أيها المسلم في العالم وحدك، وما عداك سراب خادع ودرهم زائف» [1].

والمختار عند الباحث – والله تعالى أعلم – أن إقبالاً يذهب في فكرة نائب الحق إلى ما ذهب إليه غلاة الصوفية من الحلول والاتحاد في الذات الإلهية، وأنه مرآة يتحد فيها الوجود الآلهي بالوجود الدنيوي.

(1) انظر: المصدر السابق ص (٦٧).

المبحث الثالث:

تقويم آراء محمد إقبال الفلسفية.

اشتهر أن للفلسفة مدرستان، المدرسة الأولى الأفلاطونية وتهتم هذا المدرسة بالكشف والإيحاء، ولهذا سميت الفلسفة الإشراقية أو المشرقية كما يسميها الفلاسفة المنتسبين إلى للإسلام، والمدرسة الثانية الأرسطية وتهتم بالنظر والاستدلال، وهؤلاء يهتمون بالمنطق أسوة بأستاذهم ومعلمهم الأول الفيلسوف أرسطو، ومما سبق ذكره وبيانه نجد أن الشاعر محمد إقبال في فكره الفلسفي يزاوج بين تلك المدرستين، ويأخذ آرائه وأفكاره منهما.

وبعد ما عرضت في المبحث السابق فكرة الذات ونفي الذات عند الشاعر محمد إقبال، ومراحل تربية الذات، وبعضاً من آرائه الفلسفية، فإن الباحث بادي ذي بدء لا يتفق مع آراء إقبال الفلسفية لما فيها من النـــزعة الصوفية، والتأثر بالفلسفة الغربية، وإن كانت آراؤه الفلسفية من ناحية الصياغة الشعرية، والمعاني اللفظية، والتراكيب البلاغية، لا يشق لها غبار، فإقبال شاعر نحرير قد استطاع بما أوتي من ثقافة وموهبة واسعة في الشعر أن يصب هذه الثقافة في قالبه الشعري ليخرج لنا أدباً جمًّاً ورائعاً، وهذا الكلام له نظائر عند شعراء الحداثة في الفكر العربي المعاصر مثل شاعر المرأة نزار قباني [1] فهو ذو قلم جميل أدبياً وشاعرياً لكنه لم يحسن صياغته فالشطحات العقدية تملأُ شعره وأدبياته، فإقبال كما عبر عنه أحد الباحثين بأنه: واحدٌ من أبرز الذين أدبوا الفلسفة وفلسفوا الأدب أمثال الكثير من الفلاسفة الشعراء والأدباء في تاريخ الفكر والشعر، واستطاع إقبال أن يُزاوج بين الشعر والفلسفة، وبين المنطق والعاطفة، فكان شاعراً

---

(١) نزار قباني: شاعر سوري، درس الحقوق، وعمل في بعثة دبلوماسية في القاهرة ثم تركيا ثم لندن وبكين، من رواد الحداثة، اشتهر بأنه شاعر المرأة، حيث جعل منها مجرد جسد، وإناء لتفريغ الشهوة الجنسية، يركز على أعضاء الجنس، والملابس الداخلية للنساء، ويأتي بعبارات صارخة مكشوفة جنسياً، ويجاهر بالإلحاد، والتهكم بالله ورسوله والدين والشريعة، توفي ١٩٩٨/٤/٣٠م. انظر: الانحراف العقدية في أدب الحداثة وفكرها (١٤٥/١ حاشية رقم :٢).

فيلسوفا وفيلسوفاً شاعراً [1].

ما ذهب إليه إقبال من التوفيق بين الدين والفلسفة عند

قوله: «أحاول بناء الفلسفة الدينية الإسلامية بناءاً جديداً، آخذا بعين الاعتبار المأثور من فلسفة الإسلام، إلى جانب ما جرى على المعرفة الإسلامية من تطوُّر في نواحيها المختلفة»[2].

إنَّ فكرة التوفيق بين الدين والفلسفة جاءت من ضمن ردود الأفعال تجاه موقف المسلمين من الفلسفة والمنطق اليوناني بين المؤيد لها، وبين الرافض لها جملةً وتفصيلاً، وبين أهل التوفيق كما هو رأي الشاعر محمد إقبال من أن الدين والفلسفة كل منهما مكمل للآخر. فإقبال يسعى في فلسفته إلى التوفيق بين الدين والفلسفة كما هو ظاهر من النص السابق وغيره من النصوص والشواهد الشعرية[3]. وهذا الجانب التوفيقي نجده عند أغلب الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام، فمثلاً الفيلسوف أبو نصر محمد الفارابي يعد من أوسع الفلاسفة إطلاعاً على الفلسفة اليونانية، وقد تزعم حركة التوفيق بين آراء فلاسفة اليونان خصوصاً (أفلاطون وأرسطو) [4]؛ لكي يرد على القائلين بوجود خلاف بينهما، فجاءت محاولاته تلفيقية أكثر منها توفيقية [5].

---

(١) انظر: إقبال الشاعر الثائر ص (٧٢)؛ فلسفة الذات في فكر محمد إقبال ص (٦٥).

(٢) انظر: تجديد التفكير الديني ص (٢).

(٣) يعتبر الشاعر محمد إقبال من المفكرين المهتمين بمنهج التوفيق بين الإسلام والفكر الغربي، يقول عنه د. محمد البهي: إن محمد إقبال رغم جهوده المعروفة في الرد على الحضارة الغربية ظل متأثراً بالمفاهيم الغربية عند محاولة التوفيق بين الإسلام والفكر الغربي، وإنه مفكر غربي في الصياغة والمنهج لأن طريقة تفكيره الديني يغلب عليها الطابع الغربي. انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص (٤٧٩).

(٤) يرى بعض الباحثين أن فكرة التوفيق بين الدين والفلسفة هي أبرز لدى الفيلسفوف أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي فهو رائدها وأول من مارس الفلسفة، أما الفارابي فكانت وجهته فلسفية خالصة.

(٥) انظر: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها ص (١٠٤).

إنَّ المحاولة التي سعى فيها الشاعر محمد إقبال إلى التوفيق بين الدين والفلسفة الغاية منها بناء وتأسيس فلسفة إسلامية دينية قائمة على التجديد أو ما يسمى بالأصالة والمعاصرة، وهذا الرأي الذي تبناه إقبال جاء لتأثره ببعض فلاسفة الغرب والفلاسفة المنتسبين إلى المسلمين، كما كان لإقبال إطلاع على رسائل إخوان الصفا الأثر الكبير في أخذه وتبنيه لهذا الرأي [1]، ولا يخفى على القارئ الكريم أن رسائل إخوان الصفا خليط من العقائد والفلسفات الباطلة المنحرفة، والمطلع على هذه الرسائل يجد عقائد الباطنية والنصيرية والمعتزلة والإسماعيلية والمجوس والوثنين والفيثاغوريين والأفلوطانيين[2].

ومنهج السلف الصالح في التعامل مع أصحاب المنهج التوفيقي يقرره جمع من العلماء والمحققين، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – حيث وصف في غير ما موضع من مؤلفاته عمل ابن سينا عندما جمع وخلط بين الشريعة والفلسفة اليونانية، بالتدليس والتلبيس، وأنه أخذ مخ الفلسفة وكساه بلحاء الشريعة، مما أدى إلى كثرة المتناقضات في فلسفته المشائية المعدلة، وإلى تضليل كثير من أهل العلم في المطالب الإيمانية العالية، والمقاصد القرآنية السامية، وإخراجهم عن حقيقة العلم والإيمان، فصاروا بذلك كثيرا ما لا يسمعون ولا يعقلون، ويسفسطون في العقليات ويُقرمطون في السمعيات؛ بمعنى أنهم يستخدمون السفسطة الجدلية في المسائل العقلية، ويستعملون التأويل الباطني في القضايا الشرعية [3].

---

(١) تناول الشاعر محمد إقبال الحديث عن إخوان الصفا في رسالته للدكتوراه – تطور الفكر الفلسفي في إيران – ص (٥٤-٥٥)، عندما تحدث عن إحياء مذهب التعليم الإسماعيلي، فقد عقد المقارنة بين الدعاة الإسماعيليين، وأنصار الجماعة المعروفة بإخوان الصفا، حيث وصف إقبال علاقتهما بالسرية التامة.

(٢) انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها، د. محمد أحمد الخطيب، الناشر: مكتبة الأقصى، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م. ص (١٦٩-١٩٥).

(٣) انظر: الفتاوى (٩/١٣٥-١٣٦ ؛ ١٠/٤٠٢ ؛ ١٧/٣٢٩-٣٣٧-٣٣٨)؛ للاستزادة في تصدى علماء أهل السنة للفلاسفة المنتسبين للإسلام في سعيهم للجمع بين الشريعة والفلسفة اليونانية والمزج بينهما انظر: مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية خلال العصر الإسلامي، د. خالد كبير علال، الناشر: دار المحتسب ٢٠٠٨م. ص (٤٩) وما بعدها.

يقول أبو العباس بن تيمية:«وصار ابن سينا وابن رشد الحفيد وأمثالهما يقرِّبون أصول هؤلاء إلى طريقة الأنبياء، ويظهرون أن أصولهم لا تخالف الشرائع النبوية، وهم في الباطن يقولون إن ما أخبرت به الرسل عن الله واليوم الآخر لا حقيقة له في نفس الأمر، وإنما تخييل وتمثيل وأمثال مضروبة لتفهيم العامة ما ينتفعون به في ذلك بزعمهم وإن كان مخالفاً للحق في نفس الأمر، وقد يجعلون خاصة النبوة هي التخييل ويزعمون أن العقل دل على صحة أصولهم»[١].

ويرى الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي [٢] أن سعي الفلاسفة المشائين [٣] للجمع بين الشريعة وفلسفة اليونان، هو عمل خاطئ، لأنه لا يمكن الجمع بينهما، ومن رام الجمع بين علوم الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – وعلوم الفلاسفة، فلابد أن يخالف الاثنين، ومن كفَّ ومشى خلف ما جاءت به الرسل، سلم له دينه ويقينه. ثم قال: ولقد شرّف الله الإسلام وأوضح حججه، وقطع العذر بالأدلة، وما مثل من نصر الإسلام بمذاهب الفلاسفة والآراء المنطقية، إلا كمن يغسل الثوب بالبول[٤].

إنَّ ما سعى إليه الشاعر محمد إقبال من التوفيق بين الدين والفلسفة هو عمل لا مبرر له شرعاً ولا عقلاً، لأن دين الإسلام كامل شامل للدين والدنيا معاً، قال تعالى:﴿U T S R Q P O N M L K﴾[٥]، لذا فهو ليس في حاجة لمساعي هؤلاء للجمع بينه وبين فلسفتهم البشرية القاصرة، كما أن كل من يعرف دين الإسلام يعلم أنه يتناقض تماما مع فلسفة اليونان في التوحيد والنبوة

(١) انظر: الصفدية (٢٣٧/١).

(٢) الذهبي: أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، واسمه محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الأصل، الدمشقي، مؤرخ ومحدث، وإمام في الجرح والتعديل، له مؤلفات كثيرة منها: سير أعلام النبلاء، والكبائر، وغيرهما، توفي سنة ٧٤٨هـ. انظر: شذرات الذهب (٢٦٤/٨).

(٣) سُموا بالمشائين لأن أرسطو معلمهم الأكبر كان يعلم تلاميذه ماشياً. انظر: المعجم الفلسفي (١٨٤).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٤٥/١٩)؛ مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية خلال العصر الإسلامي ص (٥٦).

(٥) سورة المائدة آية: (٣).

والمعاد، و غيرها من حقائق الدين، لذا فان دعوى الجمع بينهما، هي عملية تدليسية تمويهية تلفيقية، وتغليطية تحريفية تخريفية، تنطوي على نوايا خفية خبيثة مغرضة، وهي أيضا كذب على الشرع وعلى الناس، كما أن الإنسان الصريح مع نفسه والمنطقي معها والمحترم للعقل والعلم، يرفضها برمتها، لأن تصورها وحده يكفي للحكم على بطلانها، لأنها تستلزم الجمع بين المتناقضين، كالقول بحدوث العالم وقدمه وهذا مستحيل، كما أن الدين الإسلامي الحنيف لا يقبل الجمع ولا الخلط أصلا، فهو دين يفرض على أتباعه الخضوع والاستسلام التامين لله رب العالمين، ويرفض أي مبدأ بشري يُنافسه، أو يُزاحمه، أو يُساويه، أو يعلو عليه، أو يحل محله، ويعد كل محاولة لإحلال الفكر البشري محل الوحي الإلهي ضلالا وانحرافا عن الصراط المستقيم، وعبودية لغير الله، قال تعالى:﴿ ! " # $ % & ' ( ) ﴾،[1] ﴿ J K L M N | P Q R S T U V | ﴾[2]، ومع هذا فإن الإسلام لا يمنع أهله من الاستفادة مما عند غيرهم من المنافع الدنيوية المباحة. وإنني لأتعجب من سعي الفلاسفة المسلمين للجمع بين الإسلام وفلسفة اليونان المشائية، فما الذي أعجبهم فيها و لم يجدوه في الإسلام ؟!! وهي فلسفة وثنية مليئة بالأباطيل والضلالات والشركيات [3].

وما وافق به إقبال الفلاسفة وغلاة الصوفية في مسألة النيابة الإلهية،

نقول إنَّ هذه المقولة – الإنسان خليفة الله في الأرض – سرت مسيرة الحقائق المسلم بها، وأخذتها ألسنة بعض الباحثين تطلقها إتباعاً دون بحث عن جذور هذه الفكرة، ومصدرها وأسانيدها النصية أو العقلية المنطقية، ولا شك أن هذه المقولة براقة في ظاهرها ولكن لدى تحليلها نلاحظ أنها ذات إشكال كبيرة في مفاهيم العقيدة الإسلامية، وبيان ذلك فيما يلي: إن الاستخلاف يتضمن معنى تفويض المستخلف

---

(١) سورة الجاثية آية: (٢٣).

(٢) سورة الأنعام آية: (١٥٣).

(٣) انظر: مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية ص (٥٦-٥٧).

لخليفته، وهذا التفويض إما أن يكون تفويضاً في الخلق، أو تفويضاً في الحكم والأمر والنهي، أو تفويضاً في العمل والتصرفات.

أما التفويض في الخلق فالمقرر في العقائد بداهة، أن الخلق كله لله وحده، والله تعالى لم يفوض أحداً بأن يخلق شيئاً، فليس لله خليفة في الخلق، وأما معجزات عيسى عليه السلام في إحيائه للموتى ونفخه في الطين فيكون طيراً، فلم يكن تفويضاً في الخلق، ولكنها معجزة كان يجريها الله على يد رسوله، ورسوله ما كان يباشر أسبابها إلا بالإذن الرباني وهو ما بينه الله في قوله تعالى:﴿4 5 6 7 8 9 : ;

< = > ? @ A B C D E F G I J

K L M N P Q R S T U V W

X Y Z [ ] ^ _ ` b c d e g

h i j k l m n o p q r s t u v

w ﴾[1]، فإجراء كل معجزة من هذه المعجزات لم يكن يتم إلا بإذن الله، وإذا كان الأمر كذلك فلا تفويض في الخلق مطلقاً.

وأما التفويض في الحكم والأمر والنهي عن الله فله عقلاً وشرعاً وقيود، إن الحاكمية لله وحده، فمن له الخلق هو الذي له الأمر، وكون الحاكمية لله وحده هو من عناصر توحيد الإلوهية ... فهذا شأن التفويض في الأحكام إن يكن فلا يكون إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن الله عز وجل يتابعه بالتعديل والتصحيح إذا أخطأ.

وأما التفويض في العمل والتصرفات فهو يتضمن إباحة كل تصرف وعمل يصدر عن الإنسان، وهذا خلاف الواقع، إذ الإنسان موضوع موضع التكليف والمسؤولية، والمكلف مأمور، تجب عليه الطاعة وهو مسؤول عن عمله، وليس بمفوض، إنه عبد

---

(١) سورة المائدة: آية (١١٠).

مبتلى، وليس خليفة عن الله سبحانه وتعالى [1].

وما ذهب إليه إقبال في آية الاستخلاف في الأرض فإنه زعم باطل، ورأيٌ مخالفٌ لمنهج السلف الصالح، إذ أنَّ القول بالنيابة الإلهية يتفق مع الفكرة القائمة عند اليهود والنصارى، يقول سبحانه: ﴿ k l m n o p q r s t x | z { | } ~ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [2]، كما أن أصل هذه النظرية عند الفلاسفة أيضاً القائلين أن الوجود واحد ومنه كانت المخلوقات عن طريق الفيض [3]، ولقد انتقلت هذه الأفكار عن طريق الفلسفة إلى القدرية، وظهرت بأوضح صورة عند غلاة الصوفية من جماعة الاتحاد والحلول مثل الحلاج والرومي وابن عربي [4].

وهذا الرأي له حظٌ عند بعض المثقفين المعاصرين ومن انحرف فكره عن طريق السلف الصالح، حيث حاولوا الاستدلال بالآيات الواردة في شأن الاستخلاف في الأرض وعمارتها، والأخذ ببعض أقوال المفسرين المرجوحة. ولعل النزعة الفلسفية الصوفية في آراء الشاعر محمد إقبال لها الأثر في أخده بهذا الرأي فقد كان محي الدين بن عربي شيخ وإمام الصوفية يقول بالنيابة الإلهية في أية الاستخلاف، يقول شيخ الإسلام – رحمه الله – :«وقد ظن بعض القائلين – كابن عربي – أن الخليفة هو الخليفة عن

(١) انظر: مجلة كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، العدد الأول، بحثاً بعنوان: هل الإنسان خليفة الله في الأرض للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص (٣١-٤٧). فقد بحث الشيخ الميداني هذه المسألة بحثاً تأصيلياً شمولياً، فقد أجاد وأفاد.

(٢) سورة التوبة آية: (٣٠).

(٣) نظرية الفيض من النظريات القائمة على أساس فكرة الصدور، أي صدور الموجودات عن الله بطريق الفيض من المراتب العليا إلى المراتب الدنيا. انظر: المعجم الفلسفي ص (١٠٦-١١٧)؛ التعريفات ص (١٢٧-١٢٨).

(٤) انظر: النـزعة المادية في العالم الإسلامي ص (٢٨٢).

الله، مثل نائب الله»[(١)].

أن مسألة خلافة الإنسان عن الله في الأرض مسألة خطيرة [(٢)]، تزحف منها تعميمات تجعل الأصلح لعمران الأرض عمراناً حضارياً مادياً هم المؤهلين ليكونوا خلفاء الله في أرضه، ولو كانوا كافرين به جاحدين لوجوده كما أن هذه الفكرة تنتقل إلى إشاعة وجوب طاعة الدول الحضارية المستعمرة المتقدمة في مجالات الصناعة والقوة والعلوم المادية، ووجوب عدم مقاومتها، لأن رجالها هم المؤهلون لعمران الأرض عمراناً حضارياً مادياً، فهم خلفاء الله في أرضه الذين تجب طاعتهم، وفق قانون استخلاف الأصلح للعمران، والأعرف به، والأقدر عليه، لو كان الاستخلاف عن الله أمراً واقعاً فعلاً، ومن هذه النقطة المزلقية الخطيرة زحف الميرزا غلام أحمد القادياني عميل الإنجليز في الهند والعامل في خدمتهم والناصر لقضاياهم، فأسقط ركن الجهاد في سبيل الله، وزعم أن الإنجليز هم خلفاء الله في أرضه، فلا يجوز قتالهم، ولا تجوز مقاومتهم

---

(١) انظر: الفتاوى (٣٥/٤٤).

(٢) لسائل يسأل ويقول ما حكم قول هل الإنسان خليفة الله في أرضه؟. جماع خلاف أهل العلم في هذا على ثلاثة أقوال:- **الأول:** الجواز، فيجوز أن يقال: فلان خليفة الله في أرضه، واحتجوا بحث الكُمَيْل عن علي: أُولئك خلفاء الله في أرضه...، وبقوله تعالى:﴿ ! " # $ % & ') (﴾، وبقول النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله ممكن لكم في الأرض ومستخلفكم فيها فناظر كيف تعلمون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء...، وبحديث المهدي وفيه: خليفة الله المهدي...، واحتجوا بقول الراعي يخاطب أبا بكر رضي الله عنه:

خـليفة الـرحمن إنـا معشـر حنفاء نسجد بكرة وأصيـلا
عـرب نـرى لله في أمـوالنـا حـق الزكاة منـزلاً تنـزيلاً

الثاني: منع هذا على الإطلاق؛ لأن الخليفة إنما يكون عمن يغيب ويخلفه غيره، والله تعالى شاهد غير غائب، فمحال أن يخلفه بل هو سبحانه وتعالى الذي يخلف عبده المؤمن فيكون خليفته، واحتجوا بقول أبي بكر لما قيل له يا خليفة الله، قال لست بخليفة الله، ولكني خليفة رسول صلى الله عليه وسلم، وحسبي ذلك.

الثالث: وهو ما قرره ابن القيم – رحمه الله – فقال: قلت: إن أُريد بالإضافة إلى الله: أنه خليفة عنه، فالصواب قول الطائفة المانعة فيها، وإن أُريد بالإضافة: أن الله استخلفه عن غيره ممن كان قبله فهذا لا يمتنع فيه الإضافة، وحقيقتها: خليفة الله الذي جعل الله خلفاً عن غيره، وبهذا يخرج الجواب عن قول أمير المؤمنين: أُولئك خلفاء الله في أرضه. انظر: معجم المناهي اللفظية ص (٢٥٢-٢٥٣).

لإخراجهم، بل تجب طاعتهم والاستكانة لحكمهم وسلطانهم، وهذه الفكرة لم يقل بها أحد من السلف، وليس لها سند من نص شرعي، جل ما تعتمد عليه تأويل فاسد، ثم شاعت واستهوت كثيراً من الناس وتلامعت ألوانها في نظر الكثيرين من دعاة ومفكري الإسلام، ورأوا أنهم يستحثون بها الضمير الإنساني لالتزام منهج الله وتطبيق أحكامه وشرائعه ومنهم الشاعر محمد إقبال.

وفي ختام هذا المبحث لا بد من التنبيه على عدة أمور:

❖**أولاً:** إنَّ ما تناوله الشاعر محمد إقبال في فلسفته من الاعتقاد بقدرة الإنسان على السمو بقواه الذاتية فإنه يؤدي إلى الاعتقاد بأن الإنسان قادر على خلق القيم واختيارها من نفسه دون النظر إلى عنصر خارجي كالدين مثلا؛ وإن كان إقبال يرى ضرورة العودة إلى الدين في نهضة الأمة، وينتقد بعض المفاهيم الغربية نقداً إيجابياً، لكن منهجه التوفيقي هو الذي أوصل الباحث إلى هذا التحليل.

❖**ثانياً:** لم يوافق إقبال المنهج الفلسفي بكل آرائه وأفكاره، بل وجه النقد والاعتراض لأكابر فلاسفة اليونان والفلاسفة المنتسبين للإسلام، فمثلاً يرى إقبال أن أفلاطون الفيلسوف الألماني الذي تأثرت الشعوب الإسلامية وآدابها بكثير من أفكاره قد ذهب مذهب الغنم – يعني الجبن – .

يقول إقبال في ديوان الأسرار والرموز[1]:

راهبُ الماضين أفلاطُ الحكيم — منْ فريق الضأن في الدِّهر القديم
طَرفُه في ظُلمة المعقول ضلّ — في حزون الكَوْن قد أعيا وكلَّ
فكرُه في غير محسوسٍ فُتِن — صدَّ عن كفٍّ وعَين وأُذن
هو شاةٌ في لباس الآدميّ — وهو في الصوفيّ ذو بأس قوي

(١) انظر: ديوان الأسرار والرموز (١٤٧/١).

فالشاعر نظم هذه الأبيات في بيان أن أفلاطون اليوناني الذي أثرت آراؤه في تصوف المسلمين وآدابهم كان على هذه الطريقة الغنميَّة، وأن الاحتراز من آرائه واجبٌ [1].

❖ **ثالثاً:** من أراد البحث والاطلاع على فكر الشاعر محمد إقبال الفلسفي وتحليله للفلسفة فإنه لا يكتفي بالدواوين الشعرية، وكتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام فحسب، بل عليه الاطلاع على أطروحته للدكتوراه تطور الفكر الفلسفي في إيران، فقد تناول الروابط الفكرية التي تربط النظم الفلسفية والتسلسل الفكري الإيراني، فعمد إلى تتبع المسار العام الذي اتجه إليه هذا الفكر، ومقارنة الملامح الفكرية التي تميز كل واحد من أقطاب الفكر الفلسفي في إيران في مختلف العصور بنظائرها من ملامح الفكر الفلسفي لدى الهنود والصينيين والغربيين، ولم يُعن إقبال في كل ذلك إلا بالقضايا الرئيسة، وكان زاهداً في الإسهاب حريصاً على الاختصار، لكن عمله جاء على كل حال وافياً بالغرض إلى حد كبير[2].

---

(١) انظر: الاتجاه الإسلامي في شعر محمد إقبال ص (٢٤٦).

(٢) انظر: تطور الفكر الفلسفي في إيران ص (٩).

الفصل الرابع

موقف محمد إقبال من التجديد الديني

وفيه خمسة مباحث:

❖ المبحث الأول:

مفهوم التجديد الديني عند محمد إقبال.

❖ المبحث الثاني:

رأي محمد إقبال في التجديد الديني وتقويمه.

❖ المبحث الثالث:

تأثير محمد إقبال فيمن جاءِ بعده في مسألة التجديد.

❖ المبحث الرابع:

موقف محمد إقبال من الدعوة السلفية.

❖ المبحث الخامس:

أثر محمد إقبال على الكُتاب والمفكرين الإسلاميين.

المبحث الأول:

مفهوم التجديد الديني عند محمد إقبال(١).

قبل الحديث عن مفهوم التجديد الديني عند الشاعر محمد إقبال يجدر بنا أن نلقي الضوء ولو بفكرة موجزة على الفكر التجديدي في القارة الهندية.

لم تظهر كتابات علماء ومفكري شبه القارة الهندية التجديدية إلا بعد انهيار الدولة التيمورية وانتشار موجة المواجهات العسكرية مع الاستعمار البريطاني إبَّان منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، حيث ظهرت في منتصف العقد الثالث من هذا القرن تحديداً بواكير الدعوات الإصلاحية التي كان همها الأكبر ممثلا في مناقشة قضايا الصراع بين الحضارة الأوربية الوافدة من جهة، والثقافة الهندوسية العريقة من جهة ثانية، والعقيدة الإسلاميَّة من جهة ثالثة، تبعاً لذلك انقسم المفكرون المسلمون هناك إلى اتجاهين رئيسين:

❖**<u>الأول</u>:** الاتجاه المحافظ الذين حملوا لوا التجديد والإصلاح بنشر تعالم الكتاب والسنة، ومحاربة الشرك والبدع والرسوم والعادات، والعودة الصادقة إلى الدين، والتمسك بالوحيين، ومن هذا المنطلق محاربة الاستعمار والفكر الغربي.

---

(١) التجديد يقصد به هنا تجديد الدين، ويختلف التجديد في المصطلح الإسلامي عن تعريفه في المفاهيم الغربية، بل وعند من تأثر بهم من المنتسبين للإسلام. **<u>يراد بالتجديد في الاصطلاح الإسلامي</u>:** ما قام على مفهوم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها " وعلى ذلك فإن التجديد هو: إحياء وبعث معالم الدين العلمية بحفظ النصوص الصحيحة نقية، وتمييز ما هو من الدين مما هو ملتبس به، وتنقيته من الانحرافات والبدع النظرية والسلوكية، وبعث مناهج النظر والاستدلال لفهم النصوص على ما كان عليه السلف الصالح. **<u>والتجديد في الاصطلاح الغربي</u>:** يعني وجهة نظر في الدين مبنية على الاعتقاد بأن التقدم العلمي والثقافة المعاصرة يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة، واعتبار أن الدين صحيح ما دام لا يتعارض مع التطور. انظر في تعريف التجديد: مفهوم تجديد الدين، ص (١٣-١٨)؛ التجديد في الفكر الإسلامي، ص (٣٧٣)؛ الموسوعة الميسرة (١٠١٢/٢)؛ تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، محمد شاكر الشريف ص (١١-١٨)، سلسلة تصدر عن مجلة البيان، الطبعة الأولى١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م؛ مجلة البيان مقالاً بعنوان: التجديد في الإسلام، بقلم: التحرير، العدد: (٢)، ١٤٠٧ هـ/ أكتوبر ١٩٨٦م. ص (١٨).

❖**الثاني:** وهو ما يُطلق عليه الاتجاه التحديثي – التجديدي [(١)] ممثلاً في شخص أحمد خان والذي دعا – على العكس من الاتجاه الأول–، إلى الأخذ من الحضارة الغربية في علومها ونظمها وفنونها [(٢)]، وللأسف أن كثيراً من المفكرين اعتبروا حركة السيد أحمد خان إصلاحاً وتجديداً سليمة من الانحراف ونسوا أو تناسوا أنها بدأت ولاءًا روحياً للغرب وميلاً للتعايش ثم انتهت بمحاولة تخريب الإسلام ذاته [(٣)].

إنَّ مفهوم التجديد عند الشاعر محمد إقبال يكون في التوفيق بين النصوص القرآنية والشرعية وبين ما جدَّ في حقل الفلسفات الغربية ومعطيات العلم الحديث، والمتأمل لكتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام يجد أنه حاول الجمع والتوفيق بين الإسلام والفلسفة الغربية فقد صرَّح قائلاً:«أحاول بناء الفلسفة الدينية الإسلامية بناءاً جديداً، آخذاً بعين الاعتبار المأثور من فلسفة الإسلام، إلى جانب ما جرى على المعرفة الإسلامية من تطوُّر في نواحيها المختلفة»[(٤)]، وقد تناولنا بالنقد والتقويم المحاولة التي سعى فيها إقبال إلى التوفيق بين الدين والفلسفة التي غايتها بناء وتأسيس فلسفة إسلامية دينية قائمة على التجديد أو ما يسمى بالأصالة والمعاصرة في مبحث: تقويم آراء محمد إقبال الفلسفية [(٥)].

---

(١) من الملاحظ أن الفكر التجديدي سرعان ما انتقل إلى البيئات العربية خلال القرن (١٩م) ؛ وذلك بظهور كتاب الطهطاوي: تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ومرورا بكتابي فارس الشدياق: الواسطة في معرفة أحوال مالطة، وكشف المخبأ عن فنون أوربا، وانتهاء بكتاب"أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك"، لخير الدين التونسي.

(٢) انظر: مؤتمر اتجاهات التجديد والإصلاح في الفكر الإسلامي الحديث المنعقد ما بين ١٩–٢١ يناير ٢٠٠٩م، فقد بحثوا عن تيارات الإصلاح والتجديد في شبه القارة الهندية خلال القرنين ١٣–١٤هـ / ١٩–٢٠م، إعداد محمد حلمي عبد الوهاب، أُخذ نص هذا المؤتمر من مكتبة الإسكندرية. ص (٣) وما بعدها.

(٣) انظر: جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث، جمال سلطان، الناشر: مركز الدراسات الإسلامية برمنجهام، بريطانيا، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م. ص (٨٢).

(٤) انظر: تجديد التفكير الديني ص (٢).

(٥) انظر: ص (٢٨٨ وما بعدها).

المبحث الثاني:

رأي محمد إقبال في التجديد الديني وتقويمه.

رأي الشاعر محمد إقبال في التجديد الديني ينطلق من سؤال طرحه في كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام قائلاً: هل شريعة الإسلام قابلة للتطور؟. ثم يثبت الجواب بالإيجاب، على شرط أن يواجه العالم الإسلامي المستجدات بالروح التي كان يواجه بها عمر مشكلات الدين. ونذكر في هذا المبحث جملة من آراء إقبال في التجديد الديني.

يقول إقبال:« ... والسؤال الذي يواجهه التركي اليوم، والذي يرجح أن يواجه الأمم الإسلامية الأخرى في القريب العاجل، هو ما إذا الشريعة الإسلامية قابلة للتطور. وهو سؤال تحتاج الإجابة عنه إلى جهد عقلي عظيم. ومن المؤكد أن يكون الجواب عنه بالإيجاب، على شرط أن يواجهه العالم الإسلامي بالروح التي كان يواجه بها عمر مشكلات الدين. فهو أول عقل ممحص مستقل في الإسلام، وكان له الشجاعة الأدبية ما جعله يقول في اللحظات الأخيرة من حياة النبي " حسبنا كتاب الله " »[1].

ويقول:«ولا ريب عندي في أن التعمق في درس كتب الفقه والتشريع الهائلة العدد لا بد من أن يجعل الناقد بمنجاة من الرأي السطحي الذي يقول بأن شريعة الإسلام شريعة جامدة غير قابلة للتطور...»[2].

ويقول:«وأن العالم الإسلامي وهو مزود بتفكير عميق نفاذ، وتجاريب جديدة ينبغي عليه أن يقدم في شجاعة على إتمام التجديد الذي ينتظره. على أن لهذا التجديد ناحية أعظم شأناً من مجرد الملاءمة مع أوضاع الحياة العصرية وأحوالها»[3].

---

(١) انظر: تجديد التفكير الديني ص (١٨٧).

(٢) انظر: المصدر السابق ص (١٨٩).

(٣) انظر: المصدر السابق ص (٢٠٦).

مع أن الشاعر محمد إقبال نادى بأهمية التجديد الديني إلأ أنه طوّره على المفهوم الغربي، وأعاد قراءة الشريعة الإسلامية بما يتوافق مع مستجدات العصر، وعلى ضوء ذلك يرى إقبال أن الأحكام الشرعية التي طبقت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لا تفرض على الأجيال المقبلة.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك يقول محمد إقبال:«... أما النبي الذي يستهدف مبادئ عامة شاملة فإنه لا يستطيع أن يبلغ مبادئ مختلفة إلى الشعوب المختلفة، ولا أن يترك لهذه الشعوب أن يضع كل منها قواعد السلوك الخاصة به. والطريقة التي يتبعها النبي هي أن يعلم أمة معينة ويتخذ منها نواة لبناء شريعة عالمية وهو في هذه الحالة يؤكد المبادئ التي تنهض عليها الحياة الاجتماعية للبشر جميعاً ويطبقها على حالات واقعية في ضوء العادات المميزة للأمة التي هو فيها. وأحكام الشريعة الناتجة عن هذا التطبيق (كالأحكام الخاصة بعقوبات الجرائم) هي أحكام يمكن أن يقال إنها تخص هذه الأمة. ولما كانت هذه الأحكام ليست مقصورة لذاتها فلا يمكن أن تفرض بحرفيتها على الأجيال المقبلة»[1].

ونخلص أن الشاعر محمد إقبال صاغ التجديد الديني في قالب فلسفي مستعار أثناء عرضه لحقائق هذا التصور، في محاولة منه إقناعاً بالإرتباط الوثيق بين طبيعة الموضوع وصيغة القالب، وأن الموضوع يتأثر بالقالب، وقد تتغير طبيعته ويصيبها التشويه اذا عرض هذا التصور في قالب يحمل في طبيعته وفي تاريخه عداء وجفوة وغربة عن طبيعته، الأمر المتحقق في موضع التصور الإسلامي والقالب الفلسفي الذي يدركه من يتذوق حقيقة هذا التصور كما هي معروضة في النص القرآني. ومن خلال مطالعة كتاب محمد إقبال تجديد التفكير الديني في الإسلامي نجد أنه يستعير قوالب هيجل وأوغست كونت وخاصة في محاضرته هل التدين أمر ممكن[2].

---

(1) انظر: المصدر السابق ص (١٩٧).

(٢) انظر: فلسفة إقبال ص (٧٣-٧٤).

فمن هذه النصوص وغيرها اتضحت معالم الفكر التجديدي عند الشاعر محمد إقبال، وعليه فإن الطريق الذي سلكه محمد إقبال والنتائج التي توصل إليها في محاضراته تجديد التفكير الديني في الإسلام، ماهي إلا تقريراً للاتجاه العقلاني الذي يلوي عنق النص لياً، ويحاول تفسير النصوص الشرعية وفق مقتضيات الفلسفة البشرية [1].

ولا شك أن ما ذهب إليه محمد إقبال في آرائه لتطور الشريعة الإسلامية افتراء وتطاول على المسلمات والثوابت في العقيدة الإسلامية، وهيهات أن يكون التجديد يعني إضافة شيء آخر إلى العقيدة الربانية، كلا بل التجديد هو تخليص العقيدة من هذه الإضافات البشرية لتصبح نقية صافية ليس فيها أثر لصنع البشر وآرائهم وفلسفاتهم [2].

إنَّ التجديد الموافق لمذهب أهل السنة والجماعة هو إحياء وبعث ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والعمل بمقتضاهما، كما جاء في الحديث الذي أخرجه أبو داود، قَالَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْمَهْرِيُّ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ شَرَاحِيلَ بْنِ يَزِيدَ الْمُعَافِرِيِّ عَنْ أَبِي عَلْقَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِيمَا أَعْلَمُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

(١) انظر مقالاً بعنوان: التجديد في الإسلام، بقلم: التحرير، ص (١٩)، مجلة البيان، العدد الثاني، عام ١٤٠٧هـ.

(٢) انظر: الفلسفة وأثرها في أصول الدين، محمد رشاد خليل، مجلة كلية أصول الدين، العدد الخامس، العام الجامعي١٤٠٣هـ / ١٤٠٤هـ. ص (٣٠٥وما بعدها)؛ التجديد في الفكر الإسلامي ص (١٣٥)؛ العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، بقلم: محمد حامد الناصر، الناشر: مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. ص (٣٥٨)؛ مجلة البيان مقالاً بعنوان: التجديد في الإسلام، بقلم: التحرير، العدد الأول، ١٤٠٦/١٢/١ هـ/١٩٨٦م. ص (٥-٢١)، والعدد الثاني، ١٤٠٧/٢/٢هـ / أكتوبر ١٩٨٦م. ص (١٣-٢٧)؛ بحثاً بعنوان: في المحيط الفقهي(١)، بقلم: فهد بن عبد الله الحزمي ص (٣١-٤٠)، الناشر: مكتبة صيد الفوائد الإلكترونية، التصنيف العام، الفقه الإسلامي، راجع الرابط: http://www.saaid.net/book/open.php?cat=4&book=3717.

وَسَلَّمَ قَالَ:«**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**» [١].

يقول شمس الدين المناوي [٢] معلقاً على هذا الحديث:«يجدد لها دينها أي يبين السنة من البدعة ويكثر العلم وينصر أهله ويكسر أهل البدعة ويذلهم قالوا ولا يكون إلا عالما بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة»[٣].

إنَّ من أحق من أدرك مفهوم التجديد هم السلف الصالح رحمهم الله تعالى، وعندما ننظر في آرائهم وتعريفاتهم يتضح أن التحديث الحق هو السعي للتقريب بين واقع المجتمع المسلم في كل عصر وبين المجتمع النموذجي الأول الذي أنشأه الرسول صلى الله عليه وسلم. وكما يكون ذلك بإحياء مفاهيم ذلك المجتمع وتصوراته للدين، وإحياء مناهجه في فهم النصوص وبيان معانيها، وإحياء مناهجه في التشريع والاجتهاد، وإحياء مناهجه في تدوين العلوم وتكوين نظم الحياة واقتباس النافع والصالح من كل

(١) الحديث أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب: ما يذكر في قرن المائة، رقم الحديث: (٤٢٩١)، من حديث أبي هريرة، قال أبو داود بعد ذكر الحديث رواه عبد الرحمن بن شريح الإسكندراني لم يَجُزْ به شراحيل، (٥١٢/٢). يقول الألباني: ولا يعلل الحديث قول أبي داود عقبه: " رواه عبد الرحمن بن شريح الإسكندراني لم يجز به شراحيل "، وذلك لأن سعيد بن أبي أيوب ثقة ثبت كما في " التقريب " و قد وصله وأسنده، فهي زيادة من ثقة يجب قبولها. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق خليل مأمون شيحا وآخرين، الناشر: المعرفة، الطبعة الأولى١٤١٧هـ. (٢٩٣/١-٢٩٤)؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت،١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م. (١٥١/٢).

(٢) المناوي: محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين: من كبار العلماء بالدين والفنون، من مؤلفاته: كنوز الحقائق، والتيسر، وشرح الشمائل للترمذي، وغيرها، توفي ١٠٣١هـ. انظر الأعلام: (٢٠٤/٦).

(٣) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، شمس الدين المعروف بعبد الرؤوف المناوي الشافعي، تحقيق حمدي الدمرداش محمد، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى١٤١٨هـ/١٩٩٨م. (٣٥٧/٢).

حضارة، يكون أيضاً بتصحيح الانحرافات النظرية والفكرية والعلمية والسلوكية وتنقية المجتمع من شوائبها[1].

وفي ختام المبحث فإن الشاعر محمد إقبال يقرر فكرة تطوير الخطاب الديني على المنهج الذي أراده الغرب بعجره وبجره، ففكرة التجديد بالمفهوم الغربي تغيير وتبديل وتحريف في جوهر الإسلام، لأن الغرب يرى أن الإسلام يحمل مفاهيماً متميزة وخطابه يقوم على التمايز وعدم الاندماج والتمييع، وهو يحمل وجهة نظر خاصة، ويطرح نظاماً بديلاً لكل الأنظمة الوضعية، وبذلك فهو يشكل تهديداً صريحاً لمصالح الغرب، ولذا تعالت أصوات الساسة الغربيين بضرورة تطوير الخطاب الديني عبر صياغة جديدة ترضي آمال الغرب[2].

وآخيراً فإن إقبالاً دعا إلى التجديد من خلال مفهوم التغيير، فالتجديد عنده تغيير بالأصول لا كما يفهمه المسلمون بأنه إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، وأكد إقبال أن التغير والحركة والنمو الذي يصيب العالم الإسلامي من اتجاهه نحو الغرب يقتضي إعادة النظر في التراث، وإعادة بناء الشريعة من جديد على ضوء الفكر والتجربة المعاصرة، واستحداث تأويلات جديدة للمبادئ والأصول، وهذه هي معالم العصرانية بعينها. ومعالم الفكر التجديدي عند إقبال ظهرت أثناء هذا البحث بجامع التأويل أو الإنكار، فمثلاً عندما وصف الجنة والنار بالحالتين لا المكانين، وإنكاره نزول عيسى ابن مريم عليه السلام آخر الزمان وغيرها.

---

(١) انظر: مفهوم تجديد الدين ص (٢٨١).

(٢) انظر: بحث مقدم إلى مؤتمر الإسلام والتحديات المعاصرة المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية ما بين ٢-٣/٤/٢٠٠٧م، فقد بحثوا عن تطوير الخطاب الديني كأحد التحديات التربوية المعاصرة، إعداد د. أشرف أبو عطايا، يحي عبد الهادي أبو زينة. ص (٦٩٦).

المبحث الثالث:

تأثير محمد إقبال فيمن جاء بعده في مسألة التجديد.

بعد وصول فكر الشاعر محمد إقبال إلى العالم العربي على يد الدكتور عبد الوهاب عزام وغيره من أعلام الأدب والفكر، تأثر بإقبال كثيرٌ من المفكرين بآرائه وأفكاره عموماً وبمسألة التجديد خصوصاً، خاصة أصحاب المنهج التوفيقي والنــزعة العصرانية.

أكاد أجزم بأن كل من كتب وتناول بالدارسة والتحليل تجديد الفكر الديني في الإسلام، أو إعادة بنائه، سواءً على نطاق المؤتمرات والمجامع، أو الأفراد، إلا وقد قرأ أو اقتبس أو تأثر بكتاب الشاعر محمد إقبال الموسوم: تجديد التفكير الديني في الإسلام، يقول الدكتور محمد رشاد خليل- رحمه الله -:«كان لهذا الكتاب أثر عميق جداً في إشاعة مفهوم التطور في التجديد الإسلامي عند الكثيرين، حتى لقد شاع مفهوم التطور في كتابات بعض من شيوخ الأزهر وعدد كبير من علمائه وأصبحنا نسمع عن التطـــور التشريعي، وتطور الفكر الإسلامي، بل نسمع عن قابلية أصول الإسلام للتطور .. !! ولقد كان إقبال أول وأخطـــر من دعاء إلى تجديد الدين بمفهوم التطور ... ويمكن القول: أن إقبال قد انتهى في تجديده لأصول الدين على أساس فلسفة التطور إلى نفس النتائج التي انتهى إليها ملاحدة الفلاسفة والمتصوفة بعد إعادة صياغتها في قوالب الفلسفة المادية التطورية »[1].

الذين تأثروا بفكر الشاعر محمد إقبال التجديدي لا يتسع المقام لحصرهم واستقصائهم، وسنكتفي بذكر نموذجين على ذلك.

---

(١) انظر بحثاً بعنوان: الفلسفة وأثرها في أصول الدين، ص (٣٠٥-٣٠٨)، مجلة كلية أصول الدين، العدد الخامس، العام الجامعي١٤٠٣هـــ / ١٤٠٤هـــ.

أولاً جودت سعيد(١)**:** يعتبر جودت ممن تأثر بفكرة التجديد عند إقبال، فقد أعطى جودت أهمية فائقة لفكر محمد إقبال ويعتبره فكراً أتى بالكثير مما هو جديد.

يقول جودت سعيد:«ومحمد إقبال من الأفراد القلائل الذين عانوا الولادة الفكرية، وعاشوا في رحابها الواسعة، بعد أن غادروا الحياة الفكرية الضيقة في رحم مغلقة .. فبذلك استطاع أن يقدم لنا رؤية واضحة عن مبدأ الحركة، وعن تاريخ الجمود في البناء الفكري للإسلام، وكيف سلّم المسلمون بضرورة الاجتهاد نظرياً، وأنكروا تطبيقه عملياً، وعن دور المذاهب، ومدارس الفقه الإسلامي، وأنظمة الحكم المتعاقبة، والنكبات المدمرة التي تعرضت لها الأمة الإسلامية، مثل غزو التتار وتدمير بغداد، ونزعات التصوف»(٢).

ويقول جودت في مقال كتبه تحت عنوان أهمية فكر محمد إقبال:«ماذا أقول عن محمد إقبال، إن أشد ما جذبني إليه أنه كان مؤمناً قوي الإيمان إلى أعمق درجة من الخشوع وكان يجمع إلى ذلك الإيمان الفهم العميق والواعي للعالم المعاصر في أعماقه الفلسفية ... كان راسخاً في فهم التراث مشبعاً به، وكان حاضر الحداثة المعاصرة في مواطنها وبلغاتها. ما يزال هذا النوع نادراً في المسلمين إلى الآن، من يعرف التراث يفتقد الحداثة، ومن يعيش الحداثة يفتقد التراث فهذا هو مرضنا إلى الآن، ومحمد إقبال فهم عمق الحدثين. ولهذا كان مجدداً في فهم التوحيد ... وكان إقبال مجدداً في التصوف يميز الغث من السمين، وكان مجدداً في الفقه، وفي الشريعة، وفقه المعاملات. وإلى الآن لا يوجد عندنا من استثمر ورسخ ما وصل إليه من القواعد التي انطلق منها ... ».

---

(١) جودت سعيد: شيخ التيار العصراني المادي والفكر العقلاني، وهو المنظر لأتباعه، حاول أن يتزعم المدرسة المادية التغييرية، وأن يكون رائدها في العالم الإسلامي بلا منازع، ولا يقل دوره في هذا الشأن عن الدور الذي كان يمارسه جمال الدين الأفغاني. انظر: المدرسة العصرانية في نزعتها المادية ص (٢٠-٢١)؛ والنزعة المادية في العالم الإسلامي ص (٦٧-٦٩).

(٢) انظر: مذهب ابن آدم الأول أو مشكلة العنف في العمل الإسلامي، جودت سعيد، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م. ص (٦).

ويستحسن جودت سعيد كلام المستشرق الانجليزي جيب عن إقبال فيقول:«إن إقبال كان يفهم الإسلام فهماً جديداً ومختلفاً، ولكن كانت نداءاته كصيحة في واد أو نفخة في رماد. لم يكن هناك من يستجيب له أو يفهم عليه، ومبلغ من كتب عنه أنه كان معجباً بشعره في مدحه الإسلام، ولكن كان كلهم متحفظون منه، يخّوفون الناشئة بأن له شطحات صوفية أو اجتهادات غير مقبولة. كانوا يخافون من اعتماده التاريخ والعواقب في تقييم الحضارات ويخافون من فهمه للشريعة وأن أحكامها قابلة للمراجعة بحسب العواقب. والخلاصة أن أفكاره التجديدية أحيطت بالغموض والتشكيك. وأكثر الناس لم يعرفوه ولم يجدوا الوقت لتأمله وفهم أبعاده...».

ويستمر جودت في الحديث عن فكر إقبال التجديدي قائلاً:« إلى الآن لم نستثمر فكر محمد إقبال ولا بد من معايشة أفكاره طويلاً لتفهم أبعاده الفكرية. ينبغي أن يكون إقبال موضع تداول وحوار ونقاش حتى تُستثمر هذه الأفكار وتُزاد تطوراً وتوسعاً وتعمقاً، وسوف تزداد منطلقاته وتطلعاته قبولاً واحتراماً من الأجيال، وستكثر الدراسات عنه وعن مزاياه. إنه أحد العقول الكبيرة التي كرست حياتها لخدمة الإسلام، فرحم الله إقبالاً في الخالدين، إنه أنعش حياتي ونوَّر تصوراتي بقوة إيمانه وسعة علمه. إنه عَلم ومنار في مسيرة الإسلام والإنسان»(١).

ثانياً فتحي عثمان: يعتبر الدكتور فتحي عثمان من دعاة تطوير الدين فقد ألف كتاباً أسماه: «الفكر الإسلامي والتطور»، يقول في مقدمته:«الكتاب...محاولة لمناقشة قابلية الإسلام في أصوله للتطور. مناقشة رصيد المسلمين التاريخي في التطور»(٢). وينقل الدكتور فتحي عثمان عن أحد الكتاب مؤيداً ومعجباً قوله:«إن هذه التعليمات

---

(١) انظر مقالاً بعنوان: أهمية فكر محمد إقبال، بقلم: جودت سعيد، والمقال نشر في العديد من المواقع والمنتديات في الشبكة العالمية. انظر الرابط: http://jfc.maktoobblog.com/709784 ، وللمزيد من المقالات لجودت سعيد عن الشاعر محمد إقبال انظر موقعه على الانترنت: http://jawdatsaid.net.

(٢) انظر: التجديد في الفكر الإسلامي ص (٣٧٨).

– ويقصد بها تعليمات الرسول صلى الله عليه وسلم – نزلت في زمن وفي ظروف خاصة ونفذت في مجتمع خاص ... إن الإسلام فيه من السعة التامة، والاستعداد الأوفى، لقبول التغيير في أحكامه، حسب تبدل الظروف وخصائص الأزمان تحت أصول الشرع، بل الإسلام يقتضي أن تظل أحكامه وقوانينه ترتب وفق ما يعرض للمسلمين من الحاجات والملابسات الجديدة ... وهناك مجال كاف في القانون الإسلامي للتخفيف من شدة الأحكام حسب الأحوال والمقتضيات»[(١)]. هكذا تنقلب الموازين وتنعكس الأمور فتصبح الأحكام الشرعية عجينة لينة قابلة للتشكل بأي شكل يحتاج إليه الناس، وما يبدو على شكلها الظاهر من ثبات، يفسر على أن ذلك كونها نزلت لزمان خاص وظروف خاصة ومجتمع خاص.

وتحت عنوان: "قضايا كبرى يثيرها الفيلسوف إقبال" ينقل فتحي عثمان تأثره بالسؤال الذي طرحه الشاعر محمد إقبال في كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام، وهو ما إذا كانت الشريعة الإسلامية قابلة للتطور؟.

يتساءلُ فتحي عثمان متأثراً برأي إقبال في التجديد الديني فيقول:«إن الفكر الديمقراطي قد تطور .. وإن الفكر الاشتراكي قد تطور .. ترى لماذا يكتب على الفكر الإسلامي وحده الجمود؟؟» [(٢)].

لا فرق إذاً عند فتحي عثمان والشاعر محمد إقبال وغيرهما من أصحاب هذا الاتجاه بين فكر يعتمد على الوحي الإلهي أساساً في انطلاقه ويحتكم إليه في كل صغيره وكبيرة، وفكر صنعته حثالة أفكار البشر فهي تغيره وتبدله بل وتنسفه بحسب ما تقتضيه أهواؤها ورغباتها.

---

(١) انظر: المصدر السابق ص (٣٧٨-٣٧٩).

(٢) انظر: المصدر السابق ص (٣٧٩).

ويقول فتحي عثمان:«قال قائل: يجب أن ينقح الدين كل مائة سنة، وأنا أصحح التعبير فأقول: إنه يجب أن نصحح فهمنا للدين كل سنة وكل شهر وكل يوم وكل لحظة لأن المعرفة لانهاية لآفاقها»[1].

وبهذا العرض المجمل والسريع تبين لنا تأثر كلاً من شيخ التيار العصراني والفكر العقلاني جودت سعيد، والدكتور فتحي عثمان، بفكرة التجديد عند الشاعر محمد إقبال، وإن كان هناك كُتَّاب وباحثين وأكاديمين تأثروا بهذا الانحراف الذي سلكه الشاعر، والمقام كما ذكرت في بداية المبحث أنه لذكر الأمثلة لا لحصر الذين تأثروا بفكر إقبال التجديدي.

(١) انظر: المصدر السابق ص (٣٧٩).

المبحث الرابع:

موقف محمد إقبال من الدعوة السلفية.

لقيت دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – في الهند حرباً ضروساً لا هوادة فيها، حتى أن كل من رفع يديه في الصلاة أو جهر بآمين كان معرضاً لأشد أنواع الأذى لأنه "وهابي"، وكان مصير من يتهم من مسلمي الهند بأنه وهابي أن ينفى ويشرد ويقتل، ولكن بالرغم من ذلك نهضت جماعة من العلماء يبصرون الناس بحقيقة هذه الدعوة، ويدعونهم إلى التوحيد الخالص، وإلى نبذ البدع والضلال، كان في مقدمتهم الشيخ صديق حسن خان [1]، الذي نشر كتابين أحدهما بالفارسية والآخر بالأردية عن حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[2].

مما لا شك فيه أن الشاعر محمد إقبال كان معجباً بحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية، وجهوده الدائبة، التي لم تعرف الكلل في سبيل الدعوة للدين وتطهيره من شوائب البدع والخرافات والوثنيات التي دخلت عليه، والسؤال الذي يطرح نفسه هل كان إقبالاً سلفياً ومتأثراً بدعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب أم لا؟.

يبدو من بعض كلام وأقوال الشاعر محمد إقبال أنه كان مطلعاً على تراث شيخ الإسلام ابن تيمية، ودعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب – رحمهما الله –، فقد أثنى على ابن تيمية بقوله:«ابن تيمية وهو من أعظم الكتاب همة، وأقواهم في الدعوة

---

(١) صديق حسن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، من رجال النهضة الإسلامية المجددين، توفي ١٣٠٧ هـ. انظر: الأعلام (١٦٧/٦).

(٢) انظر: عقيدة الشيخ محمد عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، د. صالح بن عبد الله العبود، الناشر: مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بدون تاريخ طبعة، ص (٦٧١-٦٧٨)؛ دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، أد. محمد بن عبد الله السلمان، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ. ص (٧٧).

إلى الإسلام»[1]، وعبر عن إعجابه بالشيخ المجدد وبدعوته عندما وصفه بقوله:«المصلح المتطهر العظيم محمد بن عبد الوهاب»[2].

فمثل هذه الأقوال قد يستفاد منها أنه كان معجباً بآراء هؤلاء الأئمة الأعلام، إلا أنني لم أقف على شيء واضح في أطروحاته وآرائه يدعم الرأي القائل بأنه كان متأثراً بالدعوة السلفية، التي تعتمد على نصوص الشريعة من الكتاب والسنة وعلى فهم السلف الصالح في جميع قضايا الدين في الأصول والفروع، إلا أن الدعوة إلى إعادة مجد الإسلام، والرجوع إلى الأصل، ورفض التقليد، ونبذ الخرافات والبدع في الجملة، فهذه يلتقي فيها معظم المصلحين والمفكرين في الغالب، وإن حاول بعض المعاصرين إثبات تأثر الشاعر محمد إقبال بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، إلا أنه لم يظهر عند الباحث بالأدلة المقنعة مدى تأثره وإعجابه بها، بل العكس هو الصواب من خلال ما أخذ عليه من محاذير في كثير من المسائل العقدية التي وقع فيها، ومما يؤيد ما ذهبت إليه أن الشاعر سخر بمذهب السلف الصالح في كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام قائلاً:«...معظم الأمم الإسلامية اليوم يكررون القول بالقيم التي قال بها السلف بطريقة آلية، بينما يخطو التركي في سبيله لاستحداث قيم جديدة...»[3].

والحاصل أن الشاعر محمد إقبال لم يكن سلفياً ومتأثراً بدعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، لا من قريب ولا من بعيد، غير نزر يسير في باب توحيد العبادة، وإن أثير جدل في المشهد الثقافي بأنه ممن نصر الأمة ومنهج السلف بشاعريته المفلقة وعاطفته الجياشة، فأقول هل نصرها باتجاهه الفلسفي، أم بنـــزعته العقلية، أم بميله وتأثره بالصوفية، أم بسخريته وتنقصه من السلف الصالح؟.

---

(١) انظر: تجديد التفكير الديني ص (١٧٤).

(٢) انظر: المصدر السابق ص (١٧٥).

(٣) انظر: المصدر السابق ص (١٨٦).

وأختم هذا المبحث بمسألة أشار إليها بعض الباحثين، هي محل نقد واعتراض على الشاعر محمد إقبال تجاه موقفه من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، حينما قرنها بالنحلة البابية الضالة عند قوله:«والحركة البابية التي ليست سوى صدى فارسي للإصلاح الديني العربي. ولد محمد بن عبد الوهاب المصلح المتطهر العظيم في سنة ١٧٠٠م، وتلقى العلم في المدينة...»(١)، وقد تناولنا البحث في هذه المسألة بشيء من التفصيل في مبحث: رأي محمد إقبال في البابية (٢).

(١) انظر: تجديد التفكير الديني ص (١٧٥).

(٢) راجع ص (٢٢٠ وما بعدها).

المبحث الخامس:

أثر محمد إقبال على الكُتاب والمفكرين الإسلاميين.

عند الحديث عمن تأثر بالشاعر محمد إقبال من الكتاب والمفكرين الإسلاميين لا يمكن حصره في زاوية معينة، فقد تأثر به على علاته العالم بأسره، شرقيه وغربيه، عربيه وأعجميه، وأما عن تأثر الكُتَّاب والمفكرين الإسلاميين فقد تأثروا به تأثراً بالغاً وفي جوانب شتى، في الفكر والأدب، والسياسة والاجتماع، والتربية والتعليم، وغيرها من شؤون الحياة، فالشاعر محمد إقبال مدرسة كبيرة، ذات أروقة متعددة، كل ينهل منها كيف شاء، وحسب ما يقتضيه تخصصه[1].

من الأقلام الأدبية والفكرية والسياسية التي تأثرت بإقبال أبو الأعلى المودودي حيث يقول:«إن العمل العظيم الذي أدَّاه الدكتور محمد إقبال في مجال الإصلاح له قيمة كبرى لا ينساها التاريخ الإسلامي، والعمل المهم الذي أنجزه محمد إقبال هو أنه أعلن حرباً لا هوادة فيها ضد الغرب وحضارته المادية، فقد كان الرجل الوحيد في عصره الذي لا يدانيه أحد في تعمقه في فلسفة الغرب ومعرفته بحضارته وحياته، فلما نهض يفنِّد فلسفته وأفكاره المادية بدأ يذوب سحرُ الحضارة الغربية الذي كان يبهر القلوب ويستولي على النفوس»[2]. فهذه الكلمات التي وصف بها المودودي جهود محمد إقبال هي شهادة لها وزنها من رجل عاصره وعرفه وتأثر به.

---

(١) الذين تأثروا بإقبال على طرفين، الأول: التأثر الإيجابي، ويكون بإعادة مجد الإسلام، والعودة إلى الدين، والجهاد، ونقد الحضارة الغربية، والدعوة إلى التضامن الإسلامي. والثاني: الأثر السلبي، ويكون بقبول أفكاره الزائغة، والتأثر بها، كما يوجد عند الكثيرين مثل جودت سعيد وغيره.

(٢) انظر: مفهوم تجديد الدين ص (١٣٥).

ويُعبِّـــرُ أبو الحسن الندوي عن إقبال بقوله:«أنبغ عقل أنتجته الثقافة الجديدة التي ظلت تشتغل وتنتج في العالم الإسلامي من قرن كامل، وأعمق مفكر أوجده الشرق في عصرنا الحاضر...» (١).

واعتبره الدكتور نجيب الكيلاني: أحد أولئك القلائل الذين بعثوا النور في سماء الشرق من أمثال الأفغاني ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهما (٢).

ويقول القائد محمد علي جناح:«إن حييت حتى رأيت للمسلمين دولة قائمة في الهند فخيرت بين الرئاسة العليا في هذه الدولة المسلمة، وبين كتب إقبال، لم أتردد في اختيار الثانية» (٣).

ومن المتأثرين بإقبال من الكُتَّاب والمفكرين الإسلاميين المفكر جودت سعيد، فهو يشارك إقبال في جملة من أفكاره وآرائه منها: النيابة الإلهية فيقول:«كيف يساهم البشر في صنع هذا التاريخ بما حباهم الله من سلطان التسخير، هذا السلطان هو الذي يرفع الإنسان من عالم الأشياء إلى الخلق الآخر – والذي يسميه إقبال النيابة الإلهية – أي إلى حالة إدراك الإنسان إمكاناته كفرد على إنقاذ نفسه والآخرين...»(٤).

كما تأثر بإقبال الأديب طه حسين (٥) في مسألة التجديد، فيقول:«كان إقبال هو بحق المفكر المجدد في فهم الإسلام والكاشف الصادق لجوهره العظيم»(٦).

---

(١) انظر: روائع إقبال ص (٧٦)؛ الصراع بين الفكرة الإسلامية والغربية ص (٩٨).

(٢) انظر: إقبال الشاعر الثائر ص (٦).

(٣) انظر: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره ص (٤٧).

(٤) انظر: النـــزعة المادية في العالم الإسلامي ص (٢٥٧).

(٥) طه حسين: طه بن حسين بن علي بن سلامة، من كبار المحاضرين والأدبـــاء، لهذا الرجل انحرافات كثيرة جداً، فهو – بلا شك – رأس من رؤوس التغريب في زماننا المعاصر، وقد حاول طيلة حياته إلقاء الشبهات وإثارة الشكوك ومحاربة الإسلام بشتى الطرق، وفق خطة مدروسة صاغها له الغربيون الذين ربوه على أعينهم، ومن ضمن تلك الانحرافات إحياؤه ودعوته إلى مذهب الشك الذي تلقاه عن ديكارت. من مؤلفاته: في الأدب الجاهلي، وذكرى أبي العلاء، وفلسفة ابن خلدون، وغيرها، توفي سنة ١٣٩٣هـــ. انظر: الأعلام (٢٣١/٣).

(٦) انظر: محمد إقبال فكره الديني والفلسفي ص (١١٣).

وأما عن تأثير إقبال العميق في الجيل الجديد في كل من الهند وباكستان أشار إلى ذلك الدكتور فضل الرحمان قائلاً:«لقد كان تأثير إقبال عميقاً في الجيل الجديد من مثقفي المسلمين في الهند وباكستا» [1]، وكان ذلك التأثير في الجيل الجديد باعثاً على تأسيس أكاديميتين باسمه: أحدهما في لاهور، والثانية في كراتشي، تعمل على نشر فكره والتعريف به ودراسة جوانبه المختلفة إلى يومنا هذا.

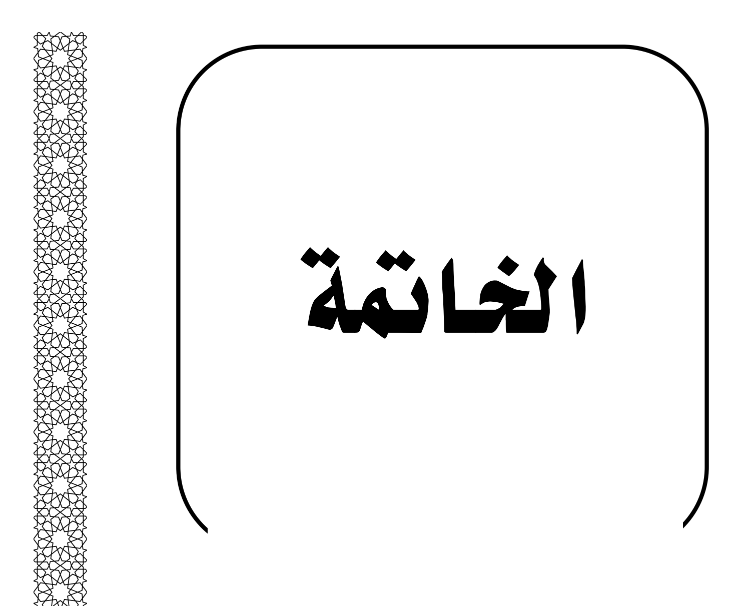
والحاصل أنه قد أعجب كثير من أعلام الفكر والأدب بآراء وأفكار الشاعر محمد إقبال فقاموا بتصديرها للقارئ العربي مما كان لها الأثر الكبير على الكتاب والمفكرين الإسلاميين.

وممن قدم فكر إقبال للعالم الإسلامي والعربي عباس محمود العقاد [2]، وعبد الوهاب عزام، وأبو الحسن الندوي وغيرهم، فقاموا بجهود كبيرة في عرض أفكاره والثناء عليه، وترجمة إنتاجه الفكري والتركيز عليه، ومن هؤلاء من فعل ذلك بحسن نيَّة، ومنهم من ساهم في تقرير هذه الأفكار باعتبارها تدعم جهود المدرسة العقلية التي قادها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ومنهم اغتر بما حصل لإقبال من مديح وثناء واهتمام، ونظروا إلى الجهود التي قام بها في مجال العمل السياسي – حلبة الصراع بين المسلمين والهندوس –، حيث برز كمدافع عن حقوق المسلمين فغطت تلك السحابة على حقيقة أفكاره وانحرافاته العقدية [3].

(١) انظر: محمد إقبال فكره الديني والفلسفي ص (١٠٩).

(٢) العقاد: عباس محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد، إمام في الأدب، ومن المكثرين كتابة وتصنيفا، من المآخذ والمحاذير الفكرية التي نادى بها أن الديمقراطية هي أفضل النظم التشريعية، كما كان يُعمل عقله في كليات الشريعة، ويقرأها قراءة جديدة، من مؤلفاته: عبقرية محمد، ورجعة أبي العلاء، والمرأة في القرآن وغيرها. توفي ١٣٨٣هـ. انظر: الأعلام: (٢٤٢/٢).

(٣) انظر: النـــزعة المادية في العالم الإسلامي ص (٢٩٣).



الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتبلغ به الغايات، وتنال به المكرمات، على أن يسَّر لي إتمام هذا البحث، فله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

فإنني لا أدعي في هذا البحث الكمال والإحاطة بآراء الشاعر محمد إقبال الاعتقادية، وحسبي أني اجتهدت قدر المستطاع، ولكن الوقوع في الخطأ والتقصير من طبيعة العمل البشري، فإن أصبت كان ذلك بفضل الله تعالى ومنّه وكرمه، وإن أخطأت فمن نفسي، والله ورسوله بريئان منه، واستغفر الله تعالى من كل ذلك، وأتوب إليه من كـــل هفـــوة وزلـــة ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[(١)].

❖ أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها أثناء هذا البحث:

١. أهمية دراسة آراء وأفكار العلماء والباحثين والمفكرين المعاصرين وعرضها على الكتاب والسنة، وتقويمها في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، لما لهم ولمؤلفاتهم من مكانة عند المسلمين وبالتالي القدرة على التأثير فيهم سلباً وإيجاباً.

٢. يُعد الشاعر محمد إقبال من المفكرين الذين لهم مكانة بارزة في العالم الإسلامي والعربي والغربي بصفة عامة، وفي شبه القارة الهندية بصفة خاصة، وتميز إقبال بأنه شاعر، وأديب، ومفكر، ومحامي، وخبير في التربية، والسياسة، وغيرها من شؤون الحياة.

٣. كانت للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والبيئة التي نشأ وترعرع فيها الشاعر محمد إقبال أثر كبير في تكوين شخصيته وتنوع أفكاره، وآرائه، ومعارفه، وأطروحاته.

---

(١) سورة البقرة آية: (٢٨٦).

٤. كثرة مؤلفات إقبال الشعرية والنثرية التي ضمنها آراءه الفكرية والعقدية، واهتمام الباحثين، والأكاديميين، والمثقفين بها، واعتمادهم عليها، دون نظر وتمحيص، جعلهم ينــزلقون في الانحرافات التي سلكها إقبال، مما يحتم على الباحثين دراستها في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة.

٥. أفكار وآراء الشاعر محمد إقبال لا تعدو أن تكون مزيجا من الثقافة الإسلامية، والفكر الغربي، والتراث الصوفي، والنــزعة العقلية، صاغه بأسلوب شعري أدبي، فهو: مفكر إسلامي بالصياغة الغربية.

وأخيراً يرى الباحث أن آراء الشاعر محمد إقبال الاعتقادية يمثلها في الأصل كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام، وكتابه تطور الفكر الفلسفي في إيران، ودواوينه، وخلاصتها أنه ينتهج في هذا الباب منهجاً صوفياً، وعقلانياً مثل أهل الاعتزال في غالب أطروحاته، وأحياناً ينحى منحى المذهب الأشعري مع تحرره من مذاهب القدامى، ويلاحظ أيضاً أنه مع بروزه في نقد الحضارة الغربية لم يسلم من نتاج أفكارهم في تصوراته العقدية والفلسفية، ثم إن ما جاء في الرسالة من أبواب وفصول هي في الغالب تمثل فكره المدون في الكتابين، ثم من خلال أشعاره المترجمة إلى العربية التي رجعت إليها.

إن هذا البحث جاء لعرض آراء الشاعر محمد إقبال الاعتقادية وبيان مدى موافقتها ومخالفتها لعقيدة السلف الصالح، وفيما يلي عرض موجز لبيان ذلك.

❖ **في مصادر التلقي:** إنَّ الشاعر محمد إقبال يضيف إلى مصادر التلقي في الشريعة الإسلامية، وهي القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، والقياس، مصادر أخرى عقلية فلسفية صوفية مما جعله ينــزلق وينحرف عن منهج أهل السنة والجماعة.

❖ **في وجود الله:** أثبت الشاعر محمد إقبال وجود الله سبحان وتعالى، وأن وجوده فطري لا يحتاج إلى إقامة براهين عقلية ولا أدلة فلسفية منطقية. فلإقبال في شعره، وكتاباته، ورسائله الدورية، مواضع كثيرة دالة على إثباته لوجود الله تبارك وتعالى.

❖ **في الأسماء والصفات:** بعد التتبع والاستقراء لآراء إقبال لم يظهر لي من خلال اطلاعي على كلامه ما يستفاد منه رأي واضح في إثبات أسماء الله وصفاته، وأنه على منهج أهل السنة والجماعة، إلا أنني وجدت أنه في الجملة من المؤولين في هذا الباب، فمثلاً تابع الأشاعرة في صفة الخلق.

❖ **في توحيد العبادة:** كلام إقبال في الجملة جيد في باب توحيد العبادة، إلا أنه يؤخذ عليه شد الرحال لزيارة قبر الشيخ أحمد السر هندي.

❖ **في إثبات النبوة:** سلك إقبال منهجاً منحرفاً في إثباته لحقيقة النبوة، حيث تناولها من منظور فلسفي صوفي عقلي، وزعم أن النبوة ضرب من الوعي الصوفي، تنال بالقربات والطاعات، وبكثرة العبادة والتنسك، يحصل عليها كل من يجتهد ويكد ويتعب لينالها.

❖ **في بعض الأنبياء والرسل:** يؤمن الشاعر محمد إقبال بالأنبياء والرسل، ويقرُّ برسالاتهم السماوية. وما ضمَّنه إقبال في شعره ونثره ما هو إلا عبارة عن تصديق بنبوتهم ورسالاتهم وبعض صفاتهم ومميزاتهم؛ إلا أنه خالف العقيدة الصحيحة حينما اعتبر أكل آدم عليه السلام من شجرة الخلد رغبة منه في البقاء والخلود والديمومة، وعندما رفض القول بظهور المخلص آخر الزمان، حتى ولو كان المخلص عيسى ابن مريم عليه السلام.

❖ **في حقيقة الجنة والنار:** شارك الشاعر محمد إقبال قناعات الكثيرين من المتصوفة، والفلاسفة في إثبات حقيقة الجنة والنار، حيث يرى أن الجنة والنار حالتان لا مكانان، ووصفهما في القرآن تصوير حسي لأمر نفساني، وينطلق في موضوع تعريف الجنة والنار من مفهوم رمزي، لوصف حالة أهل الشقاء وحالة أهل السعادة.

❖ **في البعث:** تحدث الشاعر محمد إقبال عن المصير الإنساني، وبين المراحل التي يمر بها الإنسان في اليوم الآخر ومنها البعث، ونقض الشاعر محمد إقبال عقيدة الخلـــق والبعث والحيـــاة الآخـــرة، حيـــن أكد على فلسفـــة التطـــور المختلطة عنـــده اختلاطـــاً شديداً بـــآراء ملاحدة الصوفيـــة، وعندما وصف البعث بأنه نوع من جرد البضائع، ليحل محلها عقيدة التناسخ القديمة التي قال بها المصريون القدماء، وأهل الهند ثم انتقلت عن طريقهم إلى اليونان، ثم إلى ملاحدة الفلاسفة، وملاحدة المتصوفة، ثم إلى التطوريين من أمثال هنري برجسون.

❖ **في إثبات القدر، وأفعال العباد:** انحرفت آراؤه عن مذهب السلف الصالح في باب القدر وأفعال العباد، وإن كنا نلمس في شعره ما يشير إلى إثباته للقدر، ولكن لنـــزعته الفلسفية الصوفية العقلية أثرٌ في هذا الانحراف، فإقبال عند مناقشته للقدر وأفعال العباد وفَّق بين ثلاثة اتجاهات، بين نزعته الصوفية، وفكره الاعتزالي، واتجاهه الفلسفي.

❖ **في اليهودية الصهيونية:** يعد موقف إقبال حازماً في القضية الفلسطينية، حيث أكد أنه ليس لليهود حق في فلسطين، وكان على معرفة تامة أن لليهود تدخلاً كبيراً في النظم الأوربية كلها، ولذلك فإن الأوربيين لا يمكن أن يؤيدوا المسلمين بهذا الشأن، بل إنهم ينحازون دائماً إلى الصهاينة، إلا أن الشاعر محمد إقبال لم يكن له حديث واضح عن اليهود وعقائدهم، بل جل ما كتبه – فيما وقفت عليه – عن خطر الصهيونية على العالم الإسلامي وتآزرها مع الصليبية.

❖**في النصرانية الصليبية:** يعتبر الشاعر محمد إقبال في طليعة الكتاب والمفكرين والشعراء الذين تصدَّوا للهجمة النصرانية الشرسة التي اكتوى بنارها العالم الإسلامي خاصة، وذلك من خلال شاعريته المتوقدة وحماسه لأمته الإسلامية، وقد أدرك أن النصارى تلتهب في قلوبهم نار الحقد والانتقام ضد الانهزامات التي لحقتهم على يد المسلمين خلال الحروب الصليبية ليقوموا بالثأر منهم. وإذا نظرنا إلى فهم إقبال للمد

التنصيري في العالم ورأيه في النصرانية، وجدنا أنه كان على وعي وإدراك تام لأهدافها، ولكن جل ما كتبه – فيما وقفت عليه – عن النصرانية جاء في خطاب العموميات، والوقوف ضد الاستعمار الغربي، والحملات الصليبية وتآزرها مع الصهيونية.

❖ **في الصوفية:** يوافق إقبال المتصوفة في كثيـــر من مسائلهم، حيث النـــزعة الصوفية متأصلة في فكره وجملة من آرائه العقدية، فمثلاً وافقهم في القول بوحدة الوجود، وفكرة الإنسان الكامل، وحينما ادَّعوا أعمالاً خارقة، وحالات غريبة، كالطيران في الهواء، أو السير على سطح الماء، أو الاتصال بالملأ الأعلى وغيرها، ودافع إقبال بكل ما أوتي من شاعرية وقوَّة بيانية عن مقولة الحلاج المشهورة: أنا الحق، وحاول تخريج هذه المقولة بأسلوب فلسفي صوفي محض، موافقاً فيها أكابر الصوفية؛ بيد أن الباحث لا ينكر نقد إقبال القاسي في بعض المواضع للتراث الصوفي الذي أسماه التصوف الأعجمي.

❖ **في الشيعة:** تحدث الشاعر محمد إقبال عن الفرقة الإسماعيلية بشيء من التفصيل، ووصفها بأنها حركة فارسية بوجه خاص، وأكد أن ثمة تشابهاً بين الإسماعلية وبين الجماعة المعروفة بإخوان الصفا، وأشار إلى مؤسس الإسماعلية في بلاد فارس. وكان إقبال شديد الحب والتعلق بآل البيت رضوان الله عليهم وعلى الصحابة أجمعين، فكثيراً ما تغنى في شعره بعلي بن أبي طالب وشجاعته، والحسين واستشهاده، وفاطمة الزهراء وطهارتها وعفتها، بيد أن هذا التعلق والحب لآل البيت لا يصل إلى الاعتقاد بأصول الرافضة الباطلة المنحرفة، وحظي إقبال من دولة إيران الشيعية ببالغ التقدير والاحترام، ونزل إقبال في ميدان الشعر الفارسي شاعراً فحلاً، حيث جارى شعراء إيران الكبار، وقد ثبت بينهم أنه واحد منهم من جانب الشاعرية لا المعتقد.

❖ **في المعتزلة:** يعتبر إقبال من المفكرين الذين سعوا إلى النهل من الفكر الاعتزالي العقلاني، والدعوة إلى الحرية الإنسانية، واستنهاض العزائم، قصد دفع المجتمع الإسلامي إلى اليقظة ومسايرة التيار الحضاري العالمي مع مطلع القرن التاسع عشر وبداية القرن

العشرين الميلادي، وذلك عند تناوله وتحليله لمختلف المسائل العقدية والفلسفية.

❖ **في الأشاعرة:** ينحى الشاعر أحياناً منحى المذهب الأشعري في جملة من آرائه وأفكاره، كما مر معنا في انتصاره لنظرية الجوهر الفرد، وإن وجَّه بعض النقد لأعلام الأشاعرة، فمثلاً نقد أبا حامد الغزالي حينما وصفه بالشاك الذي لم تجد روحه القلقة بعد حيرته وتساؤلاته الطويلة اليائسة في صحراء العقلانية القاحلة الخاوية.

❖ **في القاديانية:** يعتبر محمد إقبال أحد الأعلام والأوائل في شبه القارة الهندية الذين تصدوا للقاديانية، فقد صرَّح بأنَّ القاديانية ثورة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنها مؤامرة ضد الإسلام، وأنها ليست جزءاً من الأمة الإسلامية العظيمة.

❖ **في البابية:** ظهر في آراء وأفكار الشاعر محمد إقبال ثقته العمياء ببعض الحركات المنتسبة للإسلام مثل البابية، حيث عدَّها في بداية أمره من الحركات الإسلامية الإصلاحية التي تأثرت بدعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، إلا أنه بعد أن أدرك أغراضها وفهم حقيقتها انتقدها وهاجم مؤسسها، فالرأي الذي استقر عليه محمد إقبال الرفض التام لهذه النحلة الباطلة، فهي تتصادم مع جملة من أفكاره وأرائه كالقول بختم النبوة، والإيمان بالأنبياء والرسل والجهاد في سبيل الله وغيرها.

❖ **في الاستشراق:** لم يكن لإقبال – فيما وقفت عليه – حديثاً مطولاً عن نشأة الاستشراق وبدايته، أو أهدافه ودوافعه، وإنما بعض الإيحاءات والنـــزر اليسير من الصلة بين الاستشراق والاستعمار الغربي، ومخالفته لبعض آراء المستشرقين مثل: منع تعدد الزوجات، ومناداتهم بنـــزع الحجاب، ومما يؤخذ على إقبال في هذا الباب تأثره ببعض أعلام المستشرقين مثل توماس آرنولد.

❖ **في الشيوعية:** حارب إقبال الاتجاه الشيوعي، وحاول إبراز منهج الإسلام في حل مشكلات المجتمع الهندي، وأكد على العمل بمبادىء العدالة الاجتماعية في الإسلام والأخوة، وخاصة ما تحقق منها في صدر الإسلام، واهتم اهتماماً كبيراً بالطبقة العاملة

ودافع عن حقوقها، وأعلن قائلاً: "فلا أسلوب التصوف في العصور الوسطى، ولا القومية، ولا الاشتراكية الإلحادية بقادر على أن تشفي علل الإنسانية اليائسة".

❖**في القومية:** رفض إقبال فكرة التعصب للوطن؛ لأنها تشوه الإحساس بالإخاء، وتزرع بذور الحرب والتفرقة، والشاعر لا يؤمن بالقومية الأوروبية، حيث يراها تبعة من تبعات التمزق الديني التي تمثل خطراً كبيراً على مستقبل الدول الإسلامية، وأنها دخيلة على مبادئ الإسلام، إذ أن بلاد المسلمين كلها وطن واحد، وأن الهندي أخو المغربي والفارسي والعربي والإفريقي والأوربي، إذ جمعتهم عقيدة واحدة، ولن يقوم مقامها ما يصطنعه الناس من حدود جغرافية، تسيطر عليها الجبال والصحاري والأنهار أو تفرضها السياسة، كما مزقت بلاد الشام إلى أقطار مختلفة تمثل سوريا ولبنان وفلسطين.

❖**في الديمقراطية:** رفض إقبال الديمقراطية الغربية ونظامها الزائف، وقد حذر من الديمقراطية في مظان كثيرة من شعره ونثره، بشتى أصولها وفروعها الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، التي نشأت على الأسس المادية والإلحادية وابتعدت عن الإيمان بالله والقيم الإنسانية النبيلة والأخلاق الحميدة، وأكد إقبال على مبدأ الشورى في الدين الإسلامي الحنيف.

❖**في الرأسمالية:** حارب إقبال النظام الرأسمالي وكل ما يحمله من أفكار مادية وأسس اقتصادية واجتماعية، وندد في بعض بياناته بالنظم الوضعية مثل الرأسمالية والملكية والدكتاتورية والنازية الفاشية، ورأى أنها نظم مدمرة للبشرية جمعاء.

❖**في الحضارة الغربية:** نقد الشاعر محمد إقبال الحضارة الغربية وأسسها التي قامت عليها من جوانب عِدة، فمثلاً نقدها في السياسة، والاجتماع، والاقتصاد، ونقد مناهج التعليم في الغرب، والأدب والفن؛ ولذلك أجمع كل من كتب عن موقف محمد إقبال من الحضارة الغربية على إنَّ أجل عمل قام به هو رفضه للحضارة الغربية.

❖ **في الفلسفة:** يمثل الاتجاه الفلسفي عند الشاعر محمد إقبال مصدراً أساسيّاً في ثقافته وفكره مما أثر على آرائه العقدية. ومن أبرز من قرأ لهم إقبال وتأثر بهم من رواد وعمالقة الفكر والفلسفة الغربية هما: فردريك نيتشه الفيلسوف الألماني، وهنري برجسون الفيلسوف الفرنسي، وضمَّن عند حديثه عن الفلسفة مسألتين هما:

أولاً: فلسفة الذات: وتقوم فكرة فلسفة الذات عند الشاعر محمد إقبال على الاعتقاد بقدرة الإنسان على السمو بقواه الذاتية، وهذا يؤدي إلى الاعتقاد بأن الإنسان قادر على خلق القيم واختيارها من نفسه دون النظر إلى عنصر خارجي كالدين مثلا، وإن كان إقبال يرى ضرورة العودة إلى الدين في نهضة الأمة، وينتقد بعض المفاهيم الغربية نقداً إيجابياً، لكن منهجه التوفيقي هو الذي أوصل الباحث إلى هذا التحليل.

ثانياً: فلسفة نفي الذات: وتقوم على أهمية الجماعة وضرورة بناء المجتمع وتنظيمه على أسس سليمة بنظام ثابت رشيد، فإنه لا مجال لارتقاء الفرد ونموه إلا من خلال وجوده في الجماعة، وارتباطه معها، وتقويته إياها. فإن القطرة ذات قيمة ومكانة في اليم ولا قيمة لها خارجه ولا لوجودها وحدها.

ومن أبرز آراء إقبال الفلسفية: التوفيق بين الدين الإسلامي والفلسفة، فقد حاول بناء الفلسفة الدينية الإسلامية بناءاً جديداً، آخذاً بعين الاعتبار المأثور من فلسفة الإسلام، إلى جانب ما جرى على المعرفة الإسلامية من تطوُّر في نواحيها المختلفة؛ بل إن إقبالاً يؤكد في كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام سيطرة الفلسفة على الدين بقوله: فللفلسفة من غير شك حق الحكم على الدِّين.

❖ **في التجديد الديني:** يقرر الشاعر محمد إقبال فكرة تطوير وتجديد الخطاب الديني على المنهج الذي أراده الغرب بعجره وبجره، فإقبال دعا إلى التجديد من خلال مفهوم التغيير؛ فالتجديد عنده تغيير بالأصول لا كما يفهمه المسلمون بأنه إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة. فإقبال يؤكد أن التغير والحركة والنمو الذي يصيب العالم الإسلامي من اتجاهه نحو الغرب يقتضي إعادة النظر في التراث، وإعادة بناء

الشريعة من جديد على ضوء الفكر والتجربة المعاصرة، واستحداث تأويلات جديدة للمبادئ والأصول، ومعالم الفكر التجديدي عند إقبال ظهرت في أثناء هذا البحث بجامع التأويل أو الإنكار، فمثلاً عندما وصف الجنة والنار بالحالتين لا مكانين، وإنكاره نزول عيسى ابن مريم عليه السلام آخر الزمان وغيرها. وقد أثَّر إقبال على جمع من المفكرين بمسألة التجديد خاصة أصحاب المنهج التوفيقي والنـــزعة العصرانية مثل جودت سعيد وفتحي عثمان وغيرهما.

❖ **في موقفه من الدعوة السلفية:** كان محمد إقبال معجباً إلى حد كبير بدعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية، وجهوده الدائبة التي لم تعرف الكلل في سبيل إصلاح الدين وتطهيره من شوائب البدع والخرافات والوثنيات التي دخلت عليه، فقد عبَّر عن إعجابه بالشيخ وبدعوته عندما وصفه بقوله:«المصلح المتطهر العظيم محمد ابن عبد الوهاب». لكنه لم يكن سلفياً ومتأثراً بدعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، لا من قريب ولا من بعيد، غير نزر يسير في باب توحيد العبادة، وإن أثير جدل في المشهد الثقافي، بأنه ممن نصر الأمة ومنهج السلف بشاعريته المفلقة وعاطفته الجياشة، فأقول هل نصرها باتجاهه الفلسفي، أم بنـــزعته العقلية، أم بميله وتأثره بالصوفية، أم بسخريته وتنقصه من السلف الصالح؟.

❖ **في تأثيره على الكُتَّاب والمفكرين الإسلاميين:** تأثر كثيرٌ من الكُتَّاب والمفكرين الإسلاميين بالشاعر محمد إقبال على علاته تأثراً بالغاً وفي جوانب شتى، في الفكر والأدب، والسياسة والاجتماع، والتربية والتعليم، وغيرها من شؤون الحياة، فالشاعر محمد إقبال مدرسة كبيرة ذات أروقة متعددة كل ينهل منها كيف شاء، وحسب ما يقتضيه تخصصه، والذين تأثروا بإقبال على طرفين، الأول: التأثر الإيجابي، ويكون بإعادة مجد الإسلام، والعودة إلى الدين، والجهاد في سبيل الله، ونقد الحضارة الغربية، والدعوة إلى التضامن الإسلامي. والثاني: الأثر السلبي، ويكون بقبول أفكاره

الزائغة، والتأثر بها كما يوجد عند الكثيرين مثل عباس محمود العقاد، وطه حسين، وعبد الوهاب عزام، وجودت سعيد، وغيرهم.

❖**التوصيات:** من خلال البحث والتتبع والاستقراء في فكر الشاعر محمد إقبال وآرائه وجدت بعض المواضيع التي تحتاج إلى مزيد بحث واستقصاء ولم يسبق لها أن بحثت على حد علمي كأطروحات علمية وهي:

❖ النـــزعة الصوفية في فكر الشاعر محمد إقبال عرض ونقد.

❖ الفكر السياسي عند محمد إقبال وأثره على القارة الهندية.

❖ دراسة تحليلية لكل من كتابيه: تجديد التفكير الديني في الإسلام؛ تطور الفكر الفلسفي في إيران.

هذه بعض النتائج والتوصيات التي توصلت إليها في هذه الدراسة، وثمة نتائج أخرى لا يتسع المقام لسردها.

ونسأل الله أن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، والرزق الطيب، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الفهارس

الآيات القرآنية

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿! " # $ % & ' ( ) * + ...﴾	١-٣	٦٩
البقرة	﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي ...﴾	٢٤	١٣٤
البقرة	﴿% & ' ( ) ...﴾	٣٠	٢٧٢- ٢٨٣
البقرة	﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ...﴾	٣٦	١١٦
البقرة	﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ...﴾	٢٨٦	١٥٨
البقرة	﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ...﴾	٢٨٦	٣٠٦
آل عمران	﴿\ ] ^ _ ` a b c d e f ...﴾	٣٣	١٠٥
آل عمران	﴿a b c d f g h i ...﴾	٧٤	١٠٥
آل عمران	﴿k l m n o p q r ...﴾	٨١	١٢١
آل عمران	﴿إِنَّ الَّذِينَ ´ µ ¶ ¸ فَلَن يُقْبَلَ ...﴾	٩١	١٤٢
آل عمران	﴿! " # $ % & ' ...﴾	٩٢	٢٥٤
آل عمران	﴿4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? ...﴾	١٠٢	٣
آل عمران	﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ...﴾	١٣١	١٢٩
آل عمران	﴿+ , ...﴾	١٣٣	١٢٨
النساء	﴿! " # $ % & ' ( ) * + , - . ...﴾	١	٣
النساء	﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ...﴾	٥٩	٢١٣
النساء	﴿f g h i ...﴾	١٥٨	١١٨
النساء	﴿p q r s t u v w x z { ...﴾	١٥٩	١١٩
النساء	﴿! " # $ % & ' ( ) * ...﴾	١٧١	١٨٦
المائدة	﴿K L M N O P Q R ...﴾	٣	٢٧٩
المائدة	﴿h i j k l m n o ...﴾	١٧	١٨٦

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
المائدة	﴿4 5 6 7 8 9 : ; < ...﴾	١١٠	٢٨١
المائدة	﴿! " # $ % & ' ( ) ...﴾	٣٧	١٣٢-١٣٤
الأنعام	﴿J K L M N P Q R S T ...﴾	١٥٣	٢٨٠
الأعراف	﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ © لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا ...﴾	٢٠	١١٦
الأعراف	﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ © لِلْمُتَّقِينَ ...﴾	١٢٨	٥٧-٢٥٢
التوبة	﴿k l m n o p q r ...﴾	٣٠	٢٨٢
التوبة	﴿< = > ? @ B C D ...﴾	١٠١	١٨٧
هود	﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ...﴾	١٠٨	١٣٦
إبراهيم	﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ © وَٱلْأَرْضِ﴾	١٠	٧٣
الحجر	﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم ´ µ ¶ ¸ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ...﴾	٤٧-٤٨	١٣٦
النحل	﴿D E F G H I J K L ...﴾	٣٦	٧٣-٩٥
الإسراء	﴿n o p q r s ...﴾	١٣	١٤٢
مريم	﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾	٩٣	١٨٥
طه	﴿g h i j k l m ...﴾	١٢٠	١١١-١١٦
الأنبياء	﴿! " # $ % & ' ( ) ...﴾	٢٥	٩٣-٩٥
الحج	﴿! " # $ % & ' ( ) * + , - ...﴾	٦-٧	١٤٠
الحج	﴿L M N O P ...﴾	٧٥	١٠٥
الحج	﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ...﴾	٧٨	١١٣
النور	﴿o p q r ...﴾	٣١	٢٣١
النور	﴿y z { | ...﴾	٣٥	٥٧

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الشعراء	﴿2 3 4 5 6 7 8 ...﴾	٦٣	١١٤
الروم	﴿© اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ´ ...﴾	٣٠	٧٤
الأحزاب	﴿; < = ? @ A B C ...﴾	٦٥	١٣٤
الأحزاب	﴿u v w x y z { | ...﴾	٧٠-٧١	٣
فاطر	﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ...﴾	١	٨١
ص	﴿M N O P Q ...﴾	٤٧	١٠٥
الزمر	﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى © زُمَرًا حَتَّى ...﴾	٧٣	١٣٥
الزمر	﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ...﴾	٣٠	١٥١
الشورى	﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ...﴾	٥١	١٠٧
الزخرف	﴿! " # $ % & ') * + ...﴾	٦١	١١٨
الزخرف	﴿! " # $ % & ' ( ) * + , - ...﴾	٧٤-٧٥	١٣٢
الجاثية	﴿! " # $ % & ' ( ) ...﴾	٢٣	٢٧٠
ق	﴿] ^ _ ` a b ...﴾	٢٢	١٤١
الذاريات	﴿C D E F G H ...﴾	٥٦	**٩٣**
النجم	﴿0 1 2 3 4 ...﴾	٤	٥٥
القمر	﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ à خَلَقْنَاهُ â ...﴾	٤٨-٤٩	١٤٧-١٥٠
الرحمن	﴿u v w x ...﴾	١٢	٥٧
الواقعة	﴿f g h i j k l ...﴾	٣٢-٣٣	١٣٦
الواقعة	﴿` a b c d e ...﴾	٦٢	١٤١
الحديد	﴿m n o p q ...﴾	٢١	١٢٨
الصف	﴿! " # $ % & ' ( ) * + ...﴾	٦	١٧٣
الملك	﴿! " # $ % ' ( ) * ...﴾	١٣-١٤	١٥٨
نوح	﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ...﴾	٢٦	١١٣

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
المزمل	﴿... : 9 8 7 6﴾	٥	١٠٥
النبأ	﴿... مَـَٔابًا ~ } | { z y﴾	٢١-٢٢	١٢٩
النبأ	﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾	٢٣	١٣٠
النازعات	﴿... K J I H﴾	٢٤	١٨٦
التكوير	﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ...﴾	٢٩	١٥٨
الليل	﴿... z y x w﴾	٥	١٥٠
البينة	﴿... p o n m l k j i h﴾	٥	٩٤
البينة	﴿ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ... ~ { | { z﴾	٦	١٣٢
البينة	﴿...) (' & % $ # " !﴾	٨	١٣٥

الأحـاديـث

فهرس الأعلام

فهرس الشواهد الشعريّة

قافية الهمزة

مطلع البيت		الصفحة
علّـــة الشّـــرق ذِلّـــةٌ واقتـداءُ	ونظامُ الجمهـور فـي الغـرب داءُ	٢٤٧
إنّمـا الحـرُّ مـن يُجيـد ضِرابـا	لا الـذي حربهُ تـدور هُـــراء	١٥٦
أنا الحـْق ذِي مَقَـام الكِبْـرِيَـاءِ	أَكَـان لَهَـا الصليبُ مِـنَ الجَـزَاءِ	١٤٨
أيـة المؤمـــن أن يلقـى الـرّدى	بـاسم الثّغـــر سـروراً ورضـــاء	٥١

قافية الباء

فـاحملِ الفَرضَ قـويـاً لا تهـابْ	وارجونْ مـنْ عنـده حُسْـنُ المـآب	١٥٥
إنّمـا الإنسانُ فـي شرق وَغَـرْب	لامتلاكِ الأرض فـي حـربٍ وَضَرْب	٢٥١
قلـتُ : فاطْـــرَحْ لِلْفَـــراقِ مَـذْهَبَـا	فــي الطـلاق ليـس لـي أنْ أرغبـا	٥٨
مَـرحَـى لحـانـات الفـرنج فقـد	مـلأت بهـنَّ زجاجَهـا حَـلبُ	١٧٤
جـدْ بنَفْـيِ الذَّاتِ، لا تهـابْ	اجْتَهِدْ، واللهُ يَهْدِيكَ الصَّـواب	١٩٠
إنّما الـزّهـدُ فـي الـدُّنـيا الغَـريبْ	ذلـكَ العـاشِقُ فـي العُقبـى الغَـرِيبْ	١٩٢

قافية التاء

هــذي الحضـارةُ مـا تديَّـن قلبها	فـأخـوَّة الإفـرنج بـالعَصَبَاتِ	٢٦٠
وإنَّنـي فـي الأصـل سُومَنـاتـي	إلـى مَنـاةَ سَلَفـي والـلاّتِ	٣٤
أجـاب (البـابُ) فـي حفـل	مفيضـاً فـي مقـالاتِ	٢١٩
ويـلُ درويـشٍ بفيـه قـدْ جَـرَتْ	ثـمَّ ضـمَّ شفتيـه أوْ صَمـت	١٩٧
وإذا مـا أعتـلَّ تقـويـم الحيـاة	فَمِـنَ التقليـدِ للقـومِ نجـاة	١٦٨

مطلع البيت		الصفحة
عشقُه في القلب نورٌ أسفرا	للثُّريا يرتقي منه الثرى	١١٥
اجتهادٌ في زمان القهقرى	يذهبُ الأقوامَ منه شذرا	١٦٨
لا تُصَدِّقْ مِنْهُ ما تَسْمَعُهُ	فَهُوَ تَخْدرٌ مبيدٌ للبَشَرْ	١٧٤
ما الحقّ مخفٍ عن فؤاديَ سِرَّه	فلقد حباني الله قلباً مُبصرا	٢٦١
يَمْلِكانِ الرُّوْحَ ندَّ صَبْرُها	تَخْدَعُ النَّاسَ ويَبْدُو كُفرُها	٢٥٠
لوجودِ اللهِ لستُ مُنْكرا	أبْصرِ الباطنَ واتركْ ظَاهِرا	٦٩
فَضَحَ العصرَ جِنّةٌ بالسُّفُورِ	نُورُ عَيْنٍ وظُلمةٌ في الصُّدورِ	٢٣٠
منْ غيرنا هَدمَ التماثيلَ الَّتي	كانتْ تُقدَّسُها جَهَالاتُ الوَرى؟	٩٠
صيَّر الروميُّ طيني جوهرا	منْ غُباري شاد كَوناً آخرا	١٩١
قافية الفاء		
جَملٌ نفسُك تربو بالعلَف	في إباءٍ وعنادٍ وصلَفْ	٢٧١
قافية القاف		
لا أشمتَ اللهُ بالأقدارِ حاسدَنا	فليسَ شيءٌ من الأقْدار يُسْتَبَقُ	١٤٦
أتعرف ما تضمَّنه أنا الحقُّ	أتحسبه هراء حين ينطق	١٨٤
قافية الكاف		
أما آنَ تهجرُ أصنامَهم	أما آنَ تخرجُ من قُمْقُمِك	٩٠
قافية اللام		
رأيتُ الشَّيخ بالمصباحِ يسعى	له في كلِّ ناحيةٍ مجال	١٩٠
ربَّاه! أنت القادرُ	الحقُّ الرَّحيم العادِلُ	٧٠-٢٥٤

فهرس الملل والنحل والفرق

فهرس المصطلحات والألفاظ الغريبة

المصادر والمراجع

- مصادر آراء محمد إقبال.
- المصادر والمراجع العامة.
- رسائل علمية.
- المجلات والدوريات والبحوث المحكمة.

- **مصادر آراء محمد إقبال:**

١. الأعمال الكاملة لشاعر الإسلام محمد إقبال، ترجمة وتحقيق د. حازم محفوظ، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ / ١٩٩٦م، ويحوي هذا الكتاب على الدواوين التالية: ديوان رنين الجرس، ديوان جناح جبريل، ديوان ضرب الكليم، ديوان هدية الحجاز.

٢. إقبال الشاعر الثائر، د. نجيب الكيلاني، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م.

٣. تجديد التفكير الديني في الإسلام، تأليف محمد إقبال، ترجمة عباس محمود، راجع المقدمة والفصل الأول منه عبد العزيز المراغي بك، وراجع البقية د. مهدي علام، الناشر: مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهر، ١٩٥٥م.

٤. التربية الروحية في فكر محمد إقبال، د. أسامة محمود الدعاس، الناشر: دار الرؤية، دمشق، الطبعة الأولى١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

٥. تطور الفكر الفلسفي في إيران، تأليف د.محمد إقبال، ترجمة أد. حسن محمود الشافعي، أد.محمد السعيد جمال الدين، الناشر: الدار الفنية، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

٦. حديث الروح، شعر محمد إقبال، عربه شعراً الصاوي شعلان، وعني به حسن السماحي سويدان، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٧. ديوان جناح جبريل، صاغه شعراً زهير ظاظا، الناشر: دار المحبة، دمشق، الطبعة الثانية٢٠٠٣/٢٠٠٤م.

٨. ديوان جناح جبريل، ترجمه إلى العربية وعلق عليه جلال السعيد الحفناوي، وراجعه محمد علاء الدين منصور، الناشر: المشروع القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
٩. ديوان ضرب الكليم، ترجمة جلال السعيد الحفناوي، مراجعة وتقديم سمير عبد الحميد إبراهيم، الناشر: المشروع القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٤م.
١٠. ديوان محمد إقبال الأعمال الكاملة، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري الناشر: دار ابن كثير للطباعة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ويحوي هذا الكتاب على الدواوين التالية: ديوان صلصلة الجرس، ديوان الأسرار والرموز، ديوان رسالة الشرق، ديوان زبور العجم، ديوان جناح جبريل، ديوان ضرب الكليم، ديوان رسالة الخلود، ديوان والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق، ديوان هدية الحجاز.
١١. ديوان والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق، ترجمهُ نثـرًا محمود أحمد غازي، وصاغه شعرًا صاوي شعلان، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
١٢. روائع إقبال، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، الناشر : دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
١٣. الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، أبو الحسن الندوي، الناشر: دار الندوة، لبنان، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
١٤. العلامة محمد إقبال حياته وآثاره، د. أحمد معوض، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٨٠م.

١٥. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، الناشر: دار الفكر، الطبعة السابعة ١٩٩١م.

١٦. فلسفة إقبال، د. علي حسون، الناشر: دار السؤال، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

١٧. فلسفة الذات في فكر محمد إقبال، د. رائد جبار كاظم، الناشر: دار نينوى للدراسات، دمشق، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩م.

١٨. محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، د.عبد الوهاب عزام، الناشر: مطبوعات باكستان، بدون تاريخ طبعة .

١٩. محمد إقبال فكره الديني والفلسفي، د.محمد العربي بوعزيزي، الناشر دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

٢٠. محمد إقبال مفكرا إسلاميا، محمد الكتاني، الناشر: دار الثقافة، المغرب، الطبعة الأولى١٩٧٨م.

٢١. محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية، د. خليل الرحمن عبد الرحمن، الناشر: دار حراء، مكة المكرمة، الطبعة الأولى١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٢٢. المسؤولية الخلقية في فكر الدكتور محمد إقبال، د.عبدالهادي الفضلي، الناشر: وحدة التعليم بسفارة باكستان الإسلامية ،الرياض، جدة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

٢٣. مفهوم تجديد الدين، بسطامي سعيد، الناشر: دار الدعوة، الكويت، الطبعة الأولى١٤٠٥هـ /١٩٨٤م.

٢٤. النـــزعة المادية في العالم الإسلامي، عادل التل، الناشر: دار البينة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٢٥. نقوش فارسية على لوحة عربية، مقالات في الفكر الإسلامي والأدب المقارن، د. محمد السعيد جمال الدين، الناشر: الدار الثقافية، القاهرة، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

٢٦. الاتجاه الإسلامي في شعر محمد إقبال، د. صلاح الدين بن محمد شمس الدين الندوي، الناشر: الدار السلفية، الطبعة الأولى١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٢٧. فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية في الهند وباكستان، لمحمد الأعظمي، بمعية الصاوي شعلان، الناشر : دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٦٩هـ /١٩٥٠م.

- **المصادر والمراجع العامة :**

٢٨. الاتجاهات العقلانية الحديثة، أ د. ناصر بن عبد الكريم العقل، الناشر: دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

٢٩. البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها، د. عبد الله نومسوك، الناشر: أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م

٣٠. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها – التبشير، الاستشراق، الاستعمار– دارسة وتحليل وتوجيه، عبد الرحمن حبنكة الميداني، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة الثامنة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

٣١. أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية، حققه وعلق عليه: يوسف البكري، وشاكر العاروري، الناشر: رمادي، الدمام، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٣٢. أخبار جلال الدين الرومي، أعده وترجم نصوصه أبو الفضل محمد بن عبد الله القُونَوي، الناشر: مؤسسة فؤاد بعينو، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

٣٣. أديان الهند الكبرى، د. أحمد شلبي، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة التاسعة ١٩٨٧م .

٣٤. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني بإشراف : زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٣٥. الاستشراق، د مازن مطبقاني، نسخة إلكترونية، موقع صيد الفوائد، راجع الرابط: http://www.saaid.net/book/open.php?cat=83&book=891

٣٦. الإسلام في القرن العشرين حاضرة ومستقبلة، عباس محمود العقاد، الناشر نهضة مصر، بدون تاريخ طبعة .

٣٧. الإسلام في النظرية والتطبيق، مريم جميلة، ترجمة س. حمد، الناشر: مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

٣٨. الإسلام يتحدى، لوحيد الدين خان، تعريب د.ظفر الإسلام خان، مراجعة وتعليق: د. عبد الصبور شاهين، الناشر: مكتبة الرسالة، بدون تاريخ طبعة.

٣٩. الأسماء والصفات، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد الله بن محمد الحاشدي، الناشر: مكتبة السوادي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٤٠. الإسماعيلية، لإحسان إلهي ظهير، الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، بدون تاريخ طبعة.

٤١. أشراط الساعة، د. يوسف الوابل، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثاني عشرة١٤٢٠هـ /١٩٩٩م.

٤٢. أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، د. ناصر بن عبد الله القفاري، الناشر: دار الرضا، مصر، الطبعة الثانية١٤٢١هـ.

٤٣. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق أحمد عصام الكاتب، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ.

٤٤. أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، فؤاد كامل، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٤٥. أعلام الفلسفة الحديثة، د. علي عبد المعطي محمد، الناشر: دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩٧م.

٤٦. الأعلام، خير الدين الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م.

٤٧. أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، سيد بن حسين العفاني، الناشر: دار ماجد عسيري، السعودية، جدة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.

٤٨. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن قيم الجوزية، مراجعة محمد الفاضلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

٤٩. إقامة البرهان في الرد على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح آخر الزمان للشيخ حمود بن عبد الله التويجري، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٥٠. اقتصادنا، محمد باقر الصدر، الناشر: دار التعارف، بيروت، الطبعة السادسة ، عام ١٩٨٢م .

٥١. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق : أد. ناصر بن عبد الكريم العقل، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الخامسة١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

٥٢. الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، د.سعيد بن ناصر الغامدي، الناشر: دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الثانية١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م.
٥٣. البابية عرض ونقد، إحسان إلهي ظهير، الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان، ١٩٨٤م.
٥٤. بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات، د. محمد مجاهد نور الدين، الناشر: دار هجر، أبها، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
٥٥. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، مسعود بن أحمد الكاساني، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية١٩٨٢م.
٥٦. البعث والخلود بين المتكلمين والفلاسفة، د. علي آرسلان آيدن، الناشر: دار سخا، استانبول، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
٥٧. البهائية نقد وتحليل، إحسان إلهي ظهير، الناشر: دار الإمام المجدد، بدون تاريخ طبعة.
٥٨. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: دار القلم، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
٥٩. تاريخ الإسلام في الهند، عبد المنعم النمر، الناشر: دار العهد الجديد، الطبعة الأولى ١٣٧٨ هـ/١٩٥٩م.
٦٠. تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، الناشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م.
٦١. تاريخ بغداد، لأحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت .

٦٢. تخريج أحاديث مشكلة الفقر في الإسلام وكيف عالجها الإسلام، محمد ناصر الدين، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.
٦٣. تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، محمد شاكر الشريف، سلسلة تصدر عن مجلة البيان، الطبعة الأولى١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
٦٤. التجديد في الفكر الإسلامي، د. عدنان محمد أمامة، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى١٤٢٤هـ.
٦٥. التدمرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، لشيخ الإسلام بن تيمية، تحقيق د. محمد بن عودة السعوي، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة السادسة١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
٦٦. ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، للطاهر أحمد الزاوي، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
٦٧. التصوف والاتجاه السلفي في العصر الحديث د. مصطفى حلمي الناشر: دار الدعوة، الإسكندرية، بدون تاريخ طبعة.
٦٨. التعريفات، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة، الناشر : عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦.
٦٩. تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة، إشراف د. بكر عبد الله أبو زيد، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ .
٧٠. تفسير القرآن العظيم، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، الناشر: دار الأندلس، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٧١. تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق خليل مأمون شيحا وآخرون، الناشر: المعرفة، الطبعة الأولى١٤١٧هـ.

٧٢. تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، التحقيق والدراسة والتعليق د.السيد الجميلي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة السابعة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٧٣. تهذيب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: خليل بن مأمون شيحا وآخرون، الناشر: دار المعروفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٧٤. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ أبي الحجاج يوسف المزي، حققه وضبط نصه وعلق عليه د.بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

٧٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

٧٦. ثلاث رسائل عن القاديانية، لأبي الحسن الندوي وآخرين، الناشر: مكتبة دار البيان الكويت، بدون تاريخ طبعة.

٧٧. جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبي السعادات المبارك محمد بن الأثير الجزري، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة الحلواني؛ مطبعة الملاح؛ مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

٧٨. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠م.

٧٩. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٨٠. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد للقرطبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
٨١. جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث، جمال سلطان، الناشر: مركز الدراسات الإسلامية برمنجهام، بريطانيا، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
٨٢. الجنة والنار، تأليف د. عمر بن سليمان الأشقر ص (١١٧)، الناشر: دار النفائس، الأردن، الطبعة السابعة ١٤١٨هـ / ١٩٨٨م.
٨٣. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن قيم الجوزية، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
٨٤. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إملاء الإمام الحافظ قوّام السنة أبي محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق ودراسة محمد بن ربيع المدخلي، الناشر: دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .
٨٥. الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها، د. محمد أحمد الخطيب، الناشر: مكتبة الأقصى، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
٨٦. ختم النبوة والرد على البهائية والقاديانية، لأبي عبد الله متعب بن مقبل الشثان، الناشر: دار أطلس الخضراء، الرياض، الطبعة الأولى١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م.

٨٧. خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، لسيد قطب، الناشر: إحياء الكتب العربية، الطبعة الثانية ١٩٦٥م.

٨٨. خطبة الحاجة التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ.

٨٩. خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، للإمام محمد إسماعيل البخاري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة١٤١١هـ /١٩٩٠م.

٩٠. درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، طبعة على نفقة خادم الحرمين الشريفين، أشرف على الطباعة والنشر إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤١١هـ /١٩٩١م .

٩١. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية د.سعود الخلف، الناشر: أضواء السلف، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٩٢. دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، أد. محمد بن عبد الله السلمان، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ .

٩٣. الذريعة إلى مكارم الشريعة، لأبي القاسم الأصفهاني، تحقيق: د. أبو اليزيد العجمي، الناشر: دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م.

٩٤. رجال الفكر والدعوة في الإسلام، لأبي الحسن علي الحسيني الندوي، الناشر: دار القلرم الكويت، الطبعة الخامسة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٩٥. الرد على من قال بفناء النار وبيان الأقوال في ذلك، ابن تيمية، دراسة تحقيق أد.محمد السمهري الناشر: دار بلنسية، الرياض، الطبعة الأولى١٤١٥هـ.

٩٦. رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، محمد الحمد، الناشر: دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

٩٧. رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، للصنعاني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.

٩٨. روضة الطالبين وعمدة المفتين، يحي بن شرف الدين النووي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ.

٩٩. زعماء الإصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

١٠٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت،١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

١٠١. السنة، الحسن بن علي بن خلف البربهاري، حقق نصوصه وعلق عليه: خالد ين قاسم الردادي، الناشر: دار السلف، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

١٠٢. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، حقق نصوصه، ورقم كتبه، وأبوابه، وحديثه، وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.

١٠٣. سنن أبي داود،سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، تعليق: كمال يوسف الحوت الناشر: دار الفكر.

١٠٤. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق أحمد شاكر وآخرون.

١٠٥. سنن النسائي الكبرى، لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية،بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١م.

١٠٦. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة١٤١١هـ.

١٠٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد الحنبلي، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م.

١٠٨. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين، لأبي القاسم اللالكائي، خرج أحاديثه وعلق عليه نشأت بن كمال المصري، الناشر : دار البصيرة، الإسكندرية، بدون تاريخ طبعة.

١٠٩. شرح السنة للإمام الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: زهير الشاويش، وشعيب الأرناؤوط، الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

١١٠. شرح العقيدة الطحاوية، علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له د. عبد الله بن عبد المحسن التركي،

وشعيب الأرناؤوط، الناشر: دار الرسالة، بيروت، الطبعة الثاني عشرة ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
١١١. شرح العقيدة الواسطية، محمد صالح العثيمين، إعداد فهد بن ناصر السليمان، الناشر: دار الثريا، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
١١٢. شرح الفقه الأكبر – المنسوب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي –، لأبي منصور محمد بن محمد بن محمود الحنفي السمرقندي، عُني بطبعه ومراجعته خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر : الشؤون الدينية بدولة قطر .
١١٣. الشرح والإبانة على أصول الديانة، لابن بطة العكبري، تحقيق ودراسة د. رضا نعسان معطي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
١١٤. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
١١٥. الشيخ إحسان إلهي ظهير منهجه وجهوده في تقرير العقيدة والرد على الفرق المخالفة، د. علي بن موسى الزهراني، الناشر: دار المسلم، الرياض، الطبعة الأولى١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
١١٦. الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، د.مفرح بن سُليمان القوسي، الناشر : مطابع الحميضي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
١١٧. الشيوعية، محمد بن ابراهيم الحمد، الناشر: دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

١١٨. صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١١٩. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

١٢٠. الصفدية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار الهدي النبوي، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

١٢١. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لإبن القيم الجوزية، دراسة وتحقيق علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ .

١٢٢. الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها، تأليف فريد الدين آيدن، نسخة إلكترونية، الناشر: مكتبة صيد الفوائد الإلكترونية، التصنيف العام، الفرق والمذاهب، راجع الرابط: http://www.saaid.net/book/open.php?book=1495&cat=89.

١٢٣. العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، بقلم: محمد حامد الناصر، الناشر: مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٢٤. العقيدة السفارينية – الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية – ، لأبي العون شمس الدين محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، اعتناء وشرح وتعليق أبو محمد أشرف عبد المقصود، الناشر: أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

١٢٥. عقيدة السلف وأصحاب الحديث، لأبي إسماعيل الصابوني، تحقيق ودراسة د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع، الناشر: دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

١٢٦. عقيدة الشيخ محمد عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، د. صالح بن عبد الله العبود، الناشر: مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بدون تاريخ طبعة.

١٢٧. عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، د. أحمد بن عبد العزيز القصير، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

١٢٨. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ترتيب أحمد بن عبد العزيز الدويش، الناشر: دار المؤيد، الرياض، الطبعة الأولى١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٢٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ورقَّم كتبها وأبوابها وأحاديثها محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

١٣٠. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ومعه كتاب بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي، اعتنى به: حسان عبد المنان، الناشر: بيت الأفكار الدولية، طبعة جديدة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

١٣١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق وتعليق، سعيد ين محمد اللحام، الناشر: دار الفكر، بدون تاريخ طبعة.

١٣٢. فرق الهند المنتسبة للإسلام في القرن العاشر الهجري وآثارها في العقيدة دراسة ونقداً، د.محمد كبير أحمد شودري، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ .

١٣٣. الفرق بين الفرق، لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، اعتنى بها وعلّق عليها إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة بيروت، الطبعة الثالثة١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
١٣٤. الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها، لعلي بن محمد القرني، الناشر: دار المسلم، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
١٣٥. الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب، حمد بن ناصر بن معمر، تحقيق: عبد السلام آل عبد الكريم، الناشر: دار الطبعة الأولى١٤٠٧هـ.
١٣٦. فيض القدير شرح الجامع الصغير، شمس الدين المعروف بعبد الرؤوف المناوي الشافعي، تحقيق حمدي الدمرداش محمد، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
١٣٧. القادياني والقاديانية دراسة وتحليل، لأبي الحسن علي بن الحسيني الندوي، الناشر: الدار السعودية، جدة، الطبعة الخامسة١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
١٣٨. القاديانية دراسة وتحليل، لإحسان إلهي ظهير، الناشر: دار الإمام المجدد، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
١٣٩. القدر في الفكر الصوفي، علي محمود العمري، الناشر: دار المسلم، الأردن، الطبعة الأولى١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
١٤٠. القضاء والقدر في الإسلام، د.فاروق الدسوقي، الناشر: دار الاعتصام، بدون تاريخ طبعة.
١٤١. القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، د.عبد الرحمن المحمود، الناشر: دار الوطن، الطبعة الثانية١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

١٤٢. القول السديد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق صبري سلامة شاهين، الناشر: دار الثبات، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م .

١٤٣. القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الرابعة، ١٤٢١هـ.

١٤٤. كشف الأستار لإبطال إدعاء فناء الجنة والنار المنسوب لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، د. علي بن علي الحربي اليماني، الناشر: دار طيبة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٤٥. الكليات " معجم في المصطلحات والفروق اللغوية "، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي، قابله على نسخه الخطية وأعده للطبع ووضع فهارسه د. عدنان درويش، ومحمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

١٤٦. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

١٤٧. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

١٤٨. متن العقيدة الطحاوية، للإمام أبي جعفر الطحاوي الحنفي، الناشر : دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

١٤٩. الماتريدية دراسة وتقويماً، أحمد بن عوض الله الحربي، الناشر: دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١٥٠. المجتبى من السنن، تحقيق عبد الفتاح أبوغدة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

١٥١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ هـ.
١٥٢. المجموع الثمين، محمد بن عثيمين، الناشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
١٥٣. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
١٥٤. مختار الصحاح، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق وضبط حمزة فتح الله، ترتيب محمود خاطر، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
١٥٥. المدرسة العصرانية في نزعتها المادية، محمد حامد الناصر، الناشر: مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
١٥٦. مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، الناشر: دار الشروق، الطبعة السادسة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
١٥٧. مذهب ابن آدم الأول أو مشكلة العنف في العمل الإسلامي، جودت سعيد، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م.
١٥٨. مرآة الجنان وعبرة اليقظان، لأبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣.
١٥٩. مراتب الإجماع، ابن حزم، الناشر: دار الآفاق الجديد، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

١٦٠. مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د. ناصر بن عبد الله القفاري، الناشر: دار طيبة، الرياض، الطبعة السابعة ١٤٢٤هـ.
١٦١. المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع، إعداد خالد بن مسعود الجعيد، وعلي بن جابر العلياني، ناصر بن حمدان الجهني، الناشر : دار الهدي النبوي، مصر، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
١٦٢. مسند الإمام أحمد، الناشر: تحقيق شعيب الأرناوؤط، ومحمد نعيم العرقسوسي، وإبراهيم الزيبق، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
١٦٣. مسند الإمام أحمد، بتحقيق أحمد شاكر، الناشر : دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية عام١٣٩١هـ / ١٩٧١م.
١٦٤. مسند البزار، للحافظ أبي بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق العتكي، تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
١٦٥. المسند للإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرناوؤط وآخرون، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
١٦٦. مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
١٦٧. المصادر العامة للتقي عند الصوفية عرضاً ونقداً، صادق سليم صادق، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

١٦٨. مصباح الظلام في الرد علة من كذب على الشيخ الإمام، عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، تحقيق: إسماعيل بن عتيق، الناشر: دار الهداية، الرياض.

١٦٩. مصطلحات في كتب العقائد دراسة وتحليل، محمد ابن إبراهيم الحمد، الناشر: دار بن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١٧٠. معالم السنن شرح سنن أبي داود، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي، خرَّج آياته ورقَّم كتبه وأحاديثه عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

١٧١. المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد بن عبد الله العتيق، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

١٧٢. المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية في مصر، تصدير د. إبراهيم مدكور، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

١٧٣. معجم المناهي اللفظية، للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار العاصمة، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

١٧٤. معجم متن اللغة العربية، أحمد رضا، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م .

١٧٥. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

١٧٦. مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية خلال العصر الإسلامي، د. خالد كبير علال، الناشر : دار المحتسب ٢٠٠٨م .

١٧٧. الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أمير علي مهنا، وعلي حسن فاعور، الناشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثامنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

١٧٨. مناقب الشافعي للبيهقي للحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق السيد أحمد صقر، الناشر: دار التراث، القاهرة، الطبعة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

١٧٩. مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحديث، د.عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، الناشر: دار إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

١٨٠. منهاج السنة النبوية، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق د. محمد رشاد سالم، الناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى١٤٠٦هـ.

١٨١. منهج الشيخ محمد رشيد رضاء في العقيدة، تامر محمود متولي، الناشر: دار ماجد عسيري، جدة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٨٢. المواقف في علم الكلام، لمفيد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، الناشر: عالم الكتب، بيروت.

١٨٣. الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، تأليف د.ناصر القفاري ود. ناصر العقل، الناشر: دار العصيمي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ /١٩٩٢م.

١٨٤. الموسوعة العربية العالمية، الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، الطبعة الثانية١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

١٨٥. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الناشر: الندوة العالمية، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ.

١٨٦. موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

١٨٧. موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١٨٨. موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، مصطفى صبري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية١٤٠١هـ /١٩٨١م.

١٨٩. موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، إعداد الأمين الصادق الأمين، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .

١٩٠. موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الفلاسفة ومنهجه في عرضها، د. صالح الغامدي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

١٩١. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ طبعة.

١٩٢. النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين، حمد بن ناصر، معمر، تحقيق: عبد السلام آل عبد الكريم، الناشر: مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٩٣. نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، عبد الحي الحسيني، الناشر : طبعة دار المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى، عام ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م.

١٩٤. نظرات شرعية في فكر الدكتور حسن الترابي، سليمان بن صالح الخراشي، نسخة إلكترونية، موقع صيد الفوائد، الصنيف العام، تاريخ

الإضافة ٢٢/١/١٤٢٥هـ، راجع الرابط التالي:
http://www.saaid.net/book/open.php?cat=88&book=1034

١٩٥. نقض الجذور الفكرية للديمقراطية الغربية، أد. محمد أحمد علي مفتي، الناشر: فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م.

١٩٦. نهاية الإقدام في علم الكلام، للشهرستاني، حرره وصححه: الفرد جيوم، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بدون تاريخ طبعة.

١٩٧. النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام محي الدين أبي السعادات ابن الأثر، أشرف على هذه الطبعة وقدم لها علي بن حسن بن علي عبد الحميد الحلبي الأثري، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١٩٨. النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، د. محمد رجب البيومي، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

رسائل علمية :

١٩٩. الاتجاهات الفكرية الإسلامية في العالم الإسلامي دراسة وتقويم، إعداد: عبد الله بن محمد الصرامي، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية،كلية الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية، العام الجامعي١٤١١هـ .

٢٠٠. أثر الديانات الوثنية في عقائد الرافضة، إعداد: بسمة بنت أحمد بن محمد جستنية، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، العام الجامعي ١٤٢٥هـ.

٢٠١. أثر الفكر الاعتزالي في عقائد الأشاعرة، إعداد: منيف بن عايش العتيبي، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، العام الجامعي ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٢٠٢. الإنسانية في فكر المسلمين المعاصر – دراسة وتقويم –، إعداد: محمد إدريس عبد الصمد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،كلية الشريعة، قسم الثقافة، العام الجامعي ١٤١٧هـ.

٢٠٣. رسالة الخلود أو جاويدنامه للشاعر والمفكر الإسلامي الكبير محمد إقبال، ترجمها عن الفارسية وشرحها وعلق عليها الدكتور محمد السعيد جمال الدين المدرس بكلية الآداب، جامعة عين شمس ١٩٧٤م.

٢٠٤. مشكلة الحضارة دراسة نقدية في ضوء الإسلام، إعداد: عبدالله بن حمد العويسي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية، عام١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٢٠٥. نهاية عيسى عليه السلام وعودته في القرآن والإنجيل، إعداد: هنا حافظ عبد الغني عبد النبي، جامعة النجاح الوطنية كلية الدراسات العليا بنابلس – فلسطين –، العام الجامعي ٢٠٠٧م.

المجلات والدوريات والبحوث المحكمة:

٢٠٦. أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٠هـ، جاء من ضمن البحوث بحثاً بعنوان: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأصداؤها في فكر محمد إقبال، بقلم: د. محمد السعيد جمال الدين، والبحوث مكتوبة على آلة الكاتبة، ومن إعداد الدكتور: محمد سلام مدكور، رئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية حقوق القاهرة سابقاً، وخبير موسوعة الفقه الإسلامي بوزارة الأوقاف الكويتية.

٢٠٧. الإنسان والكمال في فلسفة إقبال، بقلم: د.مصطفى عشوي، انظر الرابط: / http://www.dahsha.com/viewarticle.php?id=31277

٢٠٨. بحث مقدم إلى مؤتمر: الإسلام والتحديات المعاصرة المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية ما بين ٢-٣/٤/٢٠٠٧م، إعداد: د. أشرف أبو عطايا، يحي عبد الهادي أبو زينة.

٢٠٩. في المحيط الفقهي، بقلم: فهد بن عبد الله الحزمي، الناشر: مكتبة صيد الفوائد الإلكترونية، التصنيف العام، الفقه الإسلامي، راجع الرابط: http://www.saaid.net/book/open.php?cat=4&book=3717

٢١٠. مؤتمر اتجاهات التجديد والإصلاح في الفكر الإسلامي الحديث المنعقد ما بين ١٩-٢١ يناير ٢٠٠٩م، فقد بحثوا عن تيارات الإصلاح والتجديد في شبه القارة الهندية خلال القرنين ١٣-١٤هـ / ١٩-٢٠م، إعداد: محمد حلمي عبد الوهاب.

٢١١. مجلة الأدب الإسلامي، العدد الثالث والعشرون، عام ١٤٢٠هـ، مقالاً بعنوان: محمد إقبال رائد التجديد، بقلم : الأستاذ علاء الدين حسن.

٢١٢. مجلة البيان، العدد الثالث والأربعون، ربيع الأول ١٤١٢هـ / أكتوبر ١٩٩١م، تقرير بعنوان: باكستان أقلية ساهرة وأكثرية نائمة.

٢١٣. مجلة التراث العربي، العدد الثالث والعشرون، شعبان ١٤٠٦هـ "ابريل" ١٩٨٦م السنة السادسة، مقالاً بعنوان : اليقظة الإسلامية في فارسيات إقبال، بقلم : صادق آئينه وند.

٢١٤. مجلة الرسالة، العدد الثاني والعشرون بعد المائة، ٤ نوفمبر ١٩٣٥م، مقالاً بعنوان: الدكتور محمد إقبال: فلسفته معالم الاتفاق بينه وبين فلاسفة الغرب، بقلم: أبو النصر الحسيني.

٢١٥. مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، السنة الثانية، العدد الثاني، مقالاً بعنوان: البهائية أكاذيبها ضلالاتها وكيف التصدي لها، بقلم : د. محمد عبده يماني.

٢١٦. مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مجلة علمية محكمة، العدد الخامس، محرم ١٤١٢هـ / يوليو ١٩١٩م، بحثًا بعنوان: إقبال والعرب، بقلم: د.سمير عبد الحميد إبراهيم.

٢١٧. مجلة كلية أصول الدين، العدد الخامس،١٤٠٣هـ / ١٤٠٤هـ، بحثًا بعنوان: الفلسفة وأثرها في أصول الدين، د. محمد رشاد خليل.

٢١٨. مجلة كلية الدعوة وأصول الدين، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، العدد الأول، ١٤٠٢هـ / ١٤٠٣هـ، بحثًا بعنوان: هل الإنسان خليفة الله في الأرض، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.

٢١٩. محاضرة بعنوان: محمد إقبال شاعر الإيمان والحب والطموح، د. عائض القرني، تسجيلات الشبكة الإسلامية، انظر الرابط: http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid=19425

٢٢٠. محاضرة بعنوان: محمد إقبال ومكانته العالمية، ألقيت في النادي الأدبي بمكة المكرمة، ألقها الدكتور الحافظ عبد الرحيم محمد حنيف، الأستاذ المشارك بجامعة بهاء الدين زكريا ملقان في باكستان يوم الثلاثاء ٩/٢/ ١٤٢٨هـ الموافق ٢٧فبراير٢٠٠٧م.

٢٢١. مقالاً بعنوان: أهمية فكر محمد إقبال، بقلم جودت سعيد، انظر الرابط: http://jfc.maktoobblog.com/709784؛.

فهرس الموضوعات